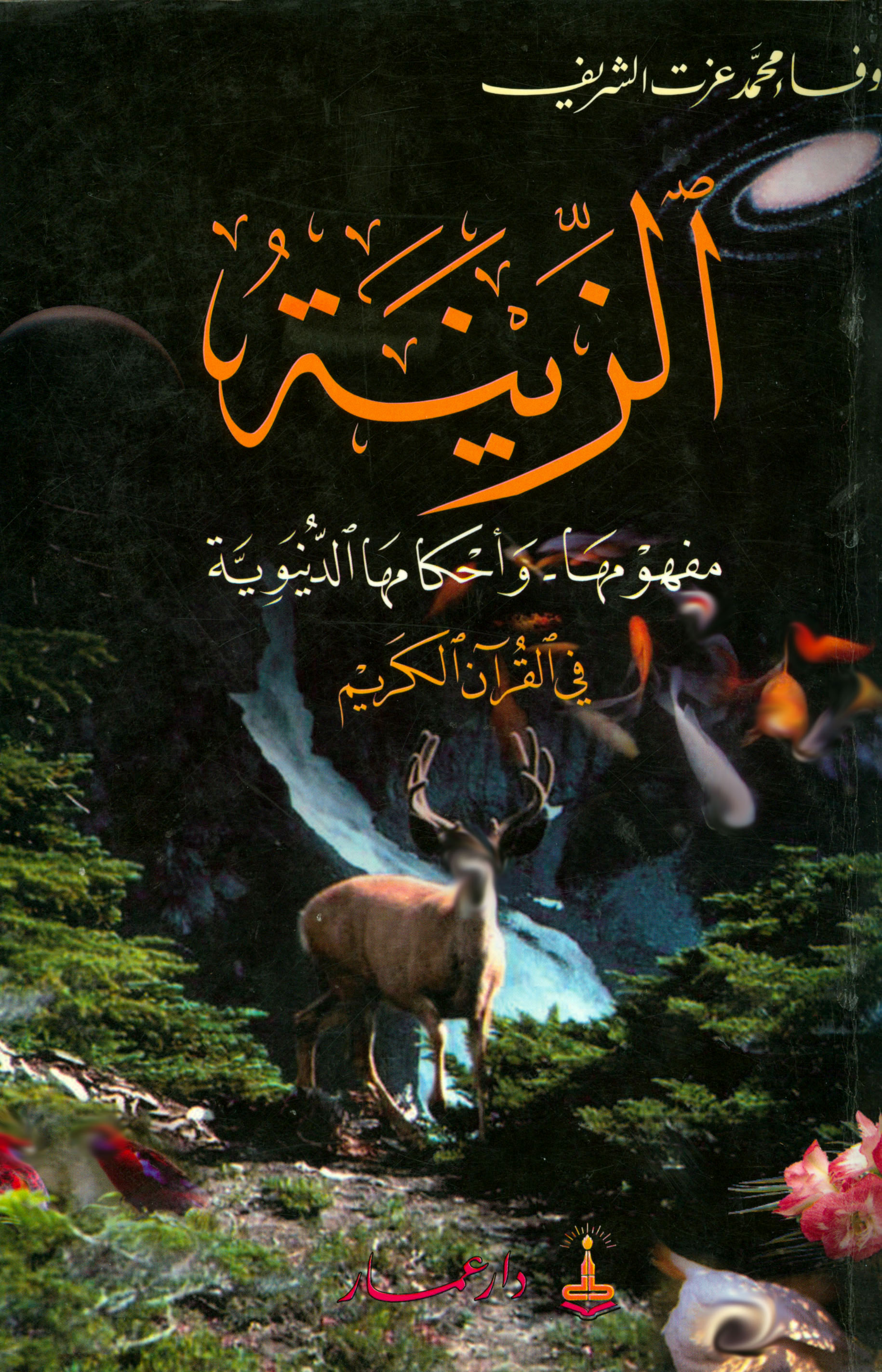

وفاء محمد عزت الشريف
الزينة
مفهومها وأحكامها الدنيوية
في القرآن الكريم
دار عمار

وفاء محمد عزت الشريف



الزينة

مفهومها - وأحكامها الدنيوية في القرآن الكريم

دار عمار

إهداء

إلى والدتي . . .

إلى التي دأبت على تعليمي . . .

إلى التي تمنت أن أكون ذات شأن . . .

إلى التي ربت فأحسنت تربيتي . . .

إلى التي عاشت حياتها لتعطي ما تقدر وتستطيع . . .

إلى التي لا أستطيع أن أوفيها حقها . . .

إلى التي أرجو أن تكون من أهل الجنة، ومن اللواني قال فيهن رسول الله ﷺ: «افتتح باب الجنة فإذا بامرأة تزاحمني على بابه فأسأل مَنْ هي: فيقولون هذه امرأة مات عنها زوجها فبقيت على عيالها تربيهم».

. . . إليك يا أمي الحنون . . . أهدي كتابي هذا

ابنتك

وفاء الشريف

الطَّبْعَة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

رقم الايداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٢/٧/١٧٩١)

٦٦٩,٣٦
شري الشريف، وفاء محمد
الزينة : مفهومها و أحكامها الدنيوية في القرآن الكريم/
وفاء محمد الشريف._عمان:المؤلف، ٢٠٠٢.
( ) ص.

ر. إ. : ٢٠٠٢/٧/١٧٩١.

الواصفات:/الفقه الإسلامي//الإسلام//القرآن//المرأة المسلمة/

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

(رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٠٠٢/٧/١٦٤٠)



عمّان - ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحجيري
تلفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ - ص.ب ٩٢١٦٩١ عمّان ١١١٩٢ الأردن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعين به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد. . .

تجتاح أمتنا المعاصرة موجة عارمة من التبرج والاختلاط، وسيل جارف من التكشف والتهتك والتعري والسفور، وعاصفة رهيبة من التبعية الشعواء والتقليد الأعمى، تهدد مجتمعنا الإسلامي بأفدح الأخطار وتنذره الخراب والدمار، وتؤدي به إلى هوة سحيقة من الانحطاط والانهيار.

إن لهذه الجائحة رغم خطرها المحدق وضررها المطبق - دعاتها ومروجيها، إما عن سوء طوية أو عن جهل وغفلة، أو عن خبث نية، أو عن عداوة وبغضاء وحقد مدفوعين من قبل عملاء من أعداء الإسلام، هؤلاء يزينون كل شيء، ويعملون ليل نهار سراً وجهراً متسترين بشعارات خادعة، وهتافات صاخبة محاولين إضلال الناس وإبعادهم عن دينهم يرأسهم في ذلك الشيطان وأعوانه.

وتراهم يضللون الناس بأفعالهم فيعيثون في الأرض الفساد والخراب، أو يزينون لهم زخرف القول وحسن الكلام، وما القصد من وراء ذلك إلا إشباع نزواتهم وغاياتهم وإرواء شهواتهم، ومقصدهم الانسلاخ من جميع الضوابط والحدود والآداب والأخلاق والتقاليد والعادات. محاولين بذلك قلب المجتمع إلى ما يناسب تفكيرهم الأعوج، وقلبهم الأسود، ونفسهم الخبيثة إلى مجتمع قائم على الفساد الأخلاقي والإباحية والإلحاد والفوضى. . .

لكن أنى لهم ذلك ناسين أن الله سبحانه وتعالى أوجد الإسلام، وجعل من المسلمين أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران].

فما وجد المسلمون من منكر إلا نهوا عنه، وابتعدوا عن فعله، فلا يزينون الخبيث، وإنما يعرفون ما الزينة وما الجمال، فيتزينون بما أمر الله، ويتخذون من الجمال طاعة لله الخالق لهذه الزينة الموجد الحق لها، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان فأحسن الخلق والصنع، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين]، فالله سبحانه وتعالى من صفاته أنه جميل يحب الجمال، قال رسول الله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»[1].

فالجمال جزء من الزينة، والزينة مطلوبة في هذه الحياة، والله تعالى جعل الدنيا وما فيها زينة للإنسان ولجميع المخلوقات، ولأن الزينة لم تحدد بزينة المرأة، وإنما تعددت واختلفت باختلاف أنواعها وأصنافها وأقسامها، فما خلق الله من شيء في هذه الحياة إلا وله زينة، والشيطان يحاول أن يجد ثغرة يستطيع من خلالها إبعاد الإنسان عن طريق الهداية فيزين للإنسان ويغويه لعلمه مدى أثر الزينة في نفس البشر، فأحياناً يأتيهم بزينة أعمالهم وأحياناً بأقوالهم، والعاقل من تنبه إلى هذه الزينة الشيطانية وإلى الطرق التي يزين بها الشيطان فيتجنبها ويبتعد عنها ويحذر منها ويحاذر الناس خشية الوقوع فيها.

ولأن الزينة أمر ضروري، أحببت أن أقف على موضوعها بكافة جوانبه، حتى أبين اختلاف أنواعها باختلاف زينتها، وما للزينة من أهمية في حياتنا الدنيوية التي ترى مردودها إن شاء الله تعالى في الآخرة.

أمرنا الله بالتزين عند كل صلاة وعند كل مسجد، والمسجد جميع الأرض، لما ورد عن رسول الله ﷺ: «جعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً»، ولما كان الإنسان مطلوباً منه التزين كان لا بد من معرفة الزينة التي يجب أن يتزين بها في كل وقت وكل حين، والتي ترضي الله سبحانه وتعالى، ويظهر أثرها على النفس البشرية خاصة وعلى المجتمع المسلم عامة، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة فقد كان يتزين للوفود التي تأتي للدخول في الإسلام.

ولا بد من معرفة أنواع الزينة وأحكامها وما الطرق التي تؤدي إلى أن يكون المسلم في أحسن ما يكون وفي أحسن هيئة وأحسن زينة، زينة تُرضي الله ورسوله ﷺ إلى جانب

---

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ج١، ص٩٣، رقم ٩١.

زينة النفس التي لا تكون إلا بالإيمان والإخلاص والنية الصادقة وبالأخلاق الحسنة يزين الإنسان بها نفسه وعمله فينبع ذلك من داخله، ويظهر في خارجه فيكون المسلم كالعلامة بين الناس لطهره ونقائه.

وموضوع الزينة يطول فيه الحديث، ولكن الحاجة ماسة إليه في هذا العصر حتى يتبين الناس الحلال من الحرام، وحتى تكون الزينة وفق رضى الله تعالى، ويبتعدوا عن التقليد الأعمى والزينة المحرمة وزينة الشيطان التي هي معصية لله سبحانه وتعالى، ولأن في هذا العصر اختلطت الأمور على غالبية الناس في الزينة فأحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله، لذلك احتاجوا لبيان أحكامها المفروضة والواجبة والمستحبة والمكروهة والمحرمة.

فموضوع الرسالة هي لضبط المعايير والانضباط في اللباس والزينة، وتبيان الغاية التي من أجلها أمرنا الله بها، وهي إقامة مجتمع طاهر الخلق، ظاهر العفة والحشمة، من صفاته الحياء الذي هو شعبة من شعب الإيمان، والبعد عن الشهوات والفتن الضالة المضلة وخاصة في هذا العصر.

والعاقل من أدرك وأيقن أن من عوامل وأسباب التخلف هو البعد عن أوامر الله واقتراف نواهيه، وإظهار عورات الإنسان واتباع غواية الشيطان ومرض القلوب والنفوس التي تؤدي بالإنسان إلى دروب الفتن ومواقع الريب، من أجل هذا كله كان لا بد من إيضاحٍ لمعنى الزينة في القرآن الكريم، لذلك أحببت أن أخصص موضوع «الزينة مفهومها وأحكامها الدنيوية في القرآن الكريم» موضوعاً للرسالة لنيل درجة الماجستير.

وقد قسمت الرسالة إلى ستة أبواب، تحدثت في الباب الأول عن معاني الزينة في اللغة العربية والقرآن الكريم والسنة النبوية، ومن ثم قمت بتفسير الآيات الخاصة بالزينة من مجموعة تفاسير منها القديم والحديث لأرى الزينة من منظور القرآن الكريم وتنوعها من خلال التفاسير، وبعد ذلك أدرجت الخلاصة من التفاسير التي قمت بالرجوع إليها، وما يفهم من الآيات الخاصة بموضوع الزينة.

أما الباب الثاني فقد تحدثت فيه عن أنواع الزينة وأقسامها عامة، سواء أكانت ظاهرة أم باطنة، مع إيراد بعض الأمثلة على كل منها، أمثلة توضيحية للزينة الباطنة أو الظاهرة، وألحقتها بصور الزينة في السماء والأرض والبحر والحيوان والنبات والإنسان، ثم انتقلت

إلى الباب الثالث وخصصته بزينة الإنسان بنوعيه الذكر والأنثى «الرجل والمرأة»، فبدأت بنشأة الزينة عند الإنسان، وتحدثت عن العورة أوضحت معناها وبيان أحكامها وأنواعها، وما الفرق بين عورة الرجل وعورة المرأة، وحدودها بالنسبة للرجل وبالنسبة للمرأة وعلى من تكون؟

ثم في الباب الرابع خصصته لأحكام الزينة، فبينت الزينة الظاهرة والزينة الباطنة الخاصة بالإنسان، ثم بينت الأحكام الشرعية للزينة، فأوضحت الزينة المفروضة والزينة الواجبة والمباحة والمكروهة، والزينة المحرمة، وأدرجت في كل منها بعض الأمثلة لتوضيحها وحكم كل منها مستندة في كل ذلك إلى آيات من القرآن وأحاديث من السنة النبوية الشريفة وآراء الفقهاء في كل منها.

وانتقلت بعد الأحكام إلى آداب اللباس وما هي بالنسبة للرجل والمرأة والأمور التي تباح والأمور المنهي عنها، ومن ثم أدرجت حكم الذهب والفضة والحرير.

ثم انتقلت في الباب الخامس إلى أثر الزينة على سلوك المسلم وعلى بيته وعلى المجتمع المسلم والمجتمع غير المسلم، ثم أتبعت الزينة بالتبرج فأوضحت معنى التبرج والاختلاط، والفرق بين الزينة الحسنة والزينة السيئة، وأثر التبرج على سلوك المسلم وعلى المجتمع المسلم، والخطر المحدق بالمجتمع من أثر التبرج والاختلاط.

أما في الباب السادس فخصصته بزينة الله سبحانه وتعالى وفيما تظهره، من خلال العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، وانتقلت بعدها إلى زينة الشيطان وكيف يؤثر في عقيدة الإنسان وعباداته ومعاملاته وأخلاقه، وما الطرق التي يستخدمها في إضلال الناس حتى يتسنى للإنسان الحذر من الوقوع في طاعته ومخالفة الله سبحانه وتعالى.

أما المصادر التي استمددت منها رسالتي فيمكن توزيعها على سبعة مصادر:

١- القرآن الكريم الذي هو منهج حياة، وكتب التفاسير منها القديم ومنها الحديث، من أهمها: جامع البيان في تفسير القرآن للإمام الطبري، وتفسير الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي، والتفسير الكبير للرازي، والكشاف للإمام الزمخشري، وتفسير الخازن، وتفسير آيات الأحكام للسايس، وصفوة التفاسير للصابوني، وغيرها من التفاسير التي أوردت ذكرها في المراجع، ولأقف على مفهوم الآيات القرآنية رجعت إلى إعراب

القرآن الكريم الآيات الخاصة بالزينة لتوضيح المعنى لدي.

٢- ثم السنة النبوية الشريفة وكتبها منها صحيح الإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم، والكتب الستة: سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه والنسائي، ومسند أحمد بن حنبل وموطأ مالك، إلى جانب شرح البيهقي والأدب المفرد للبخاري، ومنها سبل السلام للصنعاني وبعض الشروح مثل: فتح الباري شرح صحيح البخاري، وصحيح مسلم بشرح النووي، ومنها المختصرات من أهمها: مختصر سنن أبي داود ومختصر سنن النسائي للدكتور مصطفى ديب البغا، ومنها الكتب لتحقيق الحديث منها: إرواء الغليل في تخريج منار السبيل للألباني، ومنها الكتب التي تتحدث في الرجال منها: تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، وغيرها من كتب السنة التي استطعت الحصول عليها والاستفادة منها.

٣- ثم الكتب الفقهية: منها الاختيار شرح تعليل المختار لعبد الله محمود الموصلي الحنفي، ورد المحتار لابن عابدين، والعقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية لابن عابدين، ومغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج للنووي، والمغني الكبير لابن قدامة والمقدسي، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد للقرطبي، والمحلى لابن حزم، وزاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، وفقه السنة للسيد سابق، والفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري، والفتاوى لمحمود شلتوت، والحلال والحرام للقرضاوي، إلى جانب عدد كبير من كتب الفقه المعروفة القديمة والحديثة.

٤- ثم العقيدة: من أهمها: العقيدة الطحاوية وعقيدة المسلم للشيخ السائح، والله جل جلاله لسعيد حوى وغيرها.

٥- المعاجم: من أهمها: القاموس المحيط للفيروز أبادي، ومختار الصحاح للرازي، والمعجم الوجيز، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، والمعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، وفقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي، ومعجم البلدان لياقوت الحموي.

٦- باقي الموضوعات: من أهمها: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية، ومنهاج المسلم لأبي بكر الجزائري، وروح الدين الإسلامي لعفيف عبد الفتاح طبارة، ومن توجيهات الإسلام لمحمود شلتوت، والسعادة في العقيدة والعبادة من القرآن والسنة للدكتور محمد سليمان فرج وغيرها.

٧- الموسوعات: من أهمها: موسوعة مكتبة الحديث الشريف، والموسوعة الذهبية الميسرة للحديث النبوي الشريف، وموسوعة تفسير القرآن العظيم لابن كثير، وموسوعة إعراب القرآن الكريم، وغيرها من برامج الكمبيوتر مما استطعت الحصول عليه واستخدامه والاستفادة منه.

وواجبي في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الدكتور مصطفى ديب البغا الذي أشرف على رسالتي، والذي كان خير مثال للأستاذ الناصح الأمين الذي طالما رعاني بتوجيهاته الصائبة وتتبعه الدقيق الذي إن دل على شيء فإنما يدل على صدق النية وخالص العمل لله سبحانه وتعالى، وأتمنى من الله أن يجزيه عني خير الجزاء لما قدم وأجزل لي من النصائح التي كنت بحاجة إليها.

وواجبي أيضاً أن أتقدم بعظيم الشكر إلى أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة لما بذلوا من جهد في قراءة هذه الرسالة، وما قدموه من تصويب لأخطائي وملاحظات تقوم الرسالة لتكون مستحقة لما أسعى إليه.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أقول: هذا ما استطعت من محاولة أولى للبحث في هذا الموضوع، الذي أخذت عنوانه (الزينة) من بحر القرآن الكريم ووضعتها تحت المجهر وخضتُ في أرجائها، وبحثت في فحواها وجزأتها، لأستخرج منها المفهوم القرآني والحكم الرباني لموضوع الزينة، أرجو أن أكون قد وفقت لما بذلت من جهد، وأن أكون قد أوضحت مفهوم الزينة وأحكامها الدنيوية في القرآن الكريم، وما أخطأت فمن نفسي، وما أصبت فمن توفيق الله لي.

والله ولي التوفيق، وجزاكم الله عنا خير الجزاء

وفاء محمد عزت الشريف

الباب الأول
الزينة ومعانيها وأنواعها

الفصل الأول
الزينة في اللغة والقرآن والسنة
المبحث الأول
معنى الزينة في اللغة العربية

أ- الزينة من (ز ي ن) - الزينة: ما يتزين به، ويوم الزينة يوم العيد، و(الزين) ضد الشيء و(زانه وزيّنه تزييناً). والحجّام مُزَيّنٌ، وتزين وازدان. ويقال: أزينت الأرض بعشبها، وازيَّنَت مثله وأصله تزينت، فأدغم[1].

ب- (زانه) زيناً جمَّله وحسَّنه (ازدان) حَسُنَ وجملَ. (تزين) ازدان. (الزين) كل ما يزين جمعها (أزيان)، والحسن وهي زيَنَةٌ. (الزينة) ما يزين به، والزخرف (يوم الزينة) يوم العيد، والمُزَيِّن: حلاق الشعر ومصفِّفه، وهي مُزينة. زيّاه: هيأه ولبّسه، تزيا بكذا: تهيأ وتلبس، والزي: الهيئة والمنظر واللباس، جمعها أزياء[2].

جـ- الزينة - بالكسر - ما يتزيَّن به، دار الزينة قرب عدن. وزانه وأزانه وزيّنه وأزينه فتزين وازدان وازّيّن وإزيان وأزَين وزين كلها تأتي في معناها، والزانة التخمة، وحمر زيان كسحاب حسن وامرأة زائن متزينة[3].

د- الزينة: (ما تزيَّنت به المرأة من حِلي أو كحل أو خِضاب، فما كان ظاهراً منها كالخاتم والكُحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب، وما خفي منها كالسوار والخلخال

---

(١) أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، باب زين، مكتبة لبنان، ص١١٩.

(٢) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ج م ع، الطبعة الأولى ١٤٠٠-١٩٨٠م، باب الزين، ص٢٩٨.

(٣) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، باب النون فصل الزاي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧- ١٩٨٠م، ص١٥٥٤.

والدملج[1] والقلادة[2][3] والوشاح[4] والقرط[5] فلا تبديه إلا للمذكورين في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴿٣١﴾﴾ [النور]، الأب وأبو الزوج والابن وابن الزوج والأخ وابن الأخ وابن الأخت)[6].

هـ- ومن الزينة التبرُّج: (وهو تكلُّف وإظهار ما يجب إخفاؤه، وذلك من قولهم: سفينة بارج أي لا غطاء عليها، والبرج: سعة العين، يرى بياضها محيطاً بسوادها كله، لا يغيب منه شيء، إلا أنه اختص بأن تتكشف المرأة بإبداء زينتها وإظهار محاسنها، وبدا وبرز بمعنى ظهر من أخوات تبرج وتبلج)[7].

و- ومن الزينة: (الزُخرف: بالضم، وهو كمالُ حُسن الشيء، ومن القول: حسّنه بترقيش الكذب، ومن الأرض: ألوان نباتها، والزخارف: السفن، ومن السماء طرائقه، ودويبات تطير على الماء ذوات أربع، كالذباب)[8].

---

(١) الدملج مقصود منه وهو من حلي العضد.

(٢) وهو ما جُعل في العنق ويسميه العامة طوقاً، ويكون من الذهب وغيره، والإكليل (الإكليل بالكسر) التاج وشبه عصابة تزين بالجواهر، وجمعه أكاليل.

(٣) من القاموس المحيط.

(٤) وهي - قلادتان - من لؤلؤ وجوهر منظومتان، يخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر، وأديم - قطعة جلد عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها.

(٥) الحلق في الأذن كما يسميها العامة، وهي ما يعلق بشحمتها.

(٦) الكشاف، ج٣، ص٦١.

(٧) الكشاف، ج٣، ص٦٧.

(٨) القاموس المحيط، الفيروزأبادي، باب الباء فصل الزاي، ص١٠٥٤.

المبحث الثاني
الزينة في القرآن

وردت كلمة الزينة في القرآن الكريم بلفظها وما يشتقُّ منها بما يقارب ستاً وأربعين مرة.

فقد وردت كلمة ﴿زَيَّنَ﴾ ست مرات:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام].

٢- قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأنعام].

٣- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال].

٤- قال الله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦٣﴾﴾ [النحل].

٥- قال الله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل].

٦- قال الله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت].

وردت كلمة ﴿زَيَّنَّا﴾ خمس مرات:

١- قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام].

٢- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾ [النمل].

٣- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ ﴾ [الصافات].

٤- قال الله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۝١٢ ﴾ [فصلت].

٥- قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۝٥ ﴾ [الملك].

وردت كلمة ﴿زيناها﴾ مرتين:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ ﴾ [الحجر].

٢- قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا ۝٦ ﴾ [ق].

ووردت كلمة ﴿زَيَّنَه﴾ مرة واحدة:

١- في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ۝٧ ﴾ [الحجرات].

ووردت كلمة ﴿ فَزَيَّنُوا۟﴾ مرة واحدة أيضاً:

١- في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ۝٢٥ ﴾ [فصلت].

وكذلك كلمة ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ﴾ مرة واحدة أيضاً:

١- في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ۝٣٩ ﴾ [الحجر].

أما كلمة ﴿ زُيِّنَ﴾ فقد وردت عشر مرات:

١- قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۝٢١٢ ﴾ [البقرة].

٢- قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ۝١٤ ﴾ [آل عمران].

٣- قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢٢ ﴾ [الأنعام].

٤- قال الله تعالى: ﴿ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۝٣٧ ﴾ [التوبة].

٥- قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢ ﴾ [يونس].

٦- قال الله تعالى: ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۝٣٣ ﴾ [الرعد].

٧- قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ۝٨ ﴾ [فاطر].

٨- قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۝٣٧ ﴾ [غافر].

٩- قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴿١٤﴾﴾ [محمد].

١٠- قال الله تعالى: ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴿١٢﴾﴾ [الفتح].

أما كلمة ﴿ازَّيَّنَت﴾ فقد وردت مرة واحدة:

١- في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس].

وكلمة ﴿زِينَةً﴾ فقد وردت إحدى عشرة مرة:

١- قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف].

٢- قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً ﴿٨٨﴾﴾ [يونس].

٣- قال الله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴿٨﴾﴾ [النحل].

٤- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف].

٥- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

٦- قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف].

٧- قال الله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه].

٨- قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا ﴿٨٧﴾﴾ [طه].

٩- قال الله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴿٦٠﴾﴾ [النور].

١٠- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ [الصافات].

١١- قال الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد].

وأما كلمة ﴿زِينَتَكُمْ﴾ وردت مرة واحدة:

١- في قوله تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف].

وكذلك كلمة ﴿زِينَتِهِۦ﴾ وردت مرة واحدة:

١- في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ [القصص].

وكلمة ﴿زِينَتَها﴾ فقد وردت ثلاث مرات:

١- قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ [هود].

٢- قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ﴾ [القصص].

٣- قال الله تعالى: ﴿ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ ﴾ [الأحزاب].

ووردت كلمة ﴿زِينَتَهُنَّ﴾ ثلاث مرات:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور].

٢- قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ ﴾ [النور].

٣- قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور].

المبحث الثالث

الزينة في السنة النبوية

السنة النبوية ورد فيها معاني للزينة فمنها ما كانت للإنسان ومنها للحيوان، فمن الزينة التي تخص الإنسان منها الأموال ومنها زينة البدن، والقول والفعل وغيرها.

أولاً: زينة اللباس: قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى]، والتحديث بالنِّعم: هو أن يلبس الإنسان ما يزيِّنه، وذلك من قول الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف]، وقوله ﷺ: «إن الله يحب إذا أنعم على عبده نعمة أن يرى أثر نعمته على عبده»[١] وذلك إثباتاً، وقال ﷺ: «كل واشرب وتصدَّق من غير سَرَفٍ ولا مخيلة[٢]»[٣].

وقوله ﷺ: «البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم، وكفِّنوا بها موتاكم»[٤]، وعن أنس رضي الله عنه قال: قلت له: أيُّ الثياب كان أحبَّ إلى النبي ﷺ قال: الحبرة[٥]»[٦].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، وفي سنن البيهقي وابن ماجة والترمذي، وصحيح ابن حبان وموطأ مالك ومستدرك الحاكم واللفظ للترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء أنه يحب أن يرى أثر، ص١٢٣، ج٥.

(٢) مخيلة: المتكبر والمعجب بنفسه.

(٣) رواه البخاري وابن حبان في صحيحه وفي مستدرك الحاكم ومصنف عبد الرزاق، واللفظ من مستدرك الحاكم، كتاب الأطعمة، باب كتاب الأطعمة، ص١٥٠، ج٤، رقم ٧١٨٨.

(٤) رواه أبو داود والنسائي والترمذي وابن حبان وأحمد والبيهقي وابن ماجة والحاكم، واللفظ للنسائي في المجتبى، كتاب الزينة، باب الأمر بلبس البيض من الثياب، ص٢٠٥، ج٨، رقم ٥٣٢٢، كتاب الطيب، باب الأمر بالكحل، ص٨، ج٤، رقم ٣٨٧٨.

(٥) الحبرة: برود يمانية.

(٦) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن حبان وأحمد وأبو يعلى والبيهقي، واللفظ للبخاري، =

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب وجعل فصَّه مما يلي باطن كفه ونقش فيه «محمد رسول الله»، فاتَّخذ الناس مثله، فلما رآهم قد اتخذوها رمى به وقال: «لا ألبسه أبداً»، ثم اتخذ خاتماً من فضة، فاتخذ الناس خواتيم الفضة.. قال ابن عمر: فلبس الخاتم بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان حتى وقع من عثمان في بئر أريس[1].

ثانياً: زينة المُحْرِم والمُحْرِمة: أما زينة المحرم والمحرمة فحدِّدت: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رجل فقال: يا رسول الله، ماذا تأمرنا أن نلبس من الثياب في الإحرام؟ فقال ﷺ: «لا تلبسوا القُمص والا السراويلات[2] ولا العمائم ولا البرانس إلاَّ أن يكون أحدٌ ليست له نعلان فليلبس الخُفَّين وليقطعهما أسفل من الكعبين، ولا تلبسوا شيئاً مسَّه زعفران ولا الوَرْس، ولا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القَفازَّين»[3].

ثالثاً: زينة البدن: عن أبي هريرة رضي الله عنه: «الفِطرة خمس، أو خمسٌ من الفطرة: الخِتان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقصِّ الشَّارب»[4]، وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خالفوا المشركين، وَفِّرُوا اللِّحى وأَحْفُوا الشَّوارب»[5]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إنَّ اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»[6].

رابعاً: زينة المرأة: فقد قال ﷺ: «لا يقبل الله من امرأةٍ صلاة حتى تواري زينتها، ولا من جاريةٍ بلغت المحيض حتى تختمر»[7]، وقال ﷺ: «أيُّما امرأةٍ استعطرت فمرَّت

= كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة، ص٢١٨٩، ج٥، رقم ٥٤٧٥.

(١) رواه البخاري وأبو داود والنسائي وابن حبان، كتاب اللباس، باب خواتيم الذهب، ص٢٢٠٢، ج٥، رقم ٥٥٢٧.

(٢) السراويل: جمع سروال وهي كلمة فارسية معربة، ويقال: سروله أي: ألبسه السراويل.

(٣) رواه البخاري، ص٤٠، ج٣.

(٤) رواه البخاري، ص٢٢٩٣، ج٧.

(٥) رواه البخاري، ص٢٩٣، ج٧.

(٦) رواه البخاري، ص٢٩٥، ج٧.

(٧) الصنعاني في سبل السلام، ص٣٠٢، ج١.

على قومٍ ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية»[1]، وقال ﷺ: «انهوا نساءكم عن لبس الزِّينة والتبختُر في المساجد، فإن بني إسرائيل لم يُلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترن في المساجد»[2].

خامساً: الزينة المُحَرَّمة: عن البراء بن عازب رضي الله عنه، نهانا النبي ﷺ عن سبع: «نهى عن خاتم الذهب أو قال حلقة الذهب وعن الحرير والإستبرق والديباج والميثرة الحمراء والقسي وآنية الفضة، وأمرنا بسبع: بعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس وردِّ السلام وإجابة الداعي وإبرار القسم ونصر المظلوم»[3].

وعنه ﷺ: «نهى عن لبس الحرير إلا موضع إصبع أو ثلاث أو أربع وقال: ليكوننَّ من أمتي أقوام يستحلِّون الحِرَ والحرير»[4]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «إن النبي ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة والواشِمة والمستوشِمة»[5]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبَّه بقومٍ فهو منهم»[6]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله إلى من جرَّ ثوبه خَيلاء»[7].

سادساً: زينة القول: عن عبد الله رضي عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الصِّدق يهدي إلى البِّر وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وإنَّ الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذَّابا»[8]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق

---

(١) مجتبى النسائي، كتاب الزينة، باب ما يكره للنساء من الطيب، ص١٥٣، ج٨، رقم ٥١٢٦.
(٢) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب فتن النساء، ص١٣٢٦، ج٢، رقم ٤٠٠١.
(٣) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب خواتيم الذهب، ص٢٢٠٢، ج٥، رقم ٥٥٢٥.
(٤) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، ص١٦٤٣، ج٣، رقم ٢٠٦٩.
(٥) مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، ص١٦٧٧، ج٣، رقم ٢١٢٤.
(٦) صحيح البخاري، كتاب اللباس، ص٢١٨١، ج٥، رقم ٥٤٤٦.
(٧) صحيح البخاري، كتاب اللباس، ص٢١٨١، ج٥، رقم ٥٤٤٦.
(٨) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [البقرة]، =

ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[1].

هذا وقد ورد عدة أحاديث تختصُّ بالزينة ستأتي في أثناء البحث، كلٌّ في موقعه إن شاء الله تعالى.

= ص٢٢٦١، ج٥، رقم ٥٧٤٣.

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ص٢١، ج١، رقم ٣٣.

الفصل الثاني
معاني الزينة وأنواعها
المبحث الأول
معاني الزينة في القرآن الكريم وتفاسيرها

اختلفت الزينة - بمعنى التزيين - بين معنى وآخر في ورودها، ونجد أنها اختلفت باختلاف موضعها الذي جاءت به في القرآن الكريم، وذلك دليل على أن الزينة موجودة في كل شيء.

ولو نظرنا إلى تفاسير الآيات التي جاء فيها ذكر الزينة لعرفنا اختلاف معانيها، فلنتتبع الآيات لنستوضح كل معانيها التي جاءت بها:

ما ورد في تفسير قوله: ﴿زَيَّنَ﴾ أمور منها:

١- **قال الله تعالى:** ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ **[الأنعام]**.

ففي تفسير ابن كثير جاء تفسيرها: (أي أن قلوبكم ما رقت ولا خشعت بل زيَّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الشِّرك والمعاندة والمعاصي)[١]، أمَّا الزمخشري فقال في تفسيره في سورة الأنعام: (أي أغواهم بالمعاصي وحملهم عليها)[٢]، وأما الخوارزمي في تفسير الكشاف فقال: (أي أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم)[٣]، وفي تفسير السعدي قال: (أي

(١) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة الأنعام.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٤٢٥.

(٣) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٢، ص١٩.

استحجرت فلا تلين للحقِّ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فظنوا أن ما هم عليه دين للحق فتمتعوا في باطلهم برهة من الزمان ولعب بعقولهم الشيطان»[1]، أما محمد علي الصابوني فقال في صفوة التفاسير: (أي: ولكن ظهر منهم النقيض حيث قست قلوبهم فلم تلن للإيمان وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون أي: زين لهم المعاصي والإصرار على الضلال)[2].

٢- قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأنعام].

مناسبة نزول الآية الكريمة: قال ابن عباس: (إنَّ أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثاً أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منه جزءاً وللوثن جزءاً، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه، وإن سقط منه شيء فيما سمي لله ردوه إلى ما جعلوه للوثن، وقالوا إن الله غني والأصنام أحوج).

قال ابن كثير في تفسيره: (وكما زينت الشياطين لهؤلاء أن يجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً، زينوا لهم قتل أولادهم خشية الإملاق - الفقر - ووأد البنات خشية العار)، قال علي بن طلحة عن ابن عباس: كذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم زينوا لهم قتل أولادهم، وقال مجاهد: شركاؤهم: شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خشية العيلة، وقال السدي: أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات إما ليردوهم فيهلكوهم، وإما ليلبسوا عليهم دينهم أي فيخلطون عليهم دينهم)[3].

وأما الزمخشري في الكشاف فقال: (وكذلك مثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى والآلهة، أو مثل ذلك التزيين وهو تزيين البليغ الذي هو علم من الشياطين، والمعنى: أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام زيَّنوا لهم قتل أولادهم بالوأد أو بنحرهم للآلهة، وكان الرجل في الجاهلية يحلف لئن وُلد له كذا غلاماً لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب، وقرىء ﴿زَيَّنَ﴾ على البناء للفاعل الذي هو

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٢، ص٢٢٣.
(٢) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج١، ص٣٩٠.
(٣) مختصر ابن كثير، ج١، ص٦٢٢.

﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ ونصب قتل أولادهم، و﴿زَيَّنَ﴾ على البناء للمفعول الذي هو القتل، ورفع ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ والمعنى: أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم)[١].

أما عند القرطبي فقال: (فكما زُيِّن لهؤلاء أن جعلوا لله نصيباً ولأصنامهم نصيباً، كذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم، قال مجاهد وغيره: زيِّنت لهم قتل البنات مخافة العيلة، وقال الفراء والزجاج: شركاؤهم هاهنا هم الذين كانوا يخدمون الأوثان، وقيل: هم الغواة من الناس. وقيل: هم الشياطين، وأشار إلى الوأد الخفي وهو دفن البنت حية مخافة السِّباءِ والحاجة وعدم ما حُرِمن من النصرة، وسمى الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم في معصية الله، فأشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم)[٢].

أما في تفسير السعدي فقال: (ومن سفه المشركين وضلالهم أنه زيِّن لكثير من المشركين شركاؤهم أي: رؤساؤهم وشياطينهم قتل أولادهم، وهو الوأد الذين يدفنون أولادهم خشية الافتقار والبنات خشية العار، وكل هذا من خدع الشياطين الذين يريدون أن يردوهم بالهلاك ويلبسوا عليهم دينهم فيفعلون الأفعال التي في غاية القبح، ولا يزال شركاؤهم يزينونها لهم حتى تكون عندهم من الأمور الحسنة والخصال المستحسنة، ولو شاء الله أن يمنعهم ويحول بينهم وبين هذه الأفعال ويمنع أولادهم عن قتل الأبوين لهم ما فعلوه. ولكن اقتضت حكمته التخلية بينهم وبين أفعالهم استدراجاً منه لهم وإمهالاً لهم وعدم المبالاة بما هم عليه)[٣]، وأما في صفوة التفاسير فقال: (أي مثل ذلك التزيين في قسمة القربان بين الله وبين آلهتهم زين شياطينهم لهم قتل أولادهم بالوأد أو بنحرهم لآلهتهم)[٤].

---

(١) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٢، سورة الأنعام.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، سورة الأنعام، ص٩١.

(٣) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٢، سورة الأنعام، ص٢٢٣.

(٤) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج١، سورة الأنعام، ص٤٢١.

٣- قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنفال].

قال في تفسير السعدي: (أي حسَّنها في قلوبكم وقال: ﴿ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فإنكم في عَدَد وعُدَد وهيئة لا يقاومكم فيها محمد وأعوانه)[١]، أما عند الزمخشري فقال في تفسيره: (﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ التي عملوها في معاداة رسول الله ﷺ ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون، وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يحيرهم، فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم: أي بطل كيده حين نزلت جنود الله. وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم، وقيل: لما اجتمعت قريش على السير ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب، فكاد ذلك يثنيهم: فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جشم الشاعر الكناني، وكان من أشرافهم في جند من الشياطين، معه راية وقال: لا غالب لكم اليوم، وإني مجيركم من بني كنانة، فلما رأى الملائكةَ تنزلُ نكصَ. وقيل: كانت يده في يد الحرث بن هشام، فلما نكص قال له الحرث: إلى أين تخذلنا في هذه الحال؟ فقال: إني أرى ما لا ترون، ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا، فلما بلغوا مكة قالوا: هزم الناسَ سراقة، فبلغ ذلك سراقة فقال: والله ما شعرت بمسيرتكم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان)[٢].

وأمَّا الصابوني فقال في صفوة التفاسير: (أي: واذكر وقت أن حَسَّن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة من الشرك وعبادة الأصنام وخروجهم لحرب رسول الله عليه السلام، وقال: لن يغلبكم محمد وأصحابه وإني مجير ومعين لكم، فلما تلاقى الفريقان ولَّى الشيطان هارباً مولياً الأدبار وقال: إني بريء من عهد جواركم، وهذه مبالغة في الخذلان لهم. إني أرى الملائكة نازلين لنصرة المؤمنين وأنتم لا ترون ذلك، وفي الحديث الشريف: «ما رُؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغرَ ولا أدحرَ ولا أحقر، ولا أغيظ منه في يوم

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٣، ص٨٤.

(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٢، ص١٦٣.

عرفة، إلا يوم بدر، فإنه رأى جبريل يَزَعُ الملائكة)[١] أي يصفُّها للحرب)[٢].

٤- قال الله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦٣﴾﴾ **[النحل].**

جاء في تفسير ابن كثير: (يذكر الله تعالى أنه أرسل إلى الأمم الخالية رسلاً فكذَّبت الرسل فلك يا محمد في إخوانك من المرسلين أسوة فلا يهيدنك تكذيب قومك لك، وأما المشركون الذين كذبوا الرسل فإنما حملهم على ذلك تزيين الشيطان لهم ما فعلوه)[٣]، وأما في القرطبي فقال: (أي أعمالهم الخبيثة، وهذه تسلية للنبي ﷺ بأن مَنْ تَقدَّمه من الأنبياء قد كفر بهم قومهم)[٤]، وفي تفسير السعدي: (بيَّن الله تعالى لرسوله ﷺ أنه ليس هو أول رسول كُذِّب، فقال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلاً يدعونهم إلى التوحيد ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فكذبوا الرسل وزعموا أن ما هم عليه هو الحق المنجي من كل مكروه، وأن ما دعت إليه فهو بخلاف ذلك، فلما زيَّن لهم الشيطان أعمالهم صار وليهم في الدنيا)[٥]، وفي صفوة التفاسير: أي: والله لقد بعثنا قبلك يا محمد رسلاً إلى أقوامهم فحسَّن الشيطان أعمالهم القبيحة حتى كذبوا الرسل وردوا عليهم ما جاؤوهم به من البينات[٦].

٥- قال الله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٤﴾﴾ **[النمل].**

جاء في تفسير ابن كثير: (﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ﴿٢٥﴾﴾ [النمل] أي: لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها)[٧]، وفي تفسير القرطبي قال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ

(١) رواه مالك بن أنس في الموطأ، كتاب الحج، باب جامع الحج، ص٤٢٢، ج١، رقم ٩٤٤.
(٢) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج١، سورة الأنفال، ص٥٠٨.
(٣) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة النحل.
(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص١٢١.
(٥) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٤، ص١٠٥.
(٦) محمد بن علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج٢، سورة النحل، ص١٣٢.
(٧) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة النمل.

﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أي: ما هم فيه من الكفر ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: عن طريق التوحيد، وبيَّن بهذا أن ما ليس بسبيل التوحيد فليس بسبيل ينتفع به على التحقيق[1]، وأما في الكشاف: أضاف الهدهد التزيين إلى الشيطان[2]، وأما في تفسير السعدي: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ فرأوا ما هم عليه هو الحق ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ لأن الذي يرى أن الذي عليه حق لا مطمع في هدايته حتى تتغير عقيدته[3]، وأما في صفوة التفاسير: أي حَسَّنَ لهم إبليس عبادتهم الشمس وسجودهم لها من دون الله، ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي منعهم بسبب هذا الضلال عن طريق الحق والصواب ﴿فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ أي: فهم بسبب إغواء الشيطان لا يهتدون إلى الله وتوحيده[4].

٦- **قال الله تعالى:** ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٨﴾ **[العنكبوت].**

جاء في تفسير القرطبي: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أي: أعمالهم الخسيسة فحسبوها رفيعة[5]، وفي تفسير السعدي: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ حتى ظنوا أنها أفضل مما جاءتهم به الرسل وكذلك قارون وفرعون وهامان حين بعث الله إليهم موسى بن عمران بالآيات البينات والبراهين الساطعات فلم ينقادوا واستكبروا في الأرض على عبادة الله فأذلوهم وعلى الحق فردوه، فلم يقدروا على النجاة حين نزلت بهم العقوبة[6]، وأما في صفوة التفاسير: أي وحسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة من الكفر والمعاصي حتى رأوها حسنة ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ أي: فمنعهم عن طريق الحق، وكانوا عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال لكنهم لم يفعلوا تكبراً وعناداً[7].

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص١٨٥.
(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٣، ص١٤٤.
(٣) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٥، ص٢٧٦.
(٤) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج٢، ص٤٠٧.
(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٣٤٤.
(٦) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٦، ص٤٤.
(٧) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج٢، ص٤٦١.

أما ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا﴾:

١- قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام].

جاء في تفسير ابن كثير: أي وكما زيَّنا لهؤلاء القوم حب الأصنام والمحاماة لها والانتصار، كذلك زيَّنا لكل أمة من الأمم الخالية على الضلال عملهم الذي كانوا فيه، ولله الحجة البالغة والحكمة التامة فيما يشاؤه ويختار ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ أي معادهم ومصيرهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: يجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر)[١]، وأما في تفسير القرطبي: أي كما زيَّنا لهؤلاء كذلك زيَّنا لكل أمةٍ عملهم، قال ابن عباس: زينا لأهل الطاعة الطاعةَ ولأهل الكفر الكفر[٢]، وفي الكشاف: مثل ذلك التزيين زينا لكل أمة من الأمم الكافرة سوء عملهم، أي: خلَّيناهم وشأنهم، ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم، وأمهلنا الشيطان حتى زين لهم أو زيناه في زعمهم، وقولهم إن الله أمرنا بهذا وزينه لنا فينبئهم فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم[٣].

وفي تفسير السعدي: ينهى الله المؤمنين عن أمرٍ كان جائزاً بل مشروعاً في الأصل، وهو سَبُّ الآلهة التي اتخذت أوثاناً وآلهة، مع الله التي يتقرَّب إلى الله بإهانتها وسبها، ولكن لما كان هذا السبُّ طريقاً إلى سب المشركين لرب العالمين الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل عيبٍ وآفة وسبٍّ وقدح. نهى الله عن سبِّ آلهة المشركين، لأنهم يحمون دينهم ويتعصبون له، لأن كل أمة زيَّن الله لهم عملهم فرأوه حسناً وذبُّوا عنه ودافعوا بكلِّ طريقٍ حتى أنهم يسبُّون الله رب العالمين الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجَّار إذا سَبَّ المسلمون آلهتهم، ولكن الخلق كلهم مرجعهم ومآلهم إليه يوم القيامة، يعرضون عليه وتعرض أعمالهم، فينبئهم بما كانوا يعملون من خيرٍ وشر. وهذه الآية الكريمة دليلٌ للقاعدة الشرعية: وهي أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وإن وسائل المحرم ولو كانت جائزة تكون محرَّمة إذا كانت تفضي إلى شر[٤].

---

(١) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة الأنعام.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص٦١.

(٣) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٢، ص٤٣.

(٤) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٢، ص٢٠١.

٢- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤﴾ [النمل].

جاء في تفسير ابن كثير: (أي يكذِّبون بها ويستبعدون وقوعها وزيَّنا لهم أعمالهم، أي: حَسَّنا لهم ما هم فيه ومددنا لهم في غيِّهم يتيهون في ضلالهم، وكان هذا جزاء على ما كذبوا من الدار الآخرة)(١)، وأما في القرطبي: (قيل: أعمالهم السيئة حتى رأوها حسنة، وقيل: زينا لهم أعمالهم الحسنة فلم يعملوها. قال الزجاج: جعلنا جزاءهم على كفرهم أنْ زينا لهم ما هم فيه)(٢)، وفي تفسير السعدي: (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ويكذِّبون بها ويكذبون من جاءَ بإثباتها ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ حائرين مترددين مؤثرين سخط الله على رضاه قد انقلبت عليهم الحقائق فرأوا الباطل حقاً والحقَ باطلاً)(٣)، وفي صفوة التفاسير: (المراد من التزيين هو أن يخلق في قلبه العلم بما فيها من المنافع واللذات، ولا يخلق في قلبه العلم بما فيها من المضار والآفات)(٤).

٣- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ [الصافات].

ابن كثير: (يخبر الله تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب، قرىء بالإضافة والبدل، فالكواكب السيارة والثوابت وكلاهما بمعنى واحد يثقب ضوؤها جرم السماء الشفاف فتضيء لأهل الأرض كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ [الملك]، وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [الحجر])(٥).

وفي القرطبي: (قال قتادة: خلقت النجوم ثلاثاً: رجوماً للشياطين ونوراً يهتدى به، وزينة لسماء الدنيا. والمعنى: بأنْ زينا الكواكب فيها، وزينا السماء الدنيا بتزيين الكواكب أي بحسن الكواكب)(٦)، وفي الكشاف: ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ القربى منكم، والزينة مصدر كالنسبة

---

(١) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة النمل.
(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص١٥٥.
(٣) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٥، ص٢٧١.
(٤) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج٢، ص٤٠٢.
(٥) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة الصافات.
(٦) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص٦٤-٦٥.

واسم لما يُزان به الشيء، ويحتملها قوله: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ فإن أردنا المصدر فعلى إضافته إلى الفاعل، أي بأن زانتها الكواكب، وأصله بزينة الكواكب أو على إضافته إلى المفعول، أي: بأن زان الله تعالى الكواكب وحسَّنها، لأنها إنما زينت السماء لحسنها في أنفسها وأصله بزينة الكواكب، وهي قراءة أبي بكر والأعمش وابن وثاب، وإن أردنا الاسم فللإضافة وجهان:

١- أن تقع الكواكب بياناً للزينة، لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به.

٢- أن يراد ما زينت به الكواكب.

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه بزينة الكواكب أي: بضوء الكواكب، ويجوز أو يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش[1] والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها. وقرىء على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الإبدال، ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلاً من محل زينة - وحفظاً مما حمل على المعنى: إنا خلقنا الكواكب زينةً للسماء وحفظاً من الشياطين كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾، ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل: وحفظاً من كلِّ شيطان، زيناها بالكواكب، وقيل: حفظناها حفظاً)[2].

أما في تفسير السعدي: (ذكر الله في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين:

إحداهما: كونها زينةً للسماء، إذ لولاها لكانت السماء مظلمة لا ضوء فيها، ولكن زيَّنها بها لتستتر أرجاؤها وتحسن صورتها ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل.

الثانية: حراسة السماء من كل شيطان مارد يصل بتمرده إلى استماع الملأ الأعلى وهم الملائكة)[3].

---

(١) بنات نعش: سبعة كواكب، أربعة منها نعش وثلاث بنات.

(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٣، ص٢٣٥.

(٣) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٦، ص١٨٠.

٤- **قال الله تعالى:** ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ﴾ [فصلت].

جاء في صفوة التفاسير: (أي وزينا السماء الأولى القريبة منكم، بالكواكب المنيرة المشرفة على أهل الأرض، وحرساً من كل الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى)[1]، وفي تفسير الكشاف: (هي الكواكب المنيرة المشرفة على أهل الأرض، وحفظاً، أي: حرساً من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى)، وقال القرطبي: (أي بكواكب تضيء، وقيل: إن في كل سماءٍ كواكب تضيء، وقيل: بل الكواكب مخصصة بالسماء الدنيا وحفظناها من الشياطين الذين يسترقون السمع، وهذا الحفظ بالكواكب التي ترجم بها الشياطين، وظاهر هذه الآية يدلُّ على أن الأرض خلقت قبل السماء)[2]، وأما في السعدي فقال: (هي النجوم يستنار بها ويهتدى، وتكون زينة وجمالاً للسماء ظاهراً، وحفظاً لها باطناً بجعلها للشياطين لئلا يُسترق السمع فيها)[3].

٥- **قال الله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك].

قال في تفسير ابن كثير: (وهي الكواكب التي وُضعت فيها من السيارات والثوابت، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾، عاد الضمير في قوله على جنس المصابيح لا على عينها لأنه لا يرمى بالكواكب التي في السماء بل بشهبٍ من دونها، وقد تكون مستمدَّة منها والله أعلم)[4]، وفي تفسير الكشاف: ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ القربى لأنها أقرب السماوات إلى الأرض، ومعناها السماء الدنيا منكم، والمصابيح: السرج سُميت بها الكواكب. والناس يزيِّنون مساجدهم ودورهم بألقاب المصابيح، فقيل: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا﴾ سقف الدار التي اجتمعتم فيها ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ أي: مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة، وضممنا إلى ذلك منافع أخر: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ أعدائكم الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر)، وفي تفسير القرطبي: (جمع مصباح وهو السراج، وتسمى الكواكب مصابيح لإضاءتها ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ أي: جعلنا شهبها، فحذف المضاف، دليله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات] وعلى هذا فالمصابيح لا تزول

---

(١) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج٣، ص١١٨.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص٣١٤.

(٣) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٧، ص٧٨.

(٤) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة الملك.

ولا يرجم بها، وقيل: إن الضمير راجع إلى المصابيح، على أن الرجم من أنفس الكواكب، ولا يُسقط الكوكب نفسه، إنما ينفصل منه شيء ويرجم به من غير أن ينقص ضوؤه ولا صورته، وهي زينة قبل أن يرجم بها الشياطين.

ما ورد في تفسير قوله: ﴿زيَّناها﴾:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ **[الحجر].**

قال في تفسير ابن كثير: (يذكر الله تعالى خلقه السماء في ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات، لمن تأمَّل وكرَّر النظر فيما يرى من العجائب والآيات الباهرات، ما يحار نظره فيه، ولهذا قال مجاهد وقتادة: والبروج ها هنا هي الكواكب)[١]، وأما القرطبي فقال: (لما ذكر كفر الكافرين وعجز أصنامهم ذكر كمال قدرته، ليستدل بها على وحدانيته، والبروج هي: القصور والمنازل. قال ابن عباس: أي وجعلنا في السماء بروج الشمس والقمر، أي: منازلهما، وأسماء هذه البروج: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت.

والعرب تعد المعرفة بمواقع النجوم وأبوابها من أَجَلِّ العلوم، ويستدلُّون بها على الطرقات والأوقات والخصب والجدب. وقالوا: الفلك اثنا عشر برجاً كل برج ميلان ونصف، وأصل البروج الظهور، ومنه تبرج المرأة بإظهار زينتها، وقال الحسن وقتادة: البروج النجوم، وسميت بذلك لظهورها وارتفاعها. وقيل: الكواكب العظام، قاله أبو صالح: يعني السبع السيارة.

وقال قوم: ﴿بُرُوجًا﴾، أي: قصوراً وبيوتاً فيها الحرس، خلقها الله في السماء، ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾ يعني السماء كما قال في سورة الملك: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ ﴿٥﴾﴾، ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ للمعتبرين والمتفكِّرين)[٢]، وقال السعدي في تفسيره: (أي نجوماً كالأبراج والأعلام العظام، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ فإنه لولا النجوم لما كان للسماء هذا المنظر البهي والهيئة العجيبة، وهذا ما يدعو الناظرين

---

(١) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة النمل.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٩-١٠.

إلى التأمل فيها والنظر في معانيها والاستدلال بها على باريها ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر] إذا استرق السمع أتبعته الشهب الثواقب فبقيت السماء ظاهرها محملاً بالنجوم النيرات، وباطنها محروساً ممنوعاً من الآفات)[1].

٢- قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ﴿٦﴾﴾ [ق].

جاء في تفسير ابن كثير: (يقول الله منبهاً للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجَّبوا مستبعدين لوقوعه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾، أي: بالمصابيح، ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ قال مجاهد: يعني من شقوق، وقال غيره: فتوق أو صدوع)[2]، وفي الكشاف: (أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى آثار قدرة الله في خلق العلم. ﴿بَنَيْنَاهَا﴾ أي: رفعناها بغير عمد)[3]، وأما في تفسير القرطبي: (نظر اعتبار وتفكر، وأن القادر على إيجادها قادر على الإعادة ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ فرفعناها بلا عمد ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالنجوم ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ جمع فرج وهو الشق)[4].

وفي تفسير السعدي: (لما ذكر الله تعالى حالة المكذبين وما ذمهم به دعاهم إلى النظر في آياته الأفقية، كي يعتبروا ويستدلُّوا بها على ما جعلت أدلة عليه فقال: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ أي: لا يحتاج ذلك النظر إلى كلفة وشد رَحْل، بل هو في غاية السهولة، فينظروا ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ قبة مستوية الأرجاء ثابتة البناء مزينة بالنجوم الخُنَّس[5] والجواري الكنس[6]، التي ضربت من الأفق إلى الأفق في غاية الحسن والملاحة، لا ترى فيها عيباً ولا فروجاً ولا ضلالاً ولا خلالاً، قد جعلها الله سقفاً لأهل الأرض، وأودع فيها من مصالحهم الضرورية ما أودع)[7].

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٤، ص٧٩.

(٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة ق.

(٣) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٤، ص٤.

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٧، ص٦.

(٥) النجوم المضيئة التي تختفي بالنهار، وتظهر بالليل.

(٦) التي تجري وتسير مع الشمس والقمر ثم تستتر وقت غروبها.

(٧) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٨، ص١٣.

وقال في صفوة التفاسير: (أي أفلم ينظروا نظر تفكُّر واعتبار إلى السماء في ارتفاعها وإحكامها، فيعلموا أن القادر على إيجادها قادر على إعادة الإنسان بعد موته؟ ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ أي: كيف رفعناها بلا عمد وزيناها بالنجوم ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي: وما لها من شقوق وصدوع)[١].

ما قيل في تفسير قوله: ﴿زَيَّنَه﴾:

١- في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ⁽٧⁾﴾ [الحجرات].

جاء في تفسير ابن كثير: (أي: حَبَّبه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم، وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز، حدثنا علي بن مسعدة، حدثنا قتادة، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «الإسلام علانية والإيمان في القلب» قال: ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول: «التقوى ها هنا التقوى ها هنا»[٢][٣]، وفي تفسير السعدي: (والله تعالى يحبب إليكم الإيمان ويزينه في قلوبكم بما أودع في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره، وبما نصب على الحق من الشواهد والأدلة الدالة على صحته، وقبول القلوب والفِطر له، يفعله تعالى بكم من توفيقه للإنابة إليه)[٤]، وفي تفسير الكشاف قال: (أي إلى بعضكم، وهذا من إيجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها إلا الخواص)[٥].

وفي تفسير القرطبي قال: (هذا خطاب للمؤمنين المخلصين الذين لا يكذبون النبي ﷺ ولا يخبرون بالباطل، أي جعل الإيمان أحب الأديان إليكم ﴿وَزَيَّنَهُۥ﴾ بتوفيقه ﴿فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي حَسَّنه إليكم حتى اخترتموه، فهو سبحانه المتفرد بخلق ذوات الخلق وخلق أفعالهم وصفاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم لا شريك له)[٦]، وفي صفوة التفاسير: (أي: ولكنه

---

(١) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج٣، ص٢٤٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، أنس بن مالك، ج٣، ص٥٩٤، رقم ١١٩٧٣.

(٣) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة الحجرات.

(٤) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٨، ص٥.

(٥) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٣، ص٥٤٤.

(٦) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص٣١٤.

تعالى - بمنه وفضله - نور بصائركم فحبَّبَ إلى نفوسكم الإيمان ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي وحَسَّنه في قلوبكم، حتى أصبح أغلى عندكم من كل شيء)[١].

ما جاء في تفسير قوله: ﴿فَزَيَّنُوا۟﴾.

ورد في تفسير ابن كثير: (يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته - وهو الحكيم في أفعاله - بما قيض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: حسنوا لهم أعمالهم في الماضي وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين)[٢]، وفي الكشاف: (﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا﴾ قدرنا لهم، يعني لمشركي مكة ﴿قُرَنَآءَ﴾ أخداناً من الشياطين، جمع قرين، إنه خذلهم ومنعهم من التوفيق لتصميمهم على الكفر، فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين)[٣]، وفي تفسير القرطبي: (قال النقاش: أي هيأنا لهم شياطين، وقيل: سلطنا عليهم قرناء يزينون عندهم المعاصي، وهؤلاء القرناء من الجن والشياطين ومن الإنس أيضاً، أي: سَبَّبنا لهم قرناء، ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا فحسنوه لهم حتى آثروه على الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ حسنوا لهم ما بعد مماتهم، ودعوهم إلى التكذيب بأمور الآخرة.

قيل: ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ في النار ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم﴾ أعمالهم في الدنيا، المعنى: قدرنا عليهم أن ذلك سيكون وحكمنا به عليهم)[٤]، وقال في تفسير السعدي: (أي لهؤلاء الظالمين الجاحدين للحق ﴿قُرَنَآءَ﴾ من الشياطين ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فالدنيا زخرفوها بأعينهم ودعوهم إلى لذَّاتها وشهواتها المحرَّمة حتى افتتنوا، فأقدموا على معاصي الله وسلكوا ما شاؤوا من محاربة الله ورسوله، والآخرة بَعَّدوها عليهم وأنسوهم ذكرها، وربما أوقعوا عليهم الشبه بعدم وقوعها، فترحَّل خوفها من قلوبهم، فقادوهم إلى الكفر والبدع والمعاصي، وهذا التسليط والتقييض من الله للمكذبين الشياطين، بسبب

---

(١) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج٣، ص٢٣٤.

(٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة فصلت: ٢٥.

(٣) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٣، ص٤٥١-٤٥٢.

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص٣٥٤-٣٥٥.

إعراضهم عن ذكر الله وآياته وجحودهم الحق)[1].

ما جاء في تفسير قوله ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾:

١- في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر].

جاء في تفسير ابن كثير: (يقول الله مخبراً عن إبليس وتمرُّده وعتوِّه أنه قال للرب: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ قال بعضهم: أقسم بإغواء الله له، وقال ابن كثير: يحتمل أنه بسبب ما أغويتني وأضللتني ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ أي لذرية آدم عليه السلام ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: حبَّب إليهم المعاصي وأرغبهم فيها وأزعجهم إليها إزعاجاً ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: كما أغويتني وقدرت عليَّ ذلك)[2].

وفي تفسير القرطبي: (تزيينه هنا يكون على وجهين:

١- إما بفعل المعاصي.

٢- وإما بشغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعة.

ومعنى ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: لأضلنهم عن طريق الهدى، وروى ابن لهيعة عبد الله، عن رواج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: إن إبليس قال: يا رب، وعزتك وجلالك لا أزالُ أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسامهم، فقال الرب: وعزَّتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني)[3]، أما في الكشاف قال: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء للقسم، وما المصدرية، وجواب القسم ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾ المعنى: أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم، ومعنى إغوائه إياه تسبيبه لغيه بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأفضى إلى غيِّه، وما الأمر بالسجود إلا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله، ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك، والله تعالى بريء من غيه ومن إرادته والرضا به.

ونحو قوله: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ ويكون المعنى: بسبب تسبيبك لإغوائي أقسم

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٧، ص٨٢.

(٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة الحجر.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٢٧.

لأفعلن بهم ما فعلتَ بي من التسبيب لإغوائهم، بأن أزينن لهم المعاصي، وأوسوس إليهم ما يكون سبب هلاكهم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۝١٧٦﴾ [الأعراف] أي: لأزينها في أعينهم ولأحدثهم بالزينة في الدنيا وحدها يستحبوها على الأرض ويطمئنوا إليها دونها ونحوه)[1].

وجاء في تفسير السعدي: (أي أزين لهم في الدنيا وأدعوهم إلى إيثارها على الأخرى حتى يكونوا منقادين لكل معصية ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: أصدهم كلهم عن الصراط المستقيم)[2].

ما جاء في تفسير قوله: ﴿زُيِّنَ﴾:

١- قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۝٢١٢﴾ [البقرة].

قال ابن كثير في تفسيره: (ثم أخبر الله تعالى عن تزيينه الحياة الدنيا للكافرين الذين رضوا بها، واطمأنوا إليها وجمعوا الأموال، ومنعوها عن مصارفها التي أمروا بها مما يرضي الله عنهم، وسخروا من الذين آمنوا الذين أعرضوا عنها، وأنفقوا ما حصل لهم منها في طاعة ربهم، وبذلوه ابتغاء وجه الله، فلهذا فازوا بالمقام الأسعد والحظ الأوفر يوم معادهم، فكانوا فوق أولئك في محشرهم ومنشرهم، ومسيرهم ومأواهم، فاستقرُّوا في الدرجات في أعلى عليين، وخلد أولئك في الدركات في أسفل سافلين)[3]، وفي تفسير الكشاف: (قال أحمد رحمه الله: وردت إضافة التزيين إلى الله تعالى، وإضافته إلى غيره في مواضع من الكتاب العزيز، وهذه الآية تحتمل الوجهين، ولكن الإضافة إلى قدرة الله تعالى حقيقة، والإضافة إلى غيره مجاز على قواعد السنة)[4].

وأما الزمخشري فيعمل على عكس ذلك في تفسيره فيقول: (المراد رؤساء قريش،

---

(١) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٢، ص٣٩١.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسري الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٤، ص٨٢.

(٣) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة البقرة.

(٤) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج١، ص٣٥٤.

والمزين هو خالقها، ويزينها أيضاً الشيطان بوسوسته وإغوائه، وخص الذين كفروا بالذكر لقبولهم التنزيين جملة، وإقبالهم على الدنيا وإعراضهم عن الآخرة بسببها، وقد جعل الله ما على الأرض زينة لها ليبلو الخلق أيهم أحسن عملاً، فالمؤمنون الذين هم على سنن الشرع لم تفتنهم الزينة، والكفار تملكتهم لأنهم لا يعتقدون غيرها. وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين قدم عليه بالمال: (اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا)[1].

وفي تفسير السعدي: (يخبر تعالى أن الذين كفروا بالله وآياته ورسله، ولم ينقادوا لشرعه أنهم زُينت لهم الحياة الدنيا، فزينت في أعينهم وقلوبهم، فرضوا بها واطمأنوا بها، فصارت أهواؤهم وإراداتهم وأعمالهم كلها لها، فأقبلوا عليها وأكبوا على تحصيلها وعظموها، وعَظَّموا مَنْ شاركهم في صنيعهم، واحتقروا المؤمنين واستهزؤوا بهم، وقالوا: أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا، وهذا من ضعف عقولهم ونظرهم القاصر، فإنَّ الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وسيحصل الشقاء فيها لأهل الإيمان والكفران، بل المؤمن في الدنيا، وإن ناله مكروه فإنه يصبر ويحتسب، فيخفف الله عنه بإيمانه وصبره ما لا يكون لغيره، وإنما الشأن كل الشأن والتفصيل الحقيقي في الدار الباقية)[2]، وأما في صفوة التفاسير: (أي زينت لهم شهوات الدنيا ونعيمها حتى نسوا الآخرة، وأشربت محبتها في قلوبهم حتى تهافتوا عليها وأعرضوا عن دار الخلود)[3].

٢- قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران].

قال ابن كثير: (ثم أخبر الله تعالى عما زيِّن للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، ثم البنين تارة يكون للتفاخر والزينة، وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد ﷺ ممن يعبد الله وحده لا شريك له، ثم حب المال كذلك تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء فهذا مذموم، وتارة يكون للنفقة في القربات وصلة الأرحام والقرابات ووجوه الطاعات، فهذا ممدوح محمود شرعاً.

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣، ص٢٨.
(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج١، ص١٢٤.
(٣) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج١، ص١٣٤.

وحب الخيل على ثلاثة أقسام:

١- تارة يكون ربطها من أصحابها مُعدَّة لسبيل الله متى احتاجوا إليها غزوا عليها فهؤلاء يثابون.

٢- وتارة تربط فخراً ونواء لأهل الإسلام فهذه على أصحابها وزر.

٣- وتارة للتعفف واقتناء نسلها ولم ينس حق الله في رقابها فهذه لصاحبها ستر[١].

﴿وَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ يعني الإبل والبقر والغنم ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾ يعني الأرض المتخذة للغراس والزراعة ﴿ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: إنما هذه زهرة الحياة وزينتها الفانية الزائلة)[٢]، وفي تفسير السعدي: (أخبر تعالى في هاتين الآيتين عن حالة الناس في إيثار الدنيا على الآخرة، وبين التفاوت العظيم والفرق الجسيم بين الدارين، فأخبر أن الناس زيِّنت لهم هذه الأمور فرمقوها بالأبصار، واستحلوها بالقلوب، وعكفت على لذاتها النفوس، كل طائفة من الناس تميل إلى نوع من هذه الأنواع، قد جعلوها هي أكبر همهم ومبلغ علمهم، وهي مع هذا متاع قليل منقض في مدة يسيره، فهذا متاع الحياة الدنيا ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾)[٣].

وأما في تفسير القرطبي: (فقال: فيه إحدى عشر مسألة:

١- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ زين من التزيين، فاختلف الناس في المزين، فقالت فرقة: الله زين ذلك، وقالت فرقة: المزين هو الشيطان، فتزيين الله تعالى إنما هو بالإيجاد والتهيئة للانتفاع وإنشاء الجبلة على الميل إلى هذه الأشياء. وتزيين الشيطان: إنما هو بالوسوسة والخديعة وتحسين أخذها من غير وجوهها، والآية على كلا الوجهين ابتداء وعظ لجميع

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، الخيل ثلاثة: فهي لرجل أجر، وهي لرجل ستر، وهي على رجل وزر. فأما الذي هي له أجر فالذي يحبسها في سبيل الله، فيتخذها له، ولا تغيب في بطونها شيئاً إلا كتب له بكل شيء غيبت في بطونها أجر، ولو عرضت له مرج». ساق الحديث د. مصطفى ديب البغا، مختصر سنن النسائي، كتاب الخيل، ص٤٧٥- ٣٥٦٢.

(٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة آل عمران.

(٣) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج١، ص١٢٤.

الناس، وفي ضمن ذلك توبيخ لمعاصري محمد ﷺ من اليهود وغيرهم. ﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ جمع شهوة، وهي معروفة.

٢- ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ بدأ بهن لكثرة تشوف النفوس إليهن، لأنهن حبائل الشيطان وفتنة الرجال، قال رسول الله ﷺ: «ما تركت فتنة بعدي أَضرَّ على الرجال من النساء»[1]، ففتنة النساء أشد من جميع الأشياء.

٣- ﴿وَٱلْبَنِينَ﴾ عطف على ما قبله، وواحد البنين ابن.

٤- ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ جمع قنطار، وهو العقدة الكبيرة من المال، وقيل: اسم للمعيار الذي يوزن به، كما هو الرطل، والقناطير جمع قنطار و﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ جمع الجمع.

٥- ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ الذهب مؤنثة، جمع ذهاب وذهوب، والذهب مكيال لأهل اليمن، والفضة معروفة وجمعها فضض.

٦- ﴿وَٱلْخَيْلِ﴾ الخيل مؤنثة، واحد الخيل: خائل، وسمي الفرس بذلك لأنه يختال في مشيه، وسمِّيت خيلاً لأنها موسومة بالعز، فمن ركبه اعتز بخلة الله له، ويختال به على أعداء الله تعالى.

٧- و﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ يعني الراعية في المروج والمسارح، والسوام: كل بهيمة ترعى، وقيل: المعدة للجهاد، وروى ابن عباس أنه قال: المسومة المعلمة بشيات الخيل في وجوهها من السيما وهي العلامة.

٨- ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ للإبل وكل ما يرعى، ويجمع أنعاماً، والأنعام المواشي من الإبل والبقر والغنم، وجاء في سنن ابن ماجة: «الإبل عز لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة».

٩- ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾ اسم لكل ما يحرث، فيقع اسم الحراثة على زرع الحبوب وعلى الجنات وعلى غير ذلك من نوع الفلاحة.

١١- ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: ما يتمتع به فيها ثم يذهب ولا يبقى، وهذا منه تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، ص١٩٥٩، ج٥، رقم ٤٨٠٨.

١١- ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾ المآب هو المرجع، آب يؤوب إياباً إذا رجع، ومعنى الآية: تقليل الدنيا وتحقيرها والترغيب في حسن المرجع إلى الله تعالى في الآخرة)[١].

وفي صفوة التفاسير: (أخبر الله تعالى عن اغترار الناس بشهوات الحياة الفانية فقال: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي حسن إليهم وحبب إلى نفوسهم الميل نحو الشهوات، وبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد والالتذاذ بهن أكثر، وفي الحديث قوله ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[٢]، ثم ذكر ما يتولد منهن فقال: ﴿وَٱلۡبَنِينَ﴾ وإنما ثنى بالبنين لأنهم ثمرات القلوب وقرة الأعين، وقُدموا على الأموال، لأنَّ حب الإنسان لولده أكثر من حبه لماله ﴿وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ﴾ أي: الأموال الكثيرة المكدسة من الذهب والفضة، وإنما كان المال محبوباً لأنه يحصل به غالب الشهوات، والمرء يرتكب الأخطار في تحصيله ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠﴾ [الفجر]، والذهب والفضة أصل التعامل، ولذا خُصّا بالذكر ﴿وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾ أي: الأصيلة الحسان ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم، فمنها المركب والمطعم والزينة ﴿وَٱلۡحَرۡثِۗ﴾ أي: الزرع والغراس، لأن فيه تحصيل أقواتهم ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: إنما هذه الشهوات زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ أي: حسن المرجع والثواب)[٣].

وفي تفسير الكشاف: (المزين هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء، والله زينها لهم لأنا لا نعلم أحد أذم لها من خالقها ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة عوضاً على الاستمتاع بها، والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات، لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية، وقال: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ثم جاء بالتفسير ليقرر أولاً في النفوس أن المزين لهم حبه ما هو إلا شهوات لا غير، ثم يفسره بهذه الأجناس، فيكون أقوى لتخسيسها، وأدل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها، ويرجح طلبها على طلب ما عند الله. والقنطار: المال

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص٢٧-٢٨.
(٢) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، ص١٩٥٩، ج٥، رقم ٤٨٠٨.
(٣) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج١، ص١٨٩.

الكثير، و﴿ٱلۡمُقَنطَرَةِ﴾ مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم: ألفاً مؤلفة، ﴿ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾ المعلمة من السومة وهي العلامة أو المطهمة[1] أو المرعية، من أسام الدابة وسومها، ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ الأزواج الثمانية التي ذكرها الله سبحانه بقوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ ١٤٤﴾ [الأنعام]، ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ﴾[2].

٣- قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام].

قال ابن كثير في تفسيره: (أي حَسَّنا لهم ما كانوا فيه من الجهالة والضلالة قدراً من الله وحكمة بالغة لا إله إلا هو وحده لا شريك له)[3]، وقال القرطبي في تفسيره: (أي زين لهم الشيطان عبادة الأصنام وأوهمهم أنهم أفضل من المسلمين)[4]، وفي صفوة التفاسير جاء: (قال أبو حيان: لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين مثَّل تعالى بأن شبه المؤمن بالحي الذي له نور يتصرف كيفما سلك، والكافر بالمتخبط في الظلمات المستقر فيها، ليظهر الفرق بين الفريقين، والمعنى: أو من كان بمنزلة الميت أعمى البصيرة كافراً ضالاً، فأحيا الله قلبه بالإيمان، وأنقذه من الضلالة بالقرآن ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ أي: وجعلنا مع تلك الهداية النور العظيم الوضاء الذي يتأمل به الأشياء فيميز به بين الحق والباطل ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ أي كمن يتخبط في ظلمات الكفر والضلالة

---

(١) (المطهم: السمين الفاحش السمن، والنحيف الجسم الدقيقة، والتام في كل شيء، والبارع الجمال، والمنتفخ الوجه والمدور الوجه المجتمعة) من القاموس المحيط للفيروزأبادي، باب الميم، فصل الطاء، ص١٤٦٤.

(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون لأقاويل في وجوه التنزيل، ج١، ص٤١٦.

(٣) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة الأنعام.

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص٧٩.

لا يعرف المنفذ ولا المخلص؟

قال البيضاوي: وهو مثل لمن بقي في الضلالة لا يفارقها بحال ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: وكما بقي هذا في الظلمات يتخبط فيها، كذلك حسَّنا للكافرين وزينا لهم، ما كانوا يعملون من الشرك والمعاصي)[١].

٤- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ ﴿٣٧﴾ ﴾ [التوبة].

قال القرطبي: (لأنهم كانوا ضالين به، أي بالنسيء[٢] لأنهم كانوا يحسبونه فيصلون به)[٣]، وجاء في الكشاف: (خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة)[٤]، وأما ابن كثير فقال في تفسيره: (وإنما النسيء من الشيطان وزيادة في الكفر ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ فكانوا يحرمون المحرم عاماً ويستحلون صفر ويستحلون محرم وهو النسيء)[٥].

وأما في صفوة التفاسير: (أي إنما تأخير حرمة شهر لشهر آخر زيادة في الكفر لأنه تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر مضموم إلى كفرهم. قال المفسرون: كان العرب أهل حروب وغارات، وكان القتال محرماً عليهم في الأشهر الحرم، فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة، فيحلونه ويحرمون مكانه شهراً آخر، كأنهم يستقرضون حرمة شهر لشهر غيره، فلربما أحلوا المحرم وحرموا صفر حتى يكمل في العام أربعة أشهر محرمة ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: يضل بسببه الكافرين ضلالاً على ضلالتهم ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ أي: يحلون المحرم عاماً والشهر

---

(١) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج١، ص٤١٦.

(٢) النسيء: أي التأخير لحرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم إذا هل وهم في القتال إلى صفر.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٢٦.

(٤) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٢، ص١٦٢.

(٥) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة التوبة.

الحلال عاماً فيجعلون هذا مكان هذا وبالعكس ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي: ليفوافقوا عدة الأشهر الحرام الأربعة ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: فيستحلوا بذلك ما حرمه الله، قال مجاهد: كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام إلى الموسم على حمار له، فيقول: أيها الناس: إني لا أعاب ولا أجاب، ولا مرد لما أقول، إنا قد حرمنا المحرم وأخرنا صفر، ثم يجيء العام المقبل ويقول: إنا قد حرمنا صفر وأخرنا المحرم فذلك قوله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْۗ﴾ أي: زين الشيطان لهم أعمالهم القبيحة حتى حسبوها حسنة)[1].

٥- **قال الله تعالى:** ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٢﴾ [يونس].

جاء في تفسير الكشاف: (كذلك مثل ذلك التزيين ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ زين الشيطان بوسوسته أو الله بخذلانه وتخليته ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات)[2]، وأما القرطبي فقال: (أي: كما زين لهذا الدعاء عند البلاء والإعراض عند الرخاء ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: المشركين أعمالهم من الكفر والمعاصي، وهذا التزيين يجوز أن يكون من الله تعالى، ويجوز أن يكون من الشيطان وإضلاله ودعائه إلى الكفر)[3]، وأما في السعدي: (هذا تزيين من الشيطان زين له ما كان مستهجناً مستقبحاً في العقول والفطر ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: المتجاوزين للحد ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[4].

٦- **قال الله تعالى:** ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ ٣٣﴾ [الرعد].

قال القرطبي: (أي دع هذا! بل ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ فالذي زين للكافرين مكرهم الله تعالى، وقيل: الشيطان، ويجوز أن يسمى الكفر مكراً، لأن مكرهم بالرسول كان كفراً)[5].

---

(١) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج١، ص٥٣٥.

(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٢، ص٢٨٨.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٣١٧.

(٤) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٣، ص١٥٥.

(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٩، ص٣٢٣.

وأما ابن كثير فقال: (قال مجاهد: قولهم أي: ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه آناء الليل وأطراف النهار كقوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم ﴿٢٥﴾ ﴾ [فصلت] ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ من قرأها بفتح الصاد معناه أنه لما زين لهم ما فيه، وأنه حق دعوا إليه وصدوا الناس عن اتباع طريق الرسل. ومن قرأها بالضم أي بما زين لهم من صحة ما هم عليه صدوا به عن سبيل الله ولهذا قال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [غافر]، كما قال: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴿٤١﴾ ﴾ [المائدة]، وقال: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النحل])[1].

وأما السعدي فقال: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ الذي مكروه وهو كفرهم وشركهم، وتكذيبهم لآيات الله ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: عن الطريق المستقيمة الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته)[2].

٧- **قال الله تعالى:** ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ﴿٨﴾ ﴾ [فاطر].

قال ابن كثير: (يعني كالكفار والفجار يعملون أعمالاً سيئة، وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، أي: أفمن كان هكذا قد أضله الله أَلَكَ فيه حيلة ولا حيلة لك فيه)[3]، وأما القرطبي: (أفمن زُيِّن له سوء عمله فرآه حسناً ذهبت نفسك عليهم حسرات، أن الله عز وجل نهى نبيه عن شدة الاهتمام بهم والحزن عليهم وفيها أربعة أقوال:

أحدها: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قال أبو قلابة: ويكون سوء عمله معاندة الرسول ﷺ.

الثاني: أنهم الخوارج وسوء عمله تحريف التأويل.

الثالث: الشيطان وسوء عمله الإغواء.

الرابع: كفار قريش وسوء عمله الشرك.

---

(١) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة الرعد.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٤، ص٥٦.

(٣) ابن كثير الدشمقي، تفسير القرآن العظيم، سورة فاطر.

وقيل: إنها نزلت في العاص بن وائل السهمي والأسود بن المطلب، وقال غيره: نزلت في أبي جهل بن هشام ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ أي: صواباً، وقيل: جميلاً، والقول بأن المراد كفار قريش أظهر الأقوال، أي: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ تريد أن تهديه وإنما ذلك إلى الله لا إليك، والذي إليكَ هو التبليغ)[1].

وأما في السعدي: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ القبيح زينه له الشيطان وحسنه في عينه ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ أي: كمن هداه الله إلى الصراط المستقيم والدين القويم فهل يستوي هذا وهذا! فالأول عمل السيىء ورأى الحق باطلاً، والباطل حقاً، والثاني عمل الحسن، ورأى الحق حقاً والباطل باطلاً، ولكن الهداية والإضلال بيد الله تعالى)[2].

٨- قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ﴿٣٧﴾﴾ [غافر].

جاء في تفسير القرطبي: (أي الشرك والتكذيب)[3]، وجاء في الكشاف: (المزين إما الشيطان بوسوسته، أو الله على وجه التسبيب، لأنه مكن الشيطان وأمهله ومثله زيَّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون، وقرأ و﴿وزَيَّنَ له سوءَ عمله﴾ [فاطر: ٨] على البناء للفاعل، والفعل لله عز وجل دل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ صد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين إلى الفاء)[4]، وأما السعدي فقال: (فزين له العمل السيىء فلم يزل الشيطان يزينه وهو يدعو إليه ويحسنه حتى رآه حسناً ودعا إليه وناظر فيه مناظرة المحقين وهو من أعظم المفسدين ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ﴾ الحق بسبب الباطل الذي زين له)[5].

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص٣٢٤-٣٢٦.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٦، ص١٤٨.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص٣١٥.

(٤) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٣، ص٤٢٨.

(٥) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٧ ص٦٣.

٩- **قال الله تعالى:** ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ۝١٤﴾ [[محمد]].

جاء في تفسير ابن كثير: (أي على بصيرة ويقين من أمر الله ودينه وبما أنزل الله في كتابه من الهدى والعلم وبما جبله عليه من الفطرة المستقيمة)[١]، وأما في الكشاف فقال: (هم أهل مكة، الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله، ومن كان على بينة من ربه أي: على حجة من عنده وبرهان، وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات، هو رسول الله ﷺ)[٢].

وأما القرطبي: (أي على ثبات ويقين وهو محمد ﷺ، والبينة الوحي ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ أي: عبادة الأصنام، وهو أبو جهل والكفار، واتبعوا أهواءهم أي: ما اشتهوا، وهذا التزيين من جهة الله خلقاً، ويجوز أن يكون من الشيطان دعاء ووسوسة، ويجوز أن يكون من الكافر، أي زين لنفسه سوء عمله وأصر على الكفر)[٣].

وأما السعدي فقال: (أي لا يستوي من هو على بصيرة من أمر دينه علماً وعملاً قد علم الحق واتبعه ورجا ما وعده الله لأهل الحق، كمن هو أعمى القلب قد رفض الحق وأضله واتبع هواه بغير هدى من الله، ومع ذلك يرى أن ما هو عليه هو الحق، فما أبعد الفرق بين الفريقين، وما أعظم التفاوت بين الطائفتين أهل الحق وأهل الغي)[٤].

١٠- **قال الله تعالى:** ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۝١٢﴾ [الفتح].

جاء في تفسير القرطبي: (قالوا: إن محمداً وأصحابه أكلة - أي هم قليل يشبعهم رأس واحد - لا يرجعون، وزين ذلك النفاق في قلوبكم أو ظننتم ظن السوء، أن الله لا ينصر رسوله)[٥]، وفي تفسير الكشاف: (﴿وَزَيَّنَ﴾ على البناء للفاعل، وهو الشيطان أو

---

(١) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة محمد.

(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٣، ص٥٣٣.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٤) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٧، ص١٦٤-١٦٥.

(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص٢٦٩.

الله عز وجل وكلاهما جاء في القرآن)[1].

ما ورد في تفسير قوله: ﴿ازينت﴾:

١- في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس].

جاء في تفسير ابن كثير: (ضرب الله تعالى مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها، وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات، الذي أخرجه الله من الأرض بماء أنزل من السماء مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من أبّ وقضب وغير ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: زينتها الفانية ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ أي: حسنت بما خرج في رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ الذين زرعوها وغرسوها ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ أي: على جذاذها وحصادها فيما هم كذلك، إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة فأيبست أوراقها وأتلفت ثمارها)[2].

وأما في تفسير القرطبي: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: حسنها وزينتها، والزخرف: كمال حسن الشيء، ومنه قيل للذهب زخرف ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ أي: بالحبوب والثمار والأزهار، والأصل تزينت أدغمت التاء في الزاي وجيء بألف الوصل، لأن الحرف المدغم قام مقام حرفين الأول منهما ساكن، والساكن لا يمكن الابتداء به ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ أي: أتت بالزينة عليها أي الغلة والزرع)[3].

وجاء في تفسير الكشاف: (كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتست وتزينت بغيرها من ألوان الزينة. وأصل ازينت تزييناً فأدغم، وبالأصل قرأ عبد الله وقرأ: أزينت على أفعلت من غير إعلال الفعل، أي صارت ذات زينة)[4]، وأما السعدي فقال: (أي: تزخرفت في منظرها

---

(١) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون لأقويل في وجوه التنزيل، ج٣، ص٥٤٤.

(٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة يس.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٣٢٧.

(٤) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل =

واكتست في زينتها، فصارت بهجة للناظرين ونزهة للمتفرجين وآية للمتبصرين، فصرت ترى لها منظراً عجيباً ما بين أخضر وأصفر وأبيض وغيره)[١].

ما جاء في تفسير قوله: ﴿زِينَةَ﴾:

١- قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۝٣٢﴾ [الأعراف].

قال ابن كثير: (يقول تعالى رداً على من حرَّم شيئاً من المأكل أو المشرب أو الملابس من تلقاء نفسه من غير شرع من الله، قل: يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما يحرمون بآرائهم الفاسدة وابتداعهم ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ أي: المخلوقة لمن آمن بالله وعبده في الحياة الدنيا، وإن شركهم فيها الكفار حباً في الدنيا، فهي لهم خالصة يوم القيامة لا يشركهم فيها أحد من الكفار، فإن الجنة محرَّمة على الكافرين، عن ابن عباس قال: كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون فأنزل الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ فأمروا بالثياب)[٢].

وأما القرطبي فقال: (فإن فيها مسائل:

١- ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ بين أنهم حرَّموا من تلقاء أنفسهم ما لم يحرِّمه الله عليهم، والزينة: هنا الملبس الحسن إذا قدر عليه صاحبه، وقيل: جميع الثياب كما روي عن عمر: «إذا وسع عليكم فأوسعوا».

٢- دلَّت الآية على لبس الرفيع من الثياب والتجمل بها في الجمع والأعياد وعند لقاء الناس وزيارة الإخوان، قال أبو العالية: كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا، وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المترفعة ولا الدون، ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد وللقاء الإخوان، ولم يكن تخير الأجود عندهم قبيحاً. وأما اللباس الذي يزري بصاحبه فإنه يتضمن إظهار الزهد وإظهار الفقر، وكأنه لسان شكوى من الله تعالى. ويوجب احتقار اللابس وكل ذلك مكروه منهي عنه.

= وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٢، ص٢٣٣.

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٣، ص١٦٠.

(٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة الأعراف.

٣- ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ اسم عام لكل ما طاب كسباً وطعماً، قال ابن عباس وقتادة: يعني بالطيبات من الرزق ما حرم أهلُ الجاهلية من البحائر[(١)] والسوائب[(٢)] والوصائل[(٣)] والحواس[(٤)]، وقيل: كل مستلذ من الطعام، وقد اختلف في ترك الطيبات والإعراض عن اللذات)[(٥)].

وفي تفسير السعدي: (يقول الله منكراً على من تعنَّت وحرَّم ما أحلَّ الله من الطيبات: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ من أنواع اللباس على اختلاف أصنافه، والطيبات من الرزق من مأكل ومشرب بجميع أنواعه، أي: من هذا الذي يقدم على تحريم ما أنعم الله على العباد، ومن ذا الذي يضيق عليهم ما وسعه الله، وهذا التوسع من الله لعباده بالطيبات جعله لهم ليستعينوا به على عبادته، فلم يبحه إلا لعباده المؤمنين)[(٦)].

٢- قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً ﴿٨٨﴾﴾ [يونس].

قال ابن كثير: (هذا إخبار من الله تعالى عما دعا به موسى عليه السلام على فرعون وملته، لما أبوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين ظلماً وعلوا وتكبراً وعتواً ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾ أي: من أثاث الدنيا ومتاعها وأموالاً، أي: جزيلة كثيرة في هذه الحياة الدنيا)[(٧)]، وفي تفسير الكشاف: (الزينة: ما يتزين به من لباس أو حلي أو فراش أو أثاث أو غير ذلك. وعن ابن عباس رضي الله عنه: كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة، جبالٌ فيها معادن من ذهب

---

(١) البحائر: جمع ومفردها بحيرة وهي ابنة السائبة.

(٢) السوائب: جمع ومفردها سائبة وهي الناقة التي كانت تسيب في الجاهلية لنذر أو نحوه، وهي إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث.

(٣) الوصيلة: هي الشاة التي كانت في الجاهلية تلد سبعة أبطن عناقين عناقين، فإن ولدت جدياً وعناقاً قالوا: وصلت أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها.

(٤) الحواس: الناقة الكثيرة الآكل، والشديدة النفس.

(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص١٩٥-٢٠٠.

(٦) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٣، ص١١.

(٧) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة يونس.

وفضة وزبرجد وياقوت، وإنما أمدهم بالزينة والأموال وما يتبعها من النعم استدراجاً ليزدادوا إثماً وضلالة)[1]، وجاء في القرطبي: (﴿ءَاتَيْتَ﴾ أي أعطيت ﴿زِينَةً﴾ أموالاً ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: مال الدنيا، وكان لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والزمرد والياقوت)[2].

وأما السعدي فقال في تفسيره: (يتزينون به من أنواع الحلي والثياب والبيوت المزخرفة والمراكب الفاخرة والخدام ﴿وَأَمْوَٰلًا﴾ عظيمة ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ أي: أن أموالهم يستعينون بها على الإضلال في سبيلك فيضلون ويضلون)[3].

٢- قال الله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ ﴿٨﴾﴾ [النحل].

قال ابن كثير: (هذا صنف آخر مما خلق الله تبارك وتعالى لعباده يمتن به عليهم، وهو: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ﴾ التي جعلها للركوب والزينة بها، وذلك أكبر المقاصد منها، ولما فضلها من الأنعام وأفردها بالذكر)[4]، وفي تفسير الكشاف: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ﴾ والخيل عطف على الأنعام، أي: وخلق هؤلاء للركوب والزينة، وقد احتج على حرمة أكل لحومهن بأنْ عَلَّلَ خَلْقها للركوب والزينة، ولم يذكر الأكل بعدما ذكره في الأنعام. وخلقها زينة لتركبوها فهي زينة وجمال)[5].

وأما القرطبي: (والخيل: سميت خيلاً لاختيالها في المشية فجعلها للركوب والزينة، ولم يجعلها للأكل ونحوه، وجعلها زينة وقيل: هي مفعول لأجله، والزينة: ما يتزين به، وهذا الجمال والتزيين وإن كان من متاع الدنيا فقد أذن الله سبحانه وتعالى لعباده فيه فقال

---

(١) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٢، ص٢٥٠.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٣٧٣.

(٣) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٣، ص١٨٠.

(٤) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة النحل.

(٥) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٢، ص٤٠٢.

النبي ﷺ: «الإبل عز لأهلها، والغنم بركة، والخيل في نواصيها الخير»[1][2]، وأما السعدي فقال: (سخرناها لكم: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ أي: تارة تستعملونها للضرورة في الركوب، وتارة لأجل الجمال والزينة، ولم يذكر الأكل لأن البغال والحمير محرم أكلها، والخيل لا تستعمل في الغالب لأكل، بل يُنهى عن ذبحها لأجل الأكل خوفاً من انقطاعها، وإلا فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ أذن في لحوم الخيل)[3].

٤- **قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف].**

قال القرطبي في تفسيره: (ما - وزينة) مفعولان، والزينة: كل ما على وجه الأرض، فهو عموم لأنه دال على بارئه، وقال ابن جبير عن ابن عباس: أراد بالزينة الرجال، وقال مجاهد وروى عكرمة عن ابن عباس: أن الزينة الخلفاء والأمراء، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾، قال العلماء: زينة الأرض، وقالت فرقة: أراد النعم والملابس والثمار والخضرة والحياة، ونحو هذا مما فيه زينة، ولم يدخل فيه الجبال الصم، وكل ما لا زينة فيه كالحيات والعقارب، والقولُ بالعموم أولى، وأن كل ما على الأرض فيه زينة من جهة خلقه وصنعه وإحكامه، والآية بسط من التسلية، أي: لا تهتم يا محمد للدنيا وأهلها فإنا إنما جعلنا ذلك امتحاناً واختباراً لأهلها، فمنهم من يتدبر ويؤمن، ومنهم من يكفر، ثم يوم القيامة بين أيديهم فلا يعظمنَ عليك كفرُهم فإنا نجازيهم.

ومعنى هذه الآية ينظر فيه إلى قول النبي ﷺ: «إن الدنيا خضرة حلوة والله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون»[4]، قال: وما زهرة الدنيا، قال: بركات الأرض. والمعنى: أن الدنيا مستطابة في ذوقها، معجبة في منظرها كالثمر المستحلى المعجب الرأي، فابتلى الله بها عادة لينظر أيهم أحسن عملاً، أن من أزهدَ وأترك لها ولا سبيل للعباد إلى بغضه ما زينه الله إلا أن يعينه على ذلك، ولهذا كان عمر يقول فيما ذكر عن البخاري: اللهم إنّا لا

(١) أخرجه أحمد، مسند جابر بن عبد الله، باب مسند جابر، ص٣٣٤، ج٤، رقم ١٤٤٧٤.
(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٧٣-٨٠.
(٣) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٤، ص٩١.
(٤) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ هذا المال خضرة حلوة، ص٢٣٦٥، ج٥.

نستطيع إلاّ أن نفرح بما زينته لنا، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه، فدعا الله أن يعينه على إنفاقه في حقه)[1].

وأما السعدي: (يخبر تعالى أنه جعل جميع ما على وجه الأرض من مآكل لذيذة ومشارب وملابس طيبة وأشجار وأنهار وزرع وثمار ومناظر بهيجة ورياض أنيقة وأصوات شجية وصور مليحة وذهب وفضة وخيل وإبل ونحوها، جعله الله زينة لهذه الدار فتنة واختباراً)[2]، وفي صفوة التفاسير: (أي: جعلنا ما عليها من زخارف ورياض ومتاع وذهب وفضة وغيرها، زينة للأرض كما زيّنا السماء بالكواكب، لنختبر الخلق أيهم أطوع لله وأحسن عملاً لآخرته)[3].

٥- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۝٢٨﴾ [الكهف].

جاء في تفسير القرطبي: (أي تتزين بمجالسة هؤلاء الرؤساء الذين اقترحوا إبعاد الفقراء من مجلسك، ولم يرد النبي ﷺ أن يفعل ذلك، ولكن الله نهاه عن أن يفعله وليس هذا بأكثر من قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ۝٦٥﴾ [الزمر]، وإن كان الله أعاذه من الشرك أن المعنى: لا تصرف بصرك عنهم إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة)[4]، وأما ابن كثير فقال: (قال ابن عباس: ولا تجاوزهم إلى غيرهم يعني تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة)[5].

وأما السعدي فقال: (أي لا تجاوزهم بصرك وترفع عنهم نظرك: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فإن هذا ضار غير نافع وقاطع عن المصالح الدينية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا فتصير الأفكار والهواجس فيها وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للناظر وتسحر القلب فيغفل القلب عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٣٥٣-٣٥٥.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٥، ص٦.

(٣) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج٢، ص١٨٣.

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٣٩١-٣٩٢.

(٥) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة الكهف.

فيضيع وقته وينفرط أمره فيخسر الخسارة الأبدية والندامة السرمدية)[1].

٦- **قال الله تعالى:** ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴿٤٦﴾﴾ **[الكهف].**

جاء في القرطبي قوله: (ويجوز (زينتا) وهو خبر الابتداء في التثنية والإفراد، وإنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا، لأن في المال جمالاً ونفعاً وفي البنين قوة ودفعاً فصارا زينة الحياة الدنيا، لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين لأن المعنى: المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة فلا تتبعوها نفوسكم، وهو رد على عيينة بن حصين وأمثاله لما افتخروا بالغنى والشرف، فأخبر تعالى أن ما كان من زينة الحياة الدنيا فهو غرور يمر ولا يبقى كالهشيم حين ذَرَّته الريح، وإنما يبقى ما كان من زادِ القبر وعُدد الآخرة. وكان يقال: ولا تعقد قلبك مع المال لأنه شيء ذاهب، ولا مع النساء لأنها اليوم معك وغداً مع غيرك، ولا مع الشيطان لأنه اليوم معك وغداً لغيرك.. ويكفي في هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن])[2].

وأما ابن كثير فقال: (أي الإقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم، والجمع لهم، والشفقة المفرطة عليهم)[3]، وأما السعدي فقال: (أخبر الله **تعالى** أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا أي ليس وراء ذلك شيء، وأن الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسره الباقيات الصالحات، وضرب الله مثل الدنيا وحالها واضمحلالها، ذكر أن الذي فيها نوعان:

١- نوع من زينتها يتمتع به قليلاً ثم يزول بلا فائدة تعود لصاحبه، بل ربما لحقته مضرته وهو - المال والبنون -.

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٥، ص١٥-١٦.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٤١٣-٤١٤.

(٣) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة الكهف.

٢- نوع يبقى لصاحبه على الدوام وهي - الباقيات الصالحات -)[١].

٧- **قال الله تعالى:** ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه].

قال ابن كثير في تفسيره: (موعدكم يوم الزينة، وهو يوم عيدهم ونوروزهم، وتفرغهم من أعمالهم، واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية. قال ابن عباس: كان يوم الزينة، يوم عاشوراء، وقال السدي وقتادة وابن زيد: كان يوم عيدهم، وقال سعيد بن جبير: كان يوم سوقهم)[٢]، وفي تفسير الكشاف: (يوم الزينة: يوم عاشوراء يوم النيروز، ويوم عيد كان لهم في كل عام، ويوم كانوا يتخذون فيه سوقاً، ويتزينون ذلك اليوم)[٣].

وجاء في تفسير القرطبي: (اختلف في يوم الزينة فقيل: هو يوم عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه قال الضحاك: يوم السبت، وقيل: يوم النيروز، وقيل: يوم يكسر فيه الخليج، وذلك أنهم كانوا يخرجون فيه، ويتفرجون ويتنزهون عند ذلك تأمن الديار المصرية من قبل النيل)[٤]، وأما عند السعدي فقال: (هو عيدهم الذي يتفرغون فيه ويقطعون شواغلهم ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ أي: يجمعون كلهم في وقت الضحى، وإنما سأل موسى ذلك، لأن يوم الزينة، وقت الضحى منه، يحصل فيه كثرة الاجتماع ورؤية الأشياء على حقائقها ما لا يحصل في غيره)[٥].

٨- **قال الله تعالى:** ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا ﴿٨٧﴾﴾ [طه].

قال الزمخشري من تفسيره: (أي: حملنا أحمالاً من حلي القبط التي استعرناها منهم، أو أراد بالأوزار أنها آثام وتبعات، لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب،

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٥، ص٢٣.

(٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة طه.

(٣) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٢، ص٥٤٢.

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص٢١٢-٢١٣.

(٥) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٥، ص٨٢.

وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي، على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ)[1]، وفي صفوة التفاسير: (أي: حملنا أثقالاً وأحمالاً من حلي آل فرعون فطرحناها بأمر السامري، قال مجاهد: أوزاراً ثقالاً، وهي الحلي التي استعاروها من آل فرعون)[2].

٩- قال الله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ ۝﴾ **[النور].**

جاء في تفسير القرطبي: (أي غير مُظهرات ولا متعرضات بالزينة لينظر إليهن، فإن ذلك من أقبح الأشياء وأبعده عن الحق، والتبرج: التكشف والظهور للعيون، ومنه: بروج مشيدة وبروج السماء والأسوار، أي لا حائل دونها يسترها، وقيل لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين ما تقولين في الخضاب[3] والصباغ[4] والتمائم[5] والقرطين[6] والخلخال[7] وخاتم الذهب ورقاق الثياب؟ فقالت: يا معشر النساء، قصتكن قصة امرأة واحدة، أحل الله لكن الزينة غير متبرجات لمن لا يحل لكن أن يروا منكن محرماً. وقال عطاء: هذا في بيوتهن، فإذا خرجت فلا يحل لها وضع الجلباب، وعلى هذا - غير متبرجات - غير خارجات من بيوتهن، وعلى هذا يلزم أن يقال: وإذا كانت في بيتها فلا بد لها من جلباب فوق الدرع، وهذا بعيد، إلا إذا دخل عليها أجنبي. ثم ذكر تعالى أن تحفظ الجميع منهن واستعفافهن عن وضع الثياب والتزامهن ما يلزم الشباب أفضل لهن وخير، ثم قيل: من التبرج أن تلبس المرأة ثوبين رقيقين يصفانها)[8].

---

(١) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٢، ص٥٥٠.

(٢) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج٣، ص٢٤٤.

(٣) الخضاب: الحناء.

(٤) الصباغ: من يلون الثياب أو الوجه أو غيره بقصد الزينة.

(٥) التمائم: خرزة رقطاء تنظم في السير ثم يعقد في العنق.

(٦) القرط: ما يعلق بشحمة الأذن، وجمعها أقراط.

(٧) الخلخال: ما يوضع في الساق وهو من الزينة.

(٨) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص٣٠٩-٣١٠.

وفي الكشاف قال: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾ غير مظهرات زينة، يريد الزينة الخفية التي أرادها في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾ [النور] أو غير قاصدات بالوضع التبرج، ولكن التخفف إذا احتجن إليه، والاستعفاف من الوضع خير لهن - لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب - بدأ منه على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها لقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة])[1].

وأما السعدي فقال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ أي: حرج أن يضعن ثيابهن، أي: الثياب الظاهرة كالخمار ونحوه، فهؤلاء يجوز لهن أن يكشفن وجوههن لأمن المحذور منها عليها، ولما كان نفي الحرج عنهن في وضع الثياب، ربما تُوهِّمَ منه جواز استعمالها لكل شيء، ومع هذا الاحتراز بقوله: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾ أي: غير مظهرات للناس زينة، من تجمل بثياب ظاهرة وتستر وجهها، ومن ضرب الأرض ليعلم ما تخفي من زينتها، لأن مجرد الزينة على الأنثى ولو مع تسترها ولو كانت لا تشتهى يُفتتن فيها، ويوقع الناظر إليها في الحرج)[2].

وأما في صفوة التفاسير: (أي النساء العجائز اللواتي قعدن عن التصرف، وطلب الزواج لكبر سنهن، ولا يطمعن في الزواج، ولا يرغبن فيه لانعدام دوافع الشهوة فيهن لا حرج ولا إثم عليهن في أن يضعن بعض ثيابهن كالرداء والجلباب، ويظهرن أمام الرجال بملابسهن المعتادة التي لا تلفت انتباهاً، ولا تثير شهوة: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾ أي غير متظاهرات بالزينة لينظر إليهن، قال أبو حيان: وحقيقة التبرج إظهار ما يجب إخفاؤه، ورب عجوز شمطاء يبدو منها الحرص على أن يظهر بها جمال)[3].

١٠- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ [الصافات].

جاء في تفسير ابن كثير: (يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب، قرىء بالإضافة وبالبدل، وكلاهما بمعنى واحد، فالكواكب

---

(١) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٣، ص٧٦.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٥، ص٢١٨.

(٣) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج٢، ص٣٤٩.

السيارة والثوابت يثقب ضوؤها جرم السماء الشفاف، فتضيء لأهل الأرض كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ [الملك]، وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [الفجر].

وأما في الكشاف: ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ القربى منكم. والزينة مصدر كنسبة واسم لما يزان به الشيء، ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ فإن أردت المصدر فعلى إضافته إلى الفاعل أي: بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على إضافته إلى المفعول، أي: بأن زان الله تعالى الكواكب وحسنها لأنها إنما زينت السماء لحسنها في أنفسها وأصله بزينة الكواكب وهي قراءة أبي بكر والأعمش وأنس وابن وثاب، وإن أردت الاسم فللإضافة وجهان:

١- أن تقع الكواكب بياناً للزينة، لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به.

٢- أن يراد ما زينت به الكواكب.

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب: بضوء الكواكب. ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها. وقرىء على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الإبدال، ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلاً من محل بزينة)[1].

وأما في القرطبي فقال: (قال قتادة: خلقت النجوم ثلاثاً رجوماً للشياطين، ونوراً يهتدى به، وزينة السماء الدنيا، والمعنى بأنَّا زيَّنا الكواكب فيها. وزيَّنا السماء الدنيا بتزيين الكواكب أي: بحسن الكواكب)[2].

وأما في تفسير السعدي فقال: (ذكر الله في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين:

إحداهما: كونها زينة للسماء، إذ لولاها لكانت السماء مظلمة لا ضوء فيها، ولكن

---

(١) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٣، ص٦٥.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص٣٣٤-٣٢٦.

زينها بها لتستنير أرجاؤها وتحسن صورتها، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر ويحصل فيها من المصالح ما يحصل.

والثانية: حراسة السماء عن كل شيطان مارد يصل بتمرده إلى استماع الملأ الأعلى وهم الملائكة).

١١- قال الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۝٢٠﴾ [الحديد].

جاء في تفسير الكشاف: (أراد أن الدنيا ليست إلا محقرات من الأمور وهي: اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر، وأما الآخرة فما هي إلا أمور عظام، وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله)[١]، وأما في تفسير القرطبي فقد جاء: (وجه الاتصال أن الإنسان قد يترك الجهاد خوفاً على نفسه من القتل، وخوفاً من لزوم الموت، فبين أن الحياةِ الدنيا لعب باطل ولهو فرح ثم ينقضي، وقال قتادة: أكل وشرب، وقيل: اللعب: ما رغب في الدنيا واللهو: ما ألهى عن الآخرة أي: شغل عنها، وقيل: اللعب الاقتناء، واللهو النساء.

﴿وَزِينَةٌ﴾ الزينة: ما يتزين به فالكافر يتزين بالدنيا ولا يعمل للآخرة، وكذلك من تزين في غير طاعة الله ﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾ أي: يفخر بعضكم على بعض بها، وقيل: بالخلقة والقوة، وقيل: بالأنساب على عادة العرب في المفاخرة بالآباء، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد»[٢]، وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية الفخر في الأحساب..»[٣] الحديث.

﴿وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ لأن عادة الجاهلية أن تتكاثر بالأبناء والأموال، وتكاثر

---

(١) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٤، ص٦٥.

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي بها يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، ص٢١٨٩، ج٤، رقم ٢٨٦٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، ص٦٤٤، ج٣، رقم ٩٣٤.

المؤمنين بالإيمان والطاعة، قال بعض المتأخرين: ﴿لَعِبٌ﴾ كلعب الصبيان ﴿وَلَهْوٌ﴾ كلهو الفتيان ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النسوان ﴿وَتَفَاخُرٌ﴾ كتفاخر الأقران ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ كتكاثر الدهقان - التاجر -، وقيل إن الدنيا كهذه الأشياء في الزوال والفناء، وعن علي رضي الله عنه قال: (لا تحزن على الدنيا، فإن الدنيا ستة أشياء: مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح، فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة، وأكثر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دوده، وأفضل المشموم المسك وهو دم فأرة، وأفضل المركوب الفرس وعليها يقيل الرجال، وأما المنكوح فالنساء وهو مال في مال والله إن المرأة لتتزين أحسنها يراد به أقبحها)[١].

وأما في تفسير السعدي: ﴿يخبر الله تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، وبين غايتها وغاية أهلها بأنها لعب ولهو تلعب بها الأبدان وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قطعوا أوقات عمرهم بلهو قلوبهم وغفلتهم عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعباً ولهواً، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة فإن قلوبهم معمورة بذكر الله ومعرفته ومحبته، وقد شغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله من النفع القاصر والمتعدي، وقوله: ﴿وَزِينَةٌ﴾ أي: تزين في اللباس والطعام والشراب والمراكب والدور والقصور والجاه وغير ذلك ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ أي: كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها والذي له الشهرة في أحوالها ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها، بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبراً ولم يجعلها مسقراً، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى دار كرامته، وإذا رأى من يكاثره وينافسه في الأموال والأولاد نافسه بالأعمال الصالحة)[٢].

وأما في صفوة التفاسير: (أي اعلموا يا معشر السامعين أن هذه الحياة الدنيا ما هي إلا

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٧، ص٢٥٤-٢٥٦.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٨، ص٨٢-٨٣.

لعب يتعب الناس فيها أنفسهم كإتعاب الصبيان أنفسهم باللعب ﴿وَلَهْوٌ﴾ أي: وشغل للإنسان يشغله عن الآخرة وطاعة الله ﴿وَزِينَةٌ﴾ أي: وزينة يتزين بها الجهلاء كالملابس الحسنة، والمراكب البهية، والمنازل الرفيعة ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ أي: ومباهاة وافتخار بالأحساب والأنساب والمال والولد ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ أي: مباهاة بكثرة الأموال والأولاد، قال ابن عباس: يجمع المال من سخط الله، ويتباهى به على أولياء الله، ويصرف في مساخط الله، فهو في ظلمات بعضها فوق بعض)(١).

ما ورد في تفسير قوله: ﴿زِينَتَكُمْ﴾:

١- في قوله تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ۝٣١﴾ [الأعراف].

جاء في تفسير ابن كثير: (قال العوفي عن ابن عباس: كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة، والزينة: اللباس وهو ما يواري السوأة، وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع، فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد)(٢).

وأما في القرطبي: (هو خطاب لجميع العالم، وإن كان المقصود بها من كان يطوف من العرب بالبيت عرياناً، فإنه عام في كل مسجد للصلاة، لأن العبرة للعموم لا للسبب، فأنزل الله تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ الآية، وأذن مؤذن رسول الله ﷺ ألا يطوف بالبيت عريان، ومن قال بأن المراد الصلاة فزينتها النعال)(٣).

وأما الزمخشري في الكشاف فأورد: (أي ريشكم ولباسكم لباس الزينة ﴿زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ كما صليتم وطفتم، وكانوا يطوفون عراة. وعن طاووس لم يأمرهم بالحرير والديباج، وإنما كان أحدهم يصلون عرياناً ويدع ثياباً وراء المسجد، وإن طاف وهي عليه ضُرب وانتزعت عنه لأنهم قالوا: لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها، وقيل تفاؤلاً ليتعرُّوا من الذنوب كما تعرُّوا من الثياب، وقيل: الزينة: الطيب، والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة، وكان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتاً، ولا يأكلون دسماً يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: فإنا أحق أن نفعل، فقيل: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا

---

(١) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج٣، ص٣٢٧.

(٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة الأعراف.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص١٩٥.

﴿تُسْرِفُوٓاْ﴾، وعن ابن عباس رضي الله عنه: «كل ما شئت والبس ما شئت، ما أخطأت خصلتان: سَرفٌ ومخيلة»[1].

ما ورد في تفسير قوله: ﴿زِينَتِهِۦ﴾:

١- في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص].

جاء في تفسير ابن كثير: (يقول الله تعالى مخبراً عن قارون أنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة، وتجمل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا، ويميل إلى زخرفها وزينتها تمنَّوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي)[2].

وأما في تفسير السعدي فقال: (أي بحالة أرفع ما يكون من أحوال دنياه، قد كان له من الأموال ما كان، وقد استعد وتجمل بأعظم ما يمكنه، وتلك الزينة في العادة من مثله تكون هائلة جمعت زينة الدنيا وزهرتها وبهجتها ونضارتها وفخرها، فرمقته تلك العيون وملأت بزته القلوب واختلبت زينته النفوس، فانقسم فيه الناظرون قسمين كل تكلم بحسب ما عنده من الهمة والرغبة)[3]، وأما في تفسير القرطبي: (أي على بني إسرائيل فيما رآه زينة من متاع الحياة الدنيا، من الثياب والدواب والتجمل في يوم عيد، قال الغزنوي: في يوم السبت ﴿فِى زِينَتِهِۦ﴾ أي: مع زينته)[4].

ما ورد في تفسير قوله: ﴿زينتها﴾:

١- قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴿١٥﴾﴾ [هود].

جاء في تفسير ابن كثير: (قال العوفي عن ابن عباس: في هذه الآية: إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا، وذلك أنهم لا يظلمون نقيراً يقول من عمل صالحاً التماس الدنيا صوماً أو صلاة، أو تهجداً بالليل لا يعمله إلا التماس الدنيا يقول الله تعالى: أُوفِّيه

---

(١) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٢، ص٧٦.

(٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة القصص.

(٣) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٦، ص٣٠.

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٣١٦.

الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمله لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين، وهكذا روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد.

وقال أنس بن مالك والحسن: نزلت في اليهود والنصارى، وقال مجاهد وغيره: نزلت في أهل الرياء، وقال قتادة: من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء، وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة)[1].

وأما في تفسير السعدي: (أي كل إرادته مقصورة على الحياة الدنيا وعلى زينتها من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، قد صرف رغبته وسعيه وعمله في هذه الأشياء، ولم يجعل لدار القرار من إرادته شيئاً، فهذا لا يكون إلا كافراً، لأنه لو كان مؤمناً لكان ما معه من الإيمان يمنعه أن تكون جميع إرادته للدار الدنيا، بل نفس إيمانه وما تيسر له من الأعمال أثر من آثار إرادته الدار الآخرة، ولكن هذا الشقي الذي كأنه خلق للدنيا وحدها)[2].

وأما القرطبي فقال: (فيها ثلاث مسائل:

١- اختلف العلماء في تأويل هذه الآية فقيل: نزلت في الكفار، قال الضحاك: واختاره النحاس (أي من أتى منهم بصلة رحم أو صدقة فيكافئه بها في الدنيا، بصحة الجسم وكثرة الرزق ولكن لا حسنة له في الآخرة) وقيل: المراد بها المؤمنون أي من أراد بعمله ثواب الدنيا عُجل له الثواب، ولم ينقص شيئاً في الدنيا وله في الآخرة العذاب لأنه جرد قصده إلى الدنيا، وهذا كما قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[3] فالعبد إنما يعطى على درجة قصده، وبحكم ضميره، وهذا أمر متفق عليه في الأمم بين كل ملة.

وقيل: هو لأهل الرياء وفي الخبر أنه يقال لأهل الرياء: صمتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم القرآن ليقال ذلك فقد قيل ذلك. ثم قال: إن هؤلاء أول من تُسعَّر بهم النار، رواه أبو هريرة، ثم بكى بكاءً شديداً وقال: صدق رسول الله ﷺ، قال الله تعالى:

---

(١) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة هود.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٣، ص١٩٣.

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ص٣، ج١، رقم ١.

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ وقرأ الآيتين، وخرجه مسلم في صحيحه بمعناه والترمذي أيضاً.

وقيل: جاءت الآية عامة في كل من ينوي بعمله غير الله تعالى، كان معه أصل إيمان أو لم يكن، قال مجاهد وميمون بن مهران، وإليه ذهب معاوية رحمه الله تعالى، وقال ميمون بن مهران: ليس أحد يعمل حسنة إلا وُفِّيَ ثوابها، فإن كان مسلماً مخلصاً في الدنيا والآخرة، وإن كان كافراً في الدنيا، وقيل: من كان يريد الدنيا بغزوة مع النبي ﷺ وُفِّيها، أي: وُفِّي أجر الغزاة ولم ينقص منها وهذا خصوص والصحيح العموم.

٢- قال بعض العلماء: معنى هذه الآية قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» وتدل هذه الآية على أن من صام في رمضان لا عن رمضان لا يقع عن رمضان، وتدل على أن من توضأ للتبرد والتنظف لا يقع قربة عن جهة الصلاة، وهكذا كل ما كان في معناه.

٣- ذهب أكثر العلماء إلى أن هذه الآية مطلقة، وكذلك الآية التي في الشورى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا ﴿٢٠﴾ ﴾. وكذلك ﴿ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [آل عمران] قيدها وفسرها التي في سبحان ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الإسراء] إلى قوله: ﴿ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء] فأخبر سبحانه أن العبد ينوي ويريد، والله سبحانه يحكم ما يريد)[1].

٢- قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ ﴿٦٠﴾ ﴾ **[القصص]**.

جاء في تفسير ابن كثير: (يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وما فيها من الزينة الدنيئة والزهرة الفانية بالنسبة إلى ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم كما قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ ﴿٩٦﴾ ﴾ [النحل]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [آل عمران]، وقال عز وجل: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرعد]، وقال تعالى: ﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعلى]. وقال رسول الله ﷺ: «والله ما الحياةُ الدنيا في الآخرة إلا كما يغمسُ أحدكم

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٩، ص١٣-١٥.

إصبعه في اليم فلينظر ماذا يرجع إليه»[1])[2].

وجاء في تفسير القرطبي فقال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ يا أهل مكة ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ أي: تتمتعون بها مدة حياتكم، أو مده في حياتكم، فإما أن تزولوا عنها أو تزول عنكم)[3]، وأما في الكشاف فقال: (وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا، فما هو إلا تمتع وزينة أياماً قلائل وهي مدة الحياة المنقضية)[4]، وأما عند السعدي: (هذا حض منه تعالى لعباده على الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها، وعلى الرغبة في الأخرى، وجعلها مقصود العبد ومطلوبه ويخبرهم أن جميع ما أوتيه الخلق من الذهب والفضة والحيوانات والأمتعة والنساء والبنين والمآكل والمشارب واللذات، كلها متاع الحياة الدنيا وزينتها أي: يتمتع بها وقتاً قصيراً متاعاً قاصراً محشواً بالمنغصات ممزوجاً بالغصص، ويتزين به زماناً يسيراً للفخر والرياء والحرمان)[5].

وفي صفوة التفاسير: (أي: وما أعطيتم أيها الناس من مال وخير، فهو متاع قليل تتمتعون به في حياتكم ثم ينقضي ويفنى)[6].

٣- **قال الله تعالى:** ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ ﴿٢٨﴾﴾ **[الأحزاب]**.

جاء في تفسير ابن كثير: (هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن، فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب الإيمان، باب الإيمان، ص١٧٣، ج١٠، رقم ٤٣٣٠.

(٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة القصص.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٣٠٢.

(٤) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٣، ص١٣٦.

(٥) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٦، ص٢٤-٢٥.

(٦) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسيرو ج٢، ص٤٤١.

خير الدنيا وسعادة الآخرة)[1].

وأما عند السعدي فورد: (لما اجتمع نساء رسول الله ﷺ في الغيرة وطلبن منه أمراً لا يقدر عليه في كل وقت، ولم يزلن في طلبهن متفقات وفي مرادهن متعنتات، فشقَّ ذلك على الرسول الكريم حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهن شهراً، فأراد الله أن يسهل الأمر على رسوله، وأن يرفع درجة زوجاته، ويذهب عنهن كل أمر ينقص أجرهن فأمر رسوله أن يخيّرهن، روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه، بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن تعجلي حتى تستأمري أبويك، قال: وقد علم أن أبويَّ لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ الآية، فقلت: أي هذا أستأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قال: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت)[2])[3].

ما ورد في تفسير قوله ﴿زِينَتَهُنَّ﴾:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴿٣١﴾﴾ [النور].

جاء في تفسير ابن كثير: (أي: لا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه، قال ابن مسعود: كالرداء والثياب يعني على ما كان يتعاناه نساء العرب من القنعة التي تحلل ثيابها وما يبدو من أسافل الثياب فلا حرج عليها فيه، لأن هذا لا يمكن إخفاؤه ونظيره في زي النساء ما يظهر من إزارها وما لا يمكن إخفاؤه وقال بقول ابن مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وإبراهيم النخعي وغيرهم، وقال الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: وجهها وكفيها والخاتم)[4].

وأما في السعدي فقال: (لما أمر المؤمنين بغض الأبصار وحفظ الفروج وأمر المؤمنات بذلك، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ عن النظر إلى العورات والرجال

---

(١) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة الأحزاب.

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب إن كنتن تردن، ص١٧٩٦، ج٤، رقم ٤٥٠٨.

(٣) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٦، ص١٠٤-١٠٥.

(٤) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة النور.

بشهوة ونحو ذلك من النظر الممنوع ويحفظن فروجهن من التمكين من جماعها أو مسها أو النظر المحرم إليها، ولا يبدين زينتهن كالثياب الجميلة والحلي وجميع البدن كله من الزينة، ولما كانت الثياب الظاهرة لا بد لها منها قال: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي الثياب الظاهرة التي جرت العادة بلبسها إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة)[١].

وأما عند القرطبي: (أمر الله سبحانه وتعالى النساء بألا يبدين زينتهن للناظرين، إلا ما استثناه من الناظرين، في باقي الآية حذراً من الافتتان، ثم استثنى ما يظهر من الزينة، واختلف الناس في قدر ذلك، فقال ابن مسعود: ظاهر الزينة هو الثياب، وزاد ابن جبير: الوجه، وقال سعيد بن جبير أيضاً، وعطاء والأوزاعي: الوجه والكفان والثياب، وقال ابن عباس: ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب إلى نصف الذراع والقرط والفتخ[٢] ونحو ذلك فمباح أن تبديه المرأة لكل من دخل عليها من الناس)[٣].

وأما في تفسير الكشاف: (الزينة: ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب، فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب، وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا تبديه إلا للمذكورين في الآية الكريمة وهم: الزوج والأب وأب الزوج والابن أو ابن الزوج أو الأخ أو ابن الأخ أو ابن الأخت.

وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر، لأن هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء، وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن، فنهى عن إبداء الزينة ليعلم أن النظر إذا لم يحل إليها لملابستها تلك المواقع، بدليل أن النظر إليها غير ملابسة لها لا مقال في حله، كأن النظر إلى المواقع أنفسها متمكناً في الخطر ثابت القدم في الحرمة شاهداً على أن النساء حقهن أن يحتطن في سترها ويتقين في الكشف عنها)[٤].

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٥، ص١، ٢.

(٢) الفتخ: خاتم كبير يكون في السيد والرجل أو حلقه من فضة كالخاتم.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص٢٢٦.

(٤) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل =

٢- قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

جاء في تفسير ابن كثير: (أي: أزواجهن وكل من ذكر في الآية من محارم للمرأة يجوز لها أن تظهر بزينتها ولكن من غير تبرج)[١].

وجاء في تفسير القرطبي: (والبعل: هو الزوج أو السيد في كلام العرب، والزوج والسيد يرى الزينة من المرأة وأكثر من الزينة، إذ كل محل من بدنها حلال له لذة ونظراً، ولهذا المعنى بدأ بالبعولة وثنى بذوي المحارم وسوى بينهم في إبداء الزينة، ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما في نفوس البشر، فلا مرية أن كشف الأب والأخ على المرأة أحوط من كشف ولد الزوج وتختلف مراتب ما يبدى لهم، فيبدى للأب ما لا يجوز إبداؤه لولد الزوج، وأبناء بعولتهن يريد ذكور أولاد الأزواج، ويدخل فيه أولاد الأولاد وإن سفلوا من ذكران كانوا أو إناث، وكذلك آباء البعولة والأجداد، وإن علوا من جهة الذكران لآباء الآباء وآباء الأمهات، وكذلك أبناؤهن وإن سفلوا، وكذلك أبناء البنات وإن سفلن فيستوي فيه أولاد البنين والبنات ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني المسلمات)[٢].

٣- قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

جاء في تفسير ابن كثير: (كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق، وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوته ضربت برجلها الأرض، فيسمع الرجال طنينه، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك، وكذا إذا كان شيء من زينتها مستوراً، فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي، ومن ذلك أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها، ومن ذلك أيضاً ينهين عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج)[٣].

وأما في تفسير السعدي فقال: (وهذا لكمال الاستتار، ويدل على أن الزينة التي يحرم

= وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، ج٣، ص٦١-٦٣.

(١) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص٢٢٧-٢٣٨.

(٣) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، سورة النور.

إبداؤها يدخل فيها جميع البدن، ولا يضربن بأرجلهن ليصوت ما عليهن من حلي كخلاخل وغيرها فتعلم زينتها بسببه فيكون وسيلة إلى الفتنة، ويؤخذ من هذا ونحوه قاعدة سد الوسائل وأن الأمر إذا كان مباحاً، ولكنه يفضي إلى محرم أو يخاف من وقوعه فإنه يمنع منه، فالضرب بالرجل في الأرض الأصل أنه مباح، ولكن لما كان وسيلة لعلم الزينة منع منه، ولما أمر تعالى بهذه الأوامر الحسنة ووصى بالوصايا المستحسنة وكان لا بد من وقوع تقصير من المؤمن بذلك أمر الله تعالى بالتوبة)[١].

وأما عند القرطبي فقد جاء: (أي لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت لتسمع صوتَ خلخالها، فإسماعُ صوت الزينة كإبداء الزينة وأشد، والغرض التستر. أسند الطبري عن المعتمر عن أبيه أنه قال: زعم حضرمي أن امرأة اتخذت بُرَّتين من فضة واتخذت جزعاً فجعلت في ساقها فمرت على القوم فضربت برجلها الأرض فوقع الخلخال[٢] على الجزع، فصوت[٣]، فنزلت هذه الآية، وسماع هذه الزينة أشدُّ تحريكاً للشهوة من إبدائها)[٤].

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٥،ص٢٠٢.

(٢) أي: أصدر صوتاً.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص٢٢٧-٢٣٨.

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٢٢٧-٢٣٨.

المبحث الثاني
أنواع الزينة من خلال المعاني القرآنية

لفظ الزينة في القرآن الكريم ورد لمعان عدة منها:

الزينة النفسية:

ويراد بها الصفات التي أمر الله بها في الإسلام ورغَّب فيها، وأولها صفة الإيمان لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات] فإذا تحقق الإيمان في القلوب، نشأ عنه صفات تزين الإنسان من التقوى والعلم والحياء والصدق والكرم والشجاعة والصبر والمروءة والصلة، إلى غير ذلك من الصفات المحمودة، وكلها نعم من الله تعالى على عباده لاشتمالها على سعادة الدارين، فما ورد عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «إن الإسلام علانية والإيمان في القلب» قال: ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول: «التقوى هاهنا، التقوى هاهنا»[1]، وللمرأة نصيب وافر من الزينة النفسية المعنوية، متى اتصفت بالصفات الحميدة التي ترفعها إلى القمة، وابتعدت عن كل ما يشينها ويذهب بحيائها.

الزينة الخارجية:

وما يدرك بالبصر لقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ [الصافات]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴿٧﴾﴾ [الكهف]، ويدخل في ذلك الأنعام والأموال والحرث، قال القرطبي: (والزينة كل ما على وجه الأرض فهو عموم لأنه دالٌّ على بارئه)[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد، مسند أنس بن مالك، ج٣، ص٥٩٤، رقم ١١٩٧٣.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٣٥٤، دار إحياء التراث العربي.

الزينة المكتسبة:

وهي الخارجة عن الجسم المزيَّن بها، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ٣١﴾ [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ ٣١﴾ [النور].

والمكتسبة: هي ما تحاوله المرأة من تحسين خلقتها كالثياب والحلي والكحل والخضاب، ومنه قوله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ وقال الشاعر:

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى   وإذا عطلن فهن خير عواطل

زينة خلقية بدنية:

وهي كل جمال خلقي في الإنسان كاعتدال القامة، وتناسق الأعضاء، وجمال البشرة وسعة العيون، والوجه هو أصل الزينة وجمال الخلقة.

المبحث الثالث

خلاصة ما يؤخذ من أقوال المفسرين

من خلال ورود الآيات، وما جاء فيها من تفسيرات خاصة بلفظ الزينة، تبين أن الزينة جاءت شاملة لكل شيء في الكون، وأنها اختلفت باختلاف موضعها بين معنى وآخر.

فزينة الحياة الدنيا وُضِّحت من خلال الآيات القرآنية بأنها شاملة اللعبَ واللهو والتفاخر بالأنساب، وتكاثر الأموال والأولاد، وإن الله سبحانه وتعالى زيَّنها بالشهوات، ومن هذه الشهوات النساء والأبناء وجمع الأموال من الذهب والفضة وتكثيرها حتى تكون قناطير مقنطرة، وكذلك من زينة الحياة الدنيا: الأنعام من الإبل والبقر والأغنام إلى جانب الخيل وكذلك الزروع والثمار، وبين أن الغاية من جعلها زينة ومتاع الحياة الدنيا هو الابتلاء والاختبار.

وأمَّا زينة السماء فقد وردت في لفظها ست آيات بيِّنات، بيَّن الله سبحانه وتعالى من خلالها أن السماء الدنيا زيِّنت بزينة الكواكب من النجوم والقمر والشمس وغيرها، وبيَّن الله سبحانه أن الغاية من جعلها في السماء وهي:

١- أن تكون زينة للناظرين إليها من أهل الدنيا، ليستدلوا بها على إبداع الخالق.

٢- أن تكون نوراً يهتدى به في ظلمات الليل لمن كان سائراً.

٣- وأن تكون رجوماً للشياطين إذا أرادوا استراق السمع من السماء.

وأما زينة الأرض فتبيَّن أن الله سبحانه وتعالى جعل الأرض لها زينة يستطيع رؤيتها كل مخلوق، وبها يستدل على خالقه فيؤمن به إيماناً يقينياً، فمن زينة الأرض ما جعل فيها من جبال أو أنهار أو وديان أو سهول، أو بحار، وخلق الحيوانات باختلاف أنواعها وأشكالها وأحجامها وأصنافها والغاية من خلقها أمور منها:

١- أن تكون زينة.

٢- للتفاخر باقتنائها، وتكاثرها مباهاة للإنسان.

٣- لحمل أثقال الإنسان ومساعدته في عمله، من حرث وسقاية وغيرها.

٤- للاستفادة من لحومها وألبانها وأوبارها وأشعارها وجلودها لصناعة اللباس الذي يتزين به الإنسان ويستر بها نفسه، ولبس الرفيع من الثياب مما يتميز به عن سائر المخلوقات.

وخلق النباتات وما فيها من جمال في منظرها، واختلاف ألوانها وأنواعها وأشكالها، وبين الغاية منها ومن أنواعها وهي:

١- أنواع منها للأكل.

٢- ومنها للمنظر الحسن مثل الورود والأزهار.

٣- منها للوقاية من البر والحر سواء باستخدامها للوقود وقت البرد، أو الاستظلال بظلها وقت الحر.

٤- خلق الأرض بهذه الزينة وهذا الجمال للابتلاء والاختبار.

وهي زينة في أصلها ودلالة على عظم خلق الله سبحانه وتعالي، وكل ما خلق على الأرض، خلقه الله مسخراً للإنسان سواء كان زينة، أو للاستفادة منه لحياته الدنيا والآخرة، وحتى تكون ابتلاء واختبار له.

ومن خلال الآيات وتفاسيرها، تحدثت بعض الآيات عن زينة الشيطان وورد من الآيات التي جاءت بلفظ الزينة منها اثنتا عشرة آية خاصة بزينة الشيطان، وتبين من خلال ذلك أن زينة الشيطان تكون هي:

١- أن الشيطان يزين للإنسان عن طريق الوسوسة في النفس.

٢- أن الشيطان يزيِّن للإنسان عن طريق الشرك بالله، بعبادة الشمس والقمر والكواكب والحجر والشجر، واتباعه من لا يستحق العبادة من المخلوقات من الناس بتأليههم، أو بتقديم القرابين لهم من دون الله، وتقسيم القرابين بين أصنامهم وبين الله، أو تقسيم

الحرث بين أصنامهم وبين الله سبحانه وتعالى.

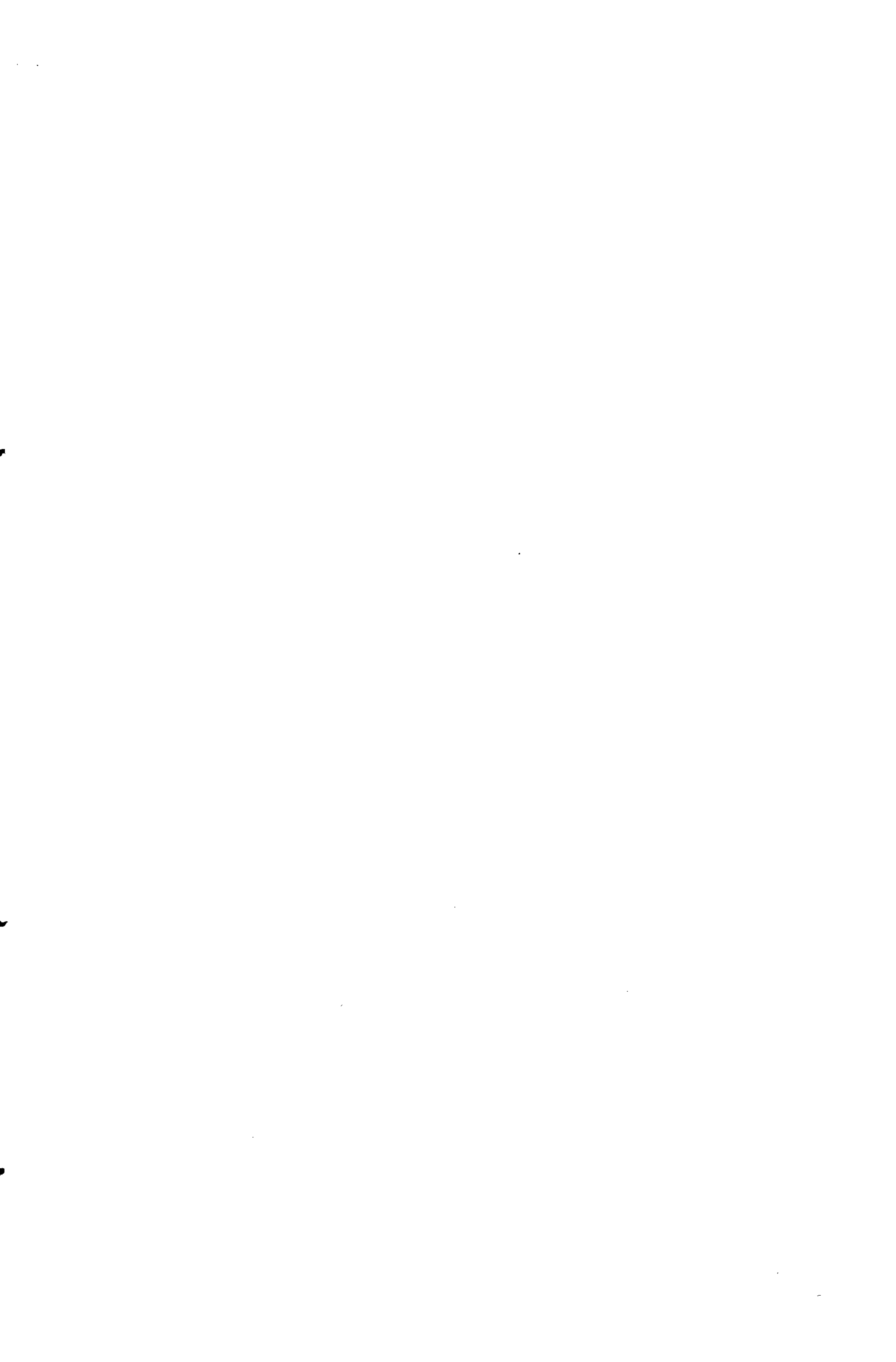
٣- أن الشيطان يزين للإنسان عن طريق تكذيب الرسل وقتلهم وعدم الإيمان بما جاءوا به من عند الله.

٤- أن الشيطان يزين للإنسان عن طريق سب الآلهة وحب الأصنام والانتصار لها.

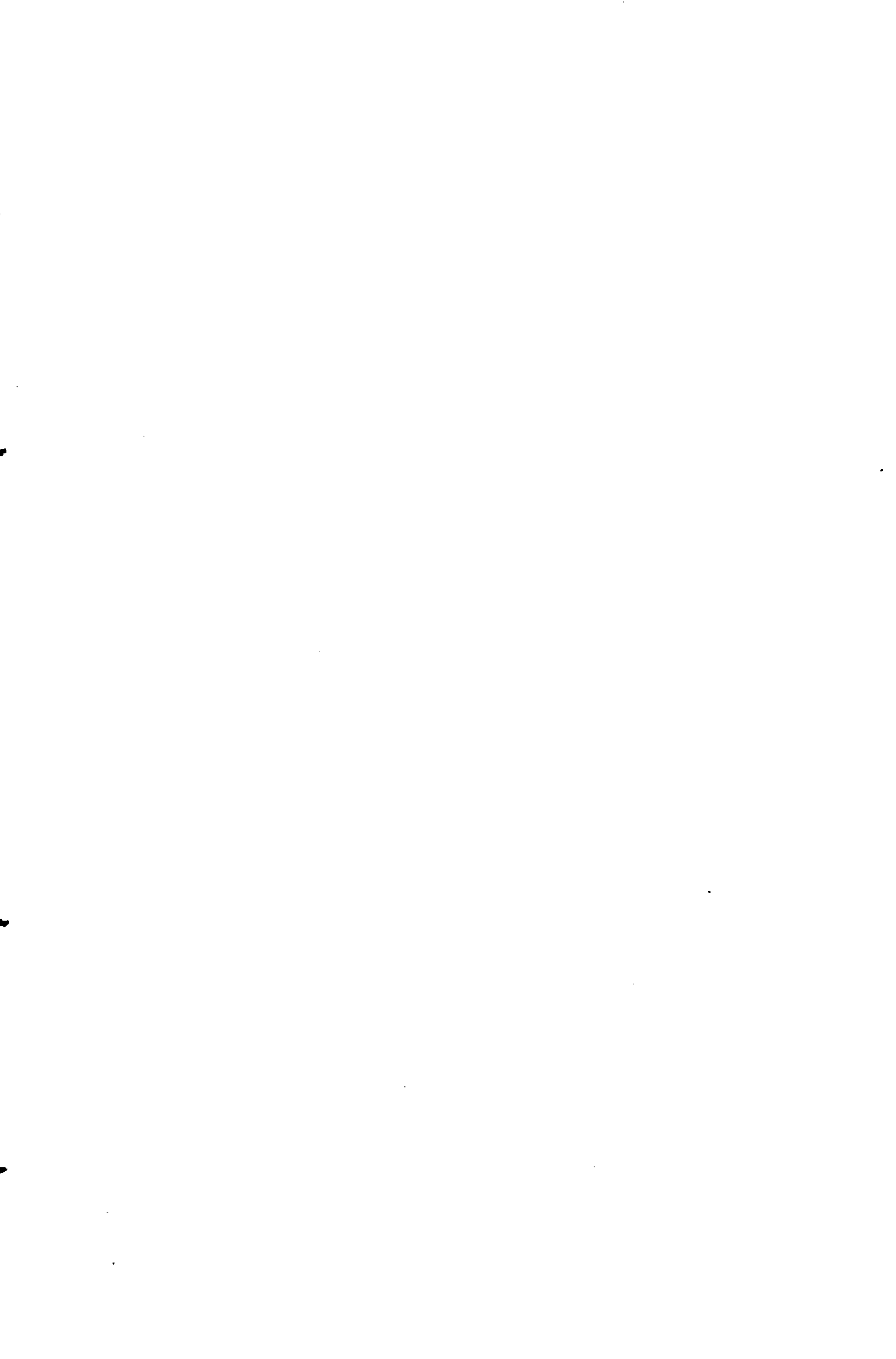
٥- أن الشيطان يزين للإنسان عن طريق فعل المعاصي والإصرار عليها ظناً منه أنها حسنة.

٦- أن الشيطان يزين للإنسان عن طريق قتل الأولاد، إن كانوا ذكوراً خوف الفقر، وإن كانوا إناثاً خوف العار.

والشيطان يزين للإنسان في أمور كثيرة، سنأتي إلى شرحها بالتفصيل في مبحث خاص من هذا الموضوع إن شاء الله.



الباب الثاني
أنواع الزينة



الفصل الأول
نظام وجمال في الكون

لو تصادف أنك رأيت في مكان ما، في زمنٍ ما، مزرعة صغيرة، أو أحجاراً على شكل كوخ صغير بسيط، يريك الواحد منها نظاماً واتساقاً وجمالاً وسحراً. لا يمكن للمصادفة في وجودها، بل هما آية على صنع الصانع وخلق الخالق، لكن العلماء يقولون بأن وجود النظام والجمال عاملان شاملان مستمران في الكون كله، فإن ذلك يدل لا محالة وبالبداهة على صنع الصانع، وتنظيم المنظم وإبداع المبدع.

وأن ترى التدبير المتقن والسنن المحكمة التي لا حياد عنها، والحال الرائع والنظام الدقيق الفائق، تسود الكون كله، فلعمري إنه الدليل الذي يدل على قدرة القادر، وخلق الخالق من إله واحد في ملكوته الذي لم نعرف له حدوداً في الزمان والمكان، إن خواص المادة تبدو ملائمة للحياة ملاءمة هذه، بل إن حدوث أدنى زيادة أو نقصان في الكمية الثابتة يجعل الحياة في كل حالة أمراً مستحيلاً، وهو ما يدل على العناية المستهدفة لا على المصادفة.

والنظرة العلمية الجديدة وهي أن الكون مجموعه بما في ذلك المادة والطاقة والمكان والزمان حدث، وقع في وقت واحد، وكانت له بداية محددة، ولكن لا بد من أن شيئاً ما كان موجوداً على الدوام، لأنه إذا لم يوجد أي شيء من قبل على الإطلاق فلا يمكن أن يوجد الآن، فالعدم لا ينتج إلا العدم، وإن الحقيقة غير المادة الوحيدة هي (الخالق)، فإذا كان الخالق هو الشيء الذي وجد دائماً فلا بد من أن تكون المادة من خلق الخالق أزلي الوجود، وهذا يشير إلى وجود خالق أزلي خلق كل الأشياء، وهذا الخالق هو (الله).

فهذه النظرة لا تقتصر على أولية (الخالق) للكون، بل تؤكد أيضاً أن الجمال جزء من بنية العالم، والبشر يلحظون يد الله في ندفة الثلج، ومن غروب الشمس، وفي حقل الأعشاب، وعظمة الجمال تحمل توقيع الله الذي لا تشبهه فيه، والجمال وحده إلهي

مرئي في آن معاً، فلا تدع الفرصة تفوتك في مشاهدة أي شيء جميل، لأن الجمال خط بيد الله، نرى الجمال في كل سماء صافية وفي كل زهرة جميلة..

وهكذا ففي النظرة العلمية الجديدة نجد أن أصل الكون وبنيته وجماله، تفضي جميعاً إلى النتيجة نفسها، وهي أن الله واجب الوجود، وأن كل المخلوقات من حيوان ونبات توحي بالجلال والاحترام لها وبالجمال وكمال الخلق، وهي تبدو مبرمجة أو مخلوقة هكذا لا تحيد عن ذلك، فهل رأيت طيراً لا يبني عشه أو يطعم فراخه؟ أو رأيت حيواناً لم يهبه الله الذكاء والمقدرة على تحصيل رزقه، أو الدفاع عن نفسه؟ حقاً إن هذه المخلوقات لا تعرف الهزل، فهي جدية ولكن في وداعة، غريبة ولكن في جمال، وبسيطة ولكن في جلال آسر.

إن كلاً منها تسير على الطريق التي اختطها الخالق لها طائعة ملبية، وهي تسبِّح بحمد ربها كلها قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء] إنها لا تعرف الكذب أو المصانعة، بل هي متسقة مع نفسها ومع ما حولها، بل ومع الكون جميعاً، في تناغم عجيب، وجمال بديع فتعالى الله الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين، والباطن بجلال عزته عن فكرة المتوهمين.

إن كل ما في الوجود لهو آيةٌ في الروعة والجمال، وإن الجمال يحيط بنا ويغمرنا ويبهرنا ويملك علينا أحاسيسنا، وإن النفس المؤمنة والقلب الصافي المؤمن بالله الحق يشعر بروعة الجمال في كل شيء وأنّى ولّى وجهه، ونرى الجمال في الوجود كل الوجود، الذي يحكي مع الله وإبداعه..

الجمال في المحسوسات تستشعره النفس وتسعد به وترتوي منه، والجمال المحسوس يغدق على النفس جمال الروح وجلالها، والمحبة والخير على كل من حوله، ونفسه قبل ذلك، ولقد خلق الله من صنوف الجمال في الطبيعة والمخلوقات، ما لا يدرك ولا يحصى، فكل صنف من صنوف النبات فيه جمال، وكل صنف من صنوف الحيوان فيه جمال، وكلٌّ يتميز بخصائص خاصة تميزه عن غيره، وله طابع خاص به، وكلها مصدر من مصادر الجمال الذي لا ينضب، وكلها تنطق سحراً وجمالاً وعزة وبهاء وجلالاً وكبرياء، كلها تنطق بقدرة الخالق وصنعه المتقن، وتسبِّح له وتعظِّمه.

كل ما في الكون نجده متناغماً منسجماً مع نفسه، ومع ما حوله من مخلوقات على

نحو بديع فنجد الشمس تنسجم مع الهواء ومع الحيوان ومع النبات ومع الإنسان، وكذلك البحر والحيوان والنبات وكلٌّ له مهام يقوم بها، يؤدي دوره في هذه الحياة ليكمل بعضه بعضاً، وتكتمل دائرة الجمال والكمال لله سبحانه وتعالى.

الفصل الثاني

أنواع الزينة

لو تتبعنا الزينة لوجدناها تتنوع بأنواعٍ منها:

١- الزينة الظاهرة.

٢- الزينة الباطنة.

٣- الزينة الباطنة الظاهرة.

المبحث الأول

الزينة الظاهرة

هي كل زينة وجمال يستطيع الإنسان إدراكها أو رؤيتها بالعين المجردة، وكلُّ زينةٍ خلقية خلقها الله سبحانه وتعالى نستطيع رؤيتها دونما حائل، فلو نظرنا إلى السماء لوجدناها زيِّنت بالكواكب والنجوم لقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ [الصافات]، ولو نظرنا إلى الأرض لرأينا زينتها في النباتات والأعشاب والجبال والأنهار وغيرها لقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج]، ولو نظرنا إلى البحر لظهرت زينته في السماء وفي السفن وفي السمك وكلُّ ما فيه أو عليه لقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ۝٢٤﴾ [الرحمن].

ولو نظرنا إلى الإنسان لظهرت زينته في خلقه وتكوينه بأحسن صورة، من جمال الوجه إلى جمال العين أو اللسان أو الأذن أو غيرها، تناسق جميل أدى إلى جمال منظر الإنسان لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين]، فكلُّ زينةٍ ظاهرة في الكون تشهدُ بوجود الخالق المُبدع لهذا الكون.

ومن **الزينة الظاهرة العين:** العين تلك العضلة الموجودة في مقدمة الرأس، جَمَّلَ الله الإنسان بالعينين، وبها يُدرك وجود الله سبحانه وتعالى، من خلال آياته في الكون التي

يستطيع الإنسان رؤيتها، والإيمان بوجود خالق لها أبدعها وكوّنها بهذا الجمال وهذا الكمال، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾ [البلد].

والعين ترى الجمال وترى الزينة، وهي التي تعرف الحق والباطل، فالمؤمن إذا رأى آيات الله في السماء أو في الأرض أو في البحر أو في الأنهار أو في نفسه لقوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات] لتيقن بوجود إله واحد لا شريك له في الخلق وفي المُلك.

فنجد المؤمن كلما نظر إلى آية من آيات الله ازداد إيماناً، ويظهر هذا الإيمان عليهم لقوله تعالى: ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ۝٨٣﴾ [المائدة] لخشيتهم وورعهم، أمّا الكفار فطمس على أعينهم فلا يستطيعون الرؤية، قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣﴾ [محمد].

وقد بيَّن لنا رسولنا الكريم أن العين تزني، وزناها النظر إلى ما حرَّم الله، وتكون فتنة، وأكبر خائنة نفسية هو نظر العين إلى ما حرم الله، ولذلك يؤاخذ الله عليها، لذلك نهى رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر]، وقال سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ۝٣٠﴾ [النور]، ولذلك لم يكن النهي للرجال خاصة، وإنما كان للنساء أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ۝٣١﴾ [النور]، وقال ﷺ لعلي كرَّم الله وجهه فقال: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليس لك الآخرة»[1]، وسأل جابر رضي الله عنه عن نظر الفجاءة فقال ﷺ: «اصرف بصرك»[2].

---

(١) رواه أبو داود، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر، ص٢٤٦، ج٢، رقم ٢١٤٩.
(٢) (د).

المبحث الثاني
الزينة الباطنة

وهي الزينة غير الظاهرة، هي موجودة ولا نستطيع رؤيتها لوجود حائل، وهي عدم وجود المدارك التي تؤهلنا لذلك والاستعدادات، ولكننا نستطيع الاستدلال من الدلائل والبراهين على وجودها، وأهم مظهر من مظاهر الزينة الباطنة هو القلب.

لفظ القلب يطلق على معنيين:

إحداهما: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه، وهو عبارة عن مضخة تضخ الدم إلى أنحاء الجسم بأمر الله تعالى واستمرار حركته بسبب وجود الروح في الجسد.

الثاني: هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو - القلب - المُدرك العارف من الإنسان، وهو المُخاطب والمُعاقب والمُعاتب والمُطالب لها علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيَّرت أكثر العقول في إدراك وجه علاقته، فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات، أو تعلُّق المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلُّق المتمكن بالمكان.

وهو قوة غريزية أودعها الله عند القلب الصنوبري اللحمي، تتحرك به المدركات، وهو من قبل الممكنات، ويسمى عقلاً وروحاً، ولكل تعلقات من هذا الجسم، تعلُّق الروح به فهي جسم نوراني لطيف مُبدع من غير مادة، سار في جوهر الأعضاء سريان الماء في النبات، والنار في الفحم، لا تتبدل ولا تتحلَّل، فيفيده هذا السريان الحياة وتوابعها، وبانقطاعه يحصل للجسد الموت.

وهذا الروح هو الحامل لصفات الكمال من العقل والفهم، وهو الإنسان في الحقيقة، والمشار إليه بلفظ «أنا» دون الهيكل المخصوص القابل للزوال والفناء، إلى هذا ذهب

الإمام مالك إمام دار الهجرة، وجمهور المتكلِّمين والسادة أهل التزكية والرازي وإمام الحرمين، واختاره ابن القيم، وقال: إنه الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة، وانعقد عليه إجماع الصحابة، وأقام ابن القيِّم زهاء مائة دليل على ذلك في كتابه - الروح -.

ثم عالَم الأرواح يختلف عن عالم المادة، اختلافاً كثيراً في أحواله وأطواره، فالرُّوح يخلقها الله تعالى ويسلكها في الجسد، وهو جنين، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون]، فتُحدِثُ به نوعاً من الحياة والحركة، ثم إذا انفصل وبرز إلى الحياة الدنيا توجب له حِسَّاً وحركة وشعوراً، ويسمى بذلك حياً، ثم تفارقه في الوقت المقدَّر أزلاً لقطع علائقها به، فتبطل هذه الآثار ثم يفنى البدن، ويصير بعد زمان تراباً ويسمى ميتاً.

ولكن - الروح - وهي في عالم البرزخ كما قال تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون] وهي ما بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، أي: من حين الموت إلى يوم البعث والنشور - تبقى حية مُدركة تسمع وتبصر وتسبح وتجول في ملكوت الله تعالى، حيث أراد وقدَّر، وتتصل بالأرواح الأخرى وتناجيها وتخبرها بشؤون الأرواح سواء أكانت أرواح أموات أم أرواح أحياء، وتشعر بالنعيم والعذاب واللذة والألم بحسب حالها، وما كان لها من اعتقاد وعمل في الحياة الدنيا، وتردُ أفنية القبور، وتعرف المسلم، وتردُّ السلام، ويعرض عليها مقعدها في الجنة أو النار، وقد تأوي إلى المنازل وتتصل بأهلها اتصالاً روحياً.

ويختلف مستقرُّ الأرواح في عالم البرزخ بحسب حالها واعتقادها وأعمالها في الدنيا، فمستقرُّ الأنبياء في أعلى عِلّيين، ومستقرُّ أرواح الشهداء الجنة ترد أنهارها، وتأوي إلى قناديل معلَّقة بالعرش، ومستقرُّ أرواح سائر المؤمنين الجنة، وترد أفنية القبور والمنازل، ومستقرُّ أرواح الكفار في سجِّين وما أدراك ما سجِّين، إنه ديوان الشر. والروح من كل ذلك لطيفة ربانية لا يحدُّها مكان، ولا يحصرها حيِّز، ولا تُرى بالعيون والآلات، كما تُرى الماديات، وقد يأذن الله تعالى لها وهي في عالم البرزخ أن تتصل بالبدن كله، أو ببعض أجزائه اتصالاً خاصاً كالاتصال الدنيوي، يشبه اتصال الشمس بضوء القمر بالعالم الأرضي، وهو اتصال إشراق وإمداد، فيشعر البدن بالنعيم أو العذاب ويسمع ويجيب بواسطة الروح.

وزينة القلب هي من النوع الثاني من الزينة الباطنة، والقلب مناطُ الإيمان والكفر وهو غير ظاهر للعيان، وإنما الظاهر منه الأفعال والأقوال، التي تثبت ما هو عليه، فالقلبُ هو الأساس، إيمانٌ يكون بالعقل لكن اليقين والتثبُّت بالقلب، فهو من أسس الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فقد قال ﷺ: «الإيمان ما وَقرَ في القلب وصدَّقه العمل»(١)، ويقول ﷺ: «التقوى هاهنا التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات»(٢)، فالإيمان داخل القلب لا يعلمه أحد إلا إذا صدَّق عليه العمل، لذلك نجد الآيات القرآنية أغلبها يقرن الإيمان بالعمل للعلاقة الوثيقة بين الإيمان والعمل فنجد الآيات كقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۝٢٤﴾ [ص]، ولو نظرنا إلى الناس نجدهم نوعان مؤمن وكافر، مؤمن بقلبه، وكافر بقلبه، ولا يمكن أن يكون الإنسان مؤمناً وكافراً في نفس الوقت لقوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۝٤﴾ [الأحزاب].

أما قلب المؤمن فهو أنواع كما بينه الله في كتابه العزيز فمنه:

- القلب التقي: لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾ [الحج].

- القلب الطاهر: فطهارة القلب دليل على الإيمان لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ ۝٧﴾ [الحجرات].

- القلب الخائف: خوف تقوى وإيمان بالله سبحانه وتعالى يخاف الآخرة وعذاب النار فيقبل على الله لقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧﴾ [النور].

- القلب السليم: من الكفر والضلال والغي، قلب صافٍ مؤمن مقبل على الله بكليته، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء].

- القلب التائب: العائد إلى الله بالتوبة والإنابة، كلما أخطأ عاد إلى الله مستغفراً تائباً عما بدر منه، راجياً من الله العفو والمغفرة، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣﴾ [ق].

---

(١) رواه البخاري، كتاب شعب الإيمان، باب القول في زيادة الإيمان ونقصانه، ص٨٠، ج١، رقم ٦٦.

(٢) رواه أبو يعلى، كتاب قتادة عن أنس، باب قتادة عن أنس، ص٣٠١، ج٥، رقم ٢٩٢٣.

● القلب المطمئن: وهذا الإنسان الذي يملك هذا القلب هو الذي يكثر من ذكر الله لعلمه ويقينه بأنه لا إله إلا الله فيكثر من التهليل والتحميد، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

● القلب المهتدي: وهذا القلب الذي عرف الله من خلال آياته الكبرى، واهتدى بقلبه إلى أنه وحده لا شريك له، فيقبل على الله بالطاعة والذكر، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴿١١﴾﴾ [التغابن].

● القلب المتدبر: وهذا القلب الذي رأى الله في خلقه فتدبرها ووعاها وأيقن أنها مخلوقة، ولا بد لها من خالق، وأن الخالق هو الذي أبدعها وصوَّرها بالصورة التي رآها، فآمن بالله حق الإنسان، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

● القلب اللين: وهذا القلب الذي إذا سمع آيات الله تقرأ لان وزادته هذه الآيات إيماناً ويقيناً بأن الله واحد أحد لا شريك له، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].

ولو تتبَّعنا هذه القلوب لوجدناها تتفق جميعها في الإيمان بالله، فالقلب المؤمن بالله هو قلب تقي طاهر خائف من عذاب الله وعقابه، سليم من الكفر والدنس، وتائب عابد مطمئن متيقن أن الله هو الخالق المُبدع لهذا الكون، فهذا الإنسان زان قلبه بالحق واتَّجه اتجاهاً كلياً، وأقبل إقبالاً كاملاً على الطاعة.

وأما الكافر فقلبه على أنواع:

● القلب الكافر: الذي لا يؤمن بوجود إله فنجده يتخبط في ضلاله، فتارة يعبد الحجر وتارة يعبد الشجر، وتارة يعبد الشمس أو النار، يعرف بوجود إلهه، ولكنه لا يستدل عليه لكفره وعناده، وهو على علم بأن خالق السموات والأرض هو الله، إلا أنه يوجِّه قلبه إلى مخلوق، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة].

● القلب المنافق: الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان، يؤمن بظاهر القول ولكن قلبه كافر بالله، فإيمانه ظاهر وكفره باطن، فهو يُظهر خلاف ما يُبطن قلب منافق، قال تعالى:

﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر].

● القلب المتبع لهواه: الذي ينساق وراء عاطفته وشهواته، فلا يحكمه عقل وإنما الذي يحكمه هواه حتى لو كان ذلك الهوى مخالفاً لشرع الله، فنجده انساق وراء الملذَّات والشهوات وملذات الدنيا، وشهواتها الكثيرة، فهو ينتقل بين هذه وهذه، ضائع غارق متبع مقلِّد، قال الله تعالى: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنبياء] فتارة نجدهم مع هؤلاء وتارة مع هؤلاء، لا يستقرُّون على حال ولا يشعرون بطمأنينة، قال الله فيهم: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [النساء].

● القلب المريض: الذي لم يعرف الحق وشغل قلبه ونفسه بأمور لا تستحق، فقلبه مريض لم يعرف دواء، فمرضه الكفر بالله ومرضه استفحل واستعصى لشدة نكرانه لوجود الله وعدم إيمانه، ودواؤه هو الإيمان بالله، ولكنه لم يعرف للدواء طريقاً فتاه في دروب الشرك والكفر والإلحاد، فإن أغفل قلبه عن الدواء فكيف يبرأ، قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة].

● القلب القاسي: وهذا الإنسان الذي لم يعرف للإيمان طريقاً، ونجده يتخبط في ظلمات الكفر، وكلَّما ازداد زاد قسوةً وغِلظة وكفراً وعناداً، فقد وصفهم الله بقوله: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة]، فأصبحت قلوبهم بعد كفرهم بالله وعنادهم كالحجارة لا تشعر بهيبة الإيمان والطاعة، وكلَّما ازداد كفرهم كلَّما زادت قساوتهم فنعتهم الله بقوله: ﴿ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج].

● القلب الأعمى: الذي عمي عن معرفة الحقِّ واتباعه فهو أعمى البصيرة، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج].

● القلب المشمئز: الذي إذا ذكر الله أعرض وصَمَّ أذنيه عن سماع الذكر، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ﴾ [الزمر].

● القلب المتكبر: الذي إذا دُعي للإيمان أخذته العزة بالإثم تكبراً وتجبراً فهو مستحق النار وبئس المصير، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر].

ولو تتبعنا أنواع القلوب لدى الكفار، لوجدناها بعيدة كل البعد عن الله وعن طاعته،

وأساسها الكفر بالله والتكبر والتعنُّت والتجبُّر والنفاق، ولو أنهم زيّنوا قلوبهم بمحبة الله والإيمان به لتبدل الحال لديهم، إلا أنهم زيّنوها بالكفر واتباع الشيطان فزيّن لهم أعمالهم وأودى بهم في دركات النار والعياذ بالله.

(والقلب وصف بالحياة والموت، والمرض والشفاء، وذلك أعظم شيء في جسم الإنسان، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام] أي من كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالإيمان، فالقلب الصحيح الحي إذا عرض عليه الباطل والقبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر)، وكذلك القلب المريض بالشهوة فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه.

ومرض القلب نوعان: مرض شهوة ومرض شبهة، وأردؤها مرض الشبهة، وقد يمرض القلب ويشتد مرضه، ولا يشعر به صاحبه لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلاقة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبيح عليه، وتألم بأهله بالحق بحسب حياته.

وقد يشعر بمرضه ولكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليه، فيؤثر بقاء ألمه على مشقة الدواء، فإن دواءه في مخالفة الهوى، وذلك أصعبُ شيء على النفس، وليس له أنفع منه، وتارة يوطِّنُ نفسه على الصبر ثم ينفسخ عزمه، ولا يستمر معه لضعف علمه وبصيرته وصبره، كمن دخل في طريقٍ مخوفٍ مُفْضٍ إلى غاية الأمن، وهو يعلم أنه إنْ صبر عليه انقضى في الخوف وأعقبه الأمن، فهو محتاج إلى قوة وصبر، وقوة يقين بما يصير إليه، ومتى ضعف صبره ويقينه رجع من الطريق، ولم يتحمل مشقتها ولا سيما إن عدم الرفيق واستوحش من الوحدة وجعل يقول: أين ذهب الناس فلي أسوة بهم! وهذا حال أكثر الخلق، وهي التي أهلكتهم، فالصابر الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده، إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء].

وعلامة مرض القلب عدوله عن الأغذية النافعة الموافقة إلى الأغذية الضارة، وعدوله

عن دوائه النافع إلى دوائه الضار فها هنا أربعة أشياء: غذاء نافع ودواء شاف، وغذاء ضار ودواء مهلك.

فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك، وأنفع الأغذية غذاء الإيمان وأنفع الأدوية داء القرآن، وكلٌّ منهما معه الغذاء والدواء فمن طلب الشفاء في غير الكتاب والسنة فهو من أجهل الجاهلين وأضل الضَّالين، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء].

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاوم الدواء أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء)[١].

---

(١) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٧٦.

المبحث الثالث

الزينة الباطنة الظاهرة

القسم الأول: العقل:

إن من الزينة الباطنة الظاهرة العقل. إن سعادة الإنسان معقودة بحفظ عقله، والعقل من الإنسان كالقطب من الرحى، أو الشمس من الكون أو البروج من الجسد، به يعرف الخير من الشر، والضار من النافع، والهدى من الضلال، به يرفع الله شأن الإنسان ففضَّله وكرَّمه على سائر من خلقه وخاطبه وكلفه واستخلفه في الأرض، وجعله مسئولاً أمامه عما يأتي ويذر، وحفظاً لهذه النعمة الكبرى حرَّم الله عليه أن يندفع وراء شهواته الفاسدة التي تفسد تلك النعمة أو يضعفها بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء] فلقد كرَّم الله الإنسان بالعقل وجعله مناط التفكير.

والعقل باطن وليس ظاهراً، ولكنه يُظهر زينته من خلال أفعال الإنسان واتباعه أوامر الله تعالى، فالعقل زينة الإنسان ميَّزه الله به على سرائر المخلوقات، وخاطبه به في أكثر الآيات مثل قوله تعالى: ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة]، ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس]، ﴿ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة] وغيرها من الآيات التي تؤكد أن الله سبحانه وتعالى زيَّن الإنسان بزينة **العقل**، وبيَّن له أن العقل نعمة كبرى، ولا بد من استخدامه واللجوء إلى حكمه، إذا كان موافقاً للشرع، وإلا فإن العقل لا يُدرك كل شيء على ما هو عليه، وفي نفس الأمر، ولذلك بعث الله تعالى الرسل بسبب قصور **العقل** عن إدراك كل الأشياء على حقيقتها ومقتضى حالها.

وجعل الله سبحانه وتعالى الحساب والعقاب على الإنسان العاقل، وعفا عن المجنون والصغير الذي لا يُدرك، لحديث رسول الله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل»[1]، لذلك نرى الإنسان

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب أحداً، ص١٤١، ج٤، رقم=

يحكمه عقله في تصرفاته وأقواله وأفعاله، فالعاقل من زيَّن عقله بالحكمة والسداد كما وصفه الرسول ﷺ: «الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»[1].

ونرى أن الله سبحانه وتعالى يعيب على الذين يهملون استعمال العقل بأسلوب مؤثر فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال]، كما بيَّن أن إهمال استعمال العقل سبب عذاب الآخرة لقوله تعالى: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك].

لهذا كله نجد أن العقل هو الذي يحدد اتجاه الإنسان، ويُبيِّن له كيف يحكم الأمور في كل ما يعرض له في الدنيا، فالعقل الذي استوفى شروط الفهم التي تؤهله لإدراك ما يلقى إليه هو المحاسب، فزينة العقل إذن هي اتباع أوامر الله وطاعته والظهور بالمظهر الحسن، فنجد أن المؤمن يحرص على طاعة الله في لباسه ومظهره ومشيته ومخاطبته للآخرين، وهم الذين وصفهم الله بكتابه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان] فهذه صفات المؤمنين الذين عرفوا الحق فاتبعوه، وبذلك بيَّن لهم عقلهم الطريق الصحيح في هذه الحياة الدنيا التي تؤدي بهم إلى جنة عرضها السموات والأرض.

أما الذين أهملوا استعمال عقولهم، وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم، فنراهم يتبعون بعقولهم أناساً لم يكونوا منهم، وليسوا على عقيدتهم، ولم يكونوا من جنسهم، ولا توجد بينهم في صفات مشتركة، ولا قسمات متساوية، فهم في واد، وأهل الإيمان في واد آخر، وقد نهانا الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران]، أناساً غيرهم، من غير المسلمين يقلدونهم ويحاكونهم في جميع أحوالهم وأفعالهم وأقوالهم، حتى لو كانت مخالفة لأوامر الله سبحانه وتعالى، فهم كما وصفهم الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان] أي: أنهم عطَّلوا عمل عقولهم، واتبعوا غيرهم وقلَّدوهم دون أي تفكير، أو توجيه صائب لعقولهم، فزينة عقولهم كانت زينة متبعة إلى شر وإلى دمار وهلاك لنفوسهم وعقولهم.

= ٣، ٤٤.

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، والرقائق والورع، ص٦٣٨، ج٤، رقم ٢٤٥٩.

ومن الزينة - زينة اللسان - أو القول:

اللسان هو أحد آيات الله الدالة على الله سبحانه وتعالى، وهو ترجمان ملك الأعضاء يبين عنه، ويبلغ مقاصده ومراداته، فجعله سبحانه ترجماناً لملك الأعضاء الذي هو القلب مبيناً عنه، كما جعل الأذن رسولاً مؤدياً مبلغاً إليه، فهي رسوله وبريده الذي تؤدى إليه الأخبار، واللسان رسوله الذي يؤدي عنه ما يريد، واقتضت حكمته سبحانه أن جعل هذا الرسول مصوناً محفوظاً مستوراً غير بارز مكشوف كالأذن والعين والأنف.

واللسان عبارة عن إحدى آلات التعبير عما يجول في باطن الإنسان، إن كان صادقاً أو غير ذلك، ولذلك لا يترتب على قول المنافقين شيء من الأجر والثواب، لأن كلامهم لم يكن تعبيراً عما يجول في نفوسهم، ويوجد في خَلَدِهم أو قلوبهم أو ضمائرهم أو نفوسهم، فالملك على جميع الأعضاء هو العقل، أما السلطان عليها فهو الدماغ، وبقية الأعضاء عبارة عن أدوات تنفذ ما يأمره به السلطان الذي أخذ أوامره ابتداء من القلب الذي يسمى بالعقل كذلك.

واللسان من أشرف الأعضاء بعد القلب، ومنزلته منه منزلة ترجمانه ووزيره، ضرب عليه سرادق يستره ويصونه، وجعل في ذلك السرادق كالقلب في الصدر، ولما كان اللسان هذا حاله وأنه المبين عما في داخل القلب من خير أو شر، ولذلك سمي الإنسان بالحيوان الناطق لأنه يعبر عما يجول في خاطره سواء بلسانه أو بغيره، كان له اهتمام بيِّن في آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ في التوقي من شرِّه، ومحو أثر تلك النزعات الشيطانية منه، وجعل علاجه الانشغال بذكر الله تعالى وقراءة القرآن، والاتعاظ بأحاديث النبي ﷺ، والانصراف إلى العبادات التي من شأنها أنها تنسى، وتقضي على آفات اللسان العظيمة، التي توعد بها ناراً في الآخرة، جزاء ما يكون منه من خروج عن مقتضى ما أمر الله به ورسوله.

واللسان آلة يتزين بها الإنسان عند الله تعالى بالذكر وعند الناس بالكلام الطيب، فإما زينة خير عن طريق التسبيح والتحميد وذكر الله، والصدق وكل طاعة يؤديها الإنسان بلسانه، وإما زينة شر عن طريق الكذب والنميمة والحسد والسباب والغيبة والسخرية والاستهزاء والجدال والمخاصمة والهمز واللمز والتناجي بالإثم والافتراء، وقول الزور، والنياحة والشعر المذموم وإفشاء السر وغيرها.

والمؤمن يحرص على زينة لسانه فيجعل لسانه لا يتلفظ إلا ما يجمّله، فلا يوجهه إلا للخير، وهذا لا يكون إلا بالكلام الذي يرضي الله ورسوله ﷺ فتكون زينة لسانه زينة خير فهو دائماً يبعد نفسه عن اللغو لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون].

واللغو أنواع: لغو القول ولغو الفعل ولغو الاهتمام والشعور، ولغو القول في الهذر واللهو، وهذا لا ينفي أن يمتع المؤمن بين الحين والآخر بما هو مباح شرعاً بعيداً كل البعد عن اللغو وغيره يروِّح المؤمن عن نفسه بين الحين والآخر، ولكن غير الهذر واللغو واللهو والفراغ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان]، فلذلك نجد المؤمن يقضي أوقات فراغه يخصصها للذكر والفكر وعمل العقل، ويكثر من التسبيح بلسانه وبقلبه، بل إن كيانه وكل عضو ونسيج وخلية وذرة وأصغر منها، آية بل آيات تنطق بخالقها وتسبح له لأنه جزء مما في الأرض، حيث قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۝١﴾ [الجمعة].

والمسلم صادق يحب الصدق، ويلتزمه ظاهراً وباطناً في أقواله وأفعاله، إذ الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، والجنة أسمى غايات المسلم وأقصى أمانيه، والمسلم لا ينظر إلى الصدق كخلق فاضل يجب التخلق به لا غير، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك، يذهب إلى أن الصدق من متممات إيمانه، ومكملات إسلامه، إذ أمر الله به وأثنى على المتصفين به، كما أمر به الرسول الكريم ﷺ وحث عليه ودعا إليه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة]، وقوله في الثناء على أهله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۝٢٣﴾ [الأحزاب]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ۝٣٥﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣﴾ [الزمر]، وقول الرسول ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[1].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ص٢٠١٣، ج٤، رقم ٢٦٠٧.

وأما الكافر فنجده يستخدم لسانه في الشر، فهو وكيل لشيطان النفس، وما أكثر الفتن التي يبثها اللسان وينشرها، وأولها الافتراء على الله بالشرك، قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء].

والكافر لا يستخدم لسانه في الشر فحسب، بل كل جوارحه تعمل للشر وفي الشر ولأجل الشر، لأنها عبارة عن أداة تأتمر بما يمليه عليها العقل لكونه سلطاناً عليها، وهو بدوره يأتمر بأوامر القلب، وهو القسوة الغريزية التي أودعها الله تعالى عند القلب الصنوبري، تتحرك بسببه كل المدركات، فالقلب يطلق أوامره إلى الدماغ، والدماغ يأمر بها جميع الأعضاء كل بحسب وظيفته، فإذا كان قلب الكافر مكاناً للشيطان فلا يصدر عنه إلا ما هو شر محض.

والكذب من آفات اللسان التي نهي الإنسان عنها قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل] وأعظم الكذب ما كان على الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل] والكذب على رسول الله من الكبائر الموجبة لدخول النار فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وغيرها من الآفات التي ينشرها اللسان منها: رجل وامرأة يتكلمان، ولا يبدو في حديثهما ما يشكك أو يريب، ولكن حالة القلوب قد جعلت صوتاً رخيماً واللهجة مشوقة والحديث عذباً ذو شجون، فيثير في النفس والغرائز، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ ﴿١٩﴾﴾ [النور]، وقوله ﷺ: «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة»[2] يعني

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، ص٤٣٤، ج١، رقم ١٢٢٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات، ص٨٥٠، ج٢، رقم ٢٥٤٤.

من ستر من ذوي الهيئات ونحوهم، ممن لم يُعرفْ بأذى أو فساد بأن علم منه وقوع معصية فيما مضى فلم يخبر بها حاكماً ولا غيره، وهذا أمر مندوب، لأن كشفها وهتكها بالتحدث بها غيبة محرمة شديدة الإثم والوزر، ولذلك يندب للحاكم إذا جاءه تائب نادم وأقر بحد ولم يفسره، أن لا يستفسر بل يأمره بستر نفسه، كما أمر النبي ﷺ ماعزاً والغامدية، وكما لم يستفسر من قال له: أصبتُ حداً فأقمه علي، وكذا يندب لمن ظهرت له جريمة ولم تبلغ الحاكم أن يشفع له حتى لا تصل إليه، وذلك لقول النبي ﷺ: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود»[1] والمراد بستر المسلم ستر عورته الحسية والمعنوية بإعانته على ستر دينه، لأن الخلق عيال الله وأحبهم إليه أرفقهم بعياله.

ولفتنة اللسان شعب أخرى متعددة، وفي كل شعبة منها تعمل خائنة من خوائن القلوب عملها، وقد استقرأها الإسلام ونبه عليها فليس لها أن تصف أحوال غيرها من النساء لزوجها لنهيه ﷺ عن ذلك بقوله: «لا تباشر المرأة المرأة حتى تصفها لزوجها كأنه ينظر إليها»[2].

ومنها: أن المرأة والرجل كلاهما قد نهي عن أن ينشر سره للناس، لأن ذلك يشيع الفاحشة ويغري بها القلوب، فقد روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى زوجته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»[3].

وهذا أدب من آداب الإسلام الذي يحرص على احترام الصلات الزوجية ويصونها من الابتذال والتندر بها في المجالس، فضلاً عما في هذا العمل من أخطر الفتن على محرمات النساء قولاً وفعلاً، فقد يؤدي إلى الطلاق أحياناً، وقد يؤدي إلى النزاع أو باعثاً على الإفساد بين الزوجين من بعض الفساق السامعين والأسرار المحرم إذاعتها وهي التفاصيل من الأقوال والأعمال.

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه، ص١٣٣، ج٤، رقم ٤٣٧٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما جاء في مباشرة المرأة المرأة، ص٢٠٠٧، ج٥، رقم ٤٩٤٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة، ص١٠٦٠، ج٢، رقم ١٣٤٧.

وربما سكت اللسان وقامت حركات أخرى تؤثر في سمع السامع بصوتها، وهذا يؤدي إلى باب فساد النية فيمنعه الإسلام بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

ومن زينة اللسان: لهو الحديث فقد بيّن الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز لَهْوَ الحديث فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان]، قال أكثر المفسرين: إن المراد بلهو الحديث - الغناء - وهو لهو لأنه يلهي عن ذكر الله، ويدخل في هذا كل من اختار اللهو والغناء والمزامير والمعازف على القرآن.

والغناء أشد لهواً وأعظم ضرراً من أحاديث الملوك وأخبارهم، فإنه رقية الزنا ومنبت النفاق وشرك الشيطان وخمرة العقل، وصده عن القرآن أعظم من صد غيره من الكلام الباطل لشدة ميل النفوس إليه، ورغبتها فيه.

إذا عرف هذا فأهل الغناء ومستمعوه لهم نصيب من هذا الذم، بحسب اشتغالهم بالغناء عن القرآن وإن لم ينالوه جميعه، فإن الآيات تضمنت مَن استبدل لهوَ الحديث بالقرآن ليضل عن سبيل الله بغير علم، ويتخذها هزواً، وإذا يُتلى عليه القرآن ولى مستكبراً كأنْ لم يسمعه، كأن في أذنيه وقرا، وهو الثقل والصمم، وإذا علم منه شيئاً استهزأ به فمجموع هذا لا يقع إلا من أعظم الناس كفراً، وإن وقع بعضه للمغنين ومستمعيهم فلهم حصة ونصيب من هذا الذم.

يوضحه أنك لا تجد أحداً عني بالغناء وسماع آلاته، إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى علماً وعملاً، وفيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء، بحيث إذا عرض له سماع الغناء وسماع القرآن عدل عن هذا إلى ذاك، وثقل عليه سماع القرآن، وربما حمله الحال على أن يسكت القارىء ويستطيل قراءته، ويستزيد المعنى ويستقصر نوبته.

والكلام في هذا مع مَنْ في قلبه بعض حياة يحس بها، فأما من مات قلبه وعظمت فتنته، فقد سد على نفسه طريق النصيحة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة].

ومن أنواع زينة اللسان - الشعر:

الشعر هو أحد الصناعات، وهو مؤلف من مقدمات مقبولة متخيلة تنبسط منها النفس أو تنقبض ليساعد في كتاب المنطق، فالشعر إذن هو ما تألف من المخيلات التي تخيل للنفس ما تتأثر به قبضاً أو بسطاً، فتنفر أو ترغب، وتصير مبدأ فعل أو ترك أو رضا أو سخط أو إقدام على اللذات أو على المضرات، كما يقع من تأثير الأشعار عند الحروب، وكما يحصل من السماحة والاستعطاف في النفس عند الإنشاد، ولأن النفس المسوغ إلى التخيل منها إلى التصديق، لأنه أغرب وألذ لألفها به سواء كانت من المخيلات صادقة أو كاذبة، مسلمة أو غير مسلمة.

والغرض من الشعر انفعال النفس بالترغيب أو الترهيب، وليس الوزن شرطاً فيه، وإنما تزداد النفس به تأثراً وانفعالاً، إن كان موزوناً به بالأصوات الحسنة، كما هو مشاهد لدى أرقة الطباع من التواجد والانفعال عند سماع المغنين، بل تأثير حسن الصوت في البهائم أمر مشاهد، بل حتى إن تأثيره في النباتات أمر معروف بالتجربة والاستقراء والتتبع.

فلننظر إلى الجِمال وسيرها في الصحراء المحرقة الجافة الواسعة البعيدة، وسير الجمال فيها عند سماع ما يحدو لها الحادي طيب الصوت، وكذا الصبي لدى البكاء يسكته الغناء ويذهب عنه العناء، والشعر كالنثر كلام مكون من عبارات منظومة وألفاظ، ولا يفترق النثر عن الشعر إلا بالوزن والقافية والموسيقى، وهذان لا دخل لهما في مضمون الكلام أو الحكم عليه والجودة أو الرداءة. فلذلك نجد الناس قد أنكروا الشعر ونظمه وقالوا بحرمته واستندوا في ذلك إلى سببين:

١- إن القرآن الكريم وصف الشعراء واتباعهم بالغواية لقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الشعراء].

٢- إن الشعراء يلجأون عادة إلى المبالغة والكذب أحياناً حتى يقال: أعذب الشعر أكذبه.

ولعل هذا الذي جعل حجة الإسلام الإمام الغزالي يقول عن الشعر: إنه كلام حسنهُ

حسنٌ وقبيحه قبيح، ولقد قال رسول الله ﷺ: «إن من الشعر لحكمة»[1] وحينما سمع الرسول ﷺ قول الشاعر طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

قال ﷺ: «هذا من كلام النبوة»، وليس معنى هذا أن الكلام من الوحي، ولكن الرسول ﷺ يريد أن معنى البيت يتفق مع ما يقوله الأنبياء لأنه حق. وإذا كان القرآن الكريم قد نفى عن الرسول ﷺ صفة الشعر فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۝٦٩﴾ [يس]، وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [الحاقة]. وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۝٣٠﴾ [الطور] وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

فالمراد من ذلك كما جاء في كتاب (سلاح الشعر) نفي ما افتراه المشركون من أنه شاعر وساحر، لأن القرآن لو ترك الرد على هذا الافتراء لمضى المشركون في زعمهم، وقد كان شعراؤهم يومئذ إلا من عصم الله، وقليلٌ ما هم؟ شياطين للإثم والرذيلة والتخييل الكاذب، ولو كان محمد ﷺ - شاعراً - كما يزعمون - لكان القرآن المجيد الذي جاء به من عند الله - شعراً - فلا يكون كتاباً إلهياً ولا يكون معجزاً، وإذا كان القرآن الكريم بَيَّنَ ذلك، بقوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝٢٢٦ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۝٢٢٧﴾ [الشعراء]، فالمراد بالشعراء هنا الذين كانوا يهيمون في أودية الخيال الكاذب، والغزل المكشوف وتمزيق الأعراض، وإثارة الفتن والطعن في الأنساب، والهجاء الفاحش والوعد الباطل والافتخار بالباطل، ومدح من لا يستحق المدح، والتناقض بين القول والعمل.

وأما إذا كان الشعر من اللون المؤمن الصالح الذكر، فما أجمله وما أحسن هذا الشعر إذا قيل في الإيمان وفي الصالحات وفي الذكر ودفع الظلم، ولذلك استثنت الآيات فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝٢٢٧﴾ [الشعراء].

والثابت من سيرة الرسول ﷺ أنه أنشد الشعر متمثلاً به، وسمعه واستجاد الحسن منه، وأثاب عليه، ولقد سمع من الشاعرة الخنساء طائفة من قصائدها، وكان يستزيدها ﷺ

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر وما يكره، ج٥، رقم ٥٧٩٣.

قائلاً: «هيه يا خناس».

كما سمع من شعر كعب بن زهير وأثابه عليه، كما حثَّ حسان بن ثابت على قول الشعر في الدفاع عن الإسلام، وكان ﷺ يقول له: «اهجُ المشركين وروح القدس يزيدك» وروح القدس هو جبريل عليه السلام. ولقد سأل كعب بن مالك رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله ماذا ترى في الشعر؟ فأجابه ﷺ بقوله: «المؤمن يجاهد بلسانه وسيفه».

ونخلص من هذا إلى أن الشعر ونظمه ليس بحرام لأنه كالنثر، وإنما الذي يحرم سوء اسغلاله فيما لا يجوز من القول، وكذلك لا يحرم الاستماع إلى الشعر متى كان نظيفاً شريفاً، لا يحرص على إثم ولا يثير دافعاً إلى معصية، والمهاجمة التي وردت في القرآن الكريم للشعر ينبغي أن تقتصر على صنف معين من الشعراء، وهم الذين يتبعهم الآثمون، والذين يقولون ما لا يفعلون، والذين يتخيلون الأخيلة الباطلة الآثمة.

وهذا هو رأي الإسلام في كل وقت من الأوقات، وإنما حارب الإسلام والقرآن الكريم لوناً خاصاً من الشعر كان منتشراً سابقاً بين الذين نزل القرآن الكريم أول ما نزل، وهو شعر المجون والفسوق والتفاخر الكاذب والغرام الفاحش ما أشبه ذلك، وأما ما عف وطهر من الشعر ودعا إلى فضائل الأعمال، أو حرص على مكارم الأخلاق، فالإسلام لا يأباه بل يحث عليه ويدعو إليه، وقد سمع الرسول ﷺ الشعر في المسجد واستزاد منه وأثنى عليه، وأجاز صاحبه، ولما أنشده النابغة الذبياني جانباً من شعره دعا له فقال ﷺ: «لا يفضضِ الله فاكَ». وقالت عائشة رضي الله عنها: كان أصحاب رسول الله ﷺ يتناشدون عنده بالأشعار وهو يبتسم، وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: أنشدت رسول الله ﷺ مائة قافية من قول أمية بن الصلت، كل ذلك يقول ﷺ: «هيه هيه، ثم قال ﷺ: إنه كاد في شعره ليُسْلِم».

ومن هنا نعلم أن الشعر كسائر الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، وإنما المدار فيه على المقصود منه والداعي إليه، ويضاف إلى ميزة الشعر ما فيه من وزن ونغم يؤثر في النفس ويستهوي الألباب.

الفصل الثاني
صور الزينة في القرآن الكريم

وفيه ستة مباحث:

بعد أن تتبعنا الآيات القرآنية الدالة على الزينة، توضح لنا أن الزينة لها صور عدة موجودة في هذا الكون، وهذه الصور متعددة بتعدد أنواعها ومجالاتها، وهي الدليل الكبير لكل مخلوق على عظيم صنع الخالق في صورها المتعددة:

١- زينة السماء.

٢- زينة الأرض.

٣- زينة البحر.

٤- زينة الحيوان.

٥- زينة النبات.

٦- زينة الإنسان.

المبحث الأول
زينة السماء

السماء: كل ما علا وارتفع، أو هي سقف كل شيء، وكل بيت، ورواق البيت، مفردها سما وجمعها سماوات[1]، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في كثير من الآيات، وبين الله سبحانه أنها سبع سماوات طبقات بعضها فوق بعض، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة].

---

(١) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، باب الواو، فصل السين، ص١٦٧٢.

للسماء أسماء كثيرة منها:

الدخان: لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴿١١﴾ ﴾ [فصلت].

وطرائق: لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المؤمنون].

السقف: لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنبياء].

الطباق: أي طبقات بعضها فوق بعض، لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿٣﴾ ﴾ [الملك].

الشداد: لقوله تعالى: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ ﴾ [النبأ].

والرتق والفتق: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء].

وبناء: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة]، في هذه الآية الكريمة بعض دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لأن قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ فيه معنى لا يمكن أن يعرفه النبي الأمي إلا بوحي من الله عز وجل.

(ذلك أن السماء بالمعنى العلمي هو كل ما يحيط بالأرض في أي اتجاه وإلى أي مدى، وعلى أي صورة، ويشمل ذلك الجو المحيط بالأرض إلى ارتفاعات تنتهي حيث يبدأ الفراغ الكوني، بما فيه من الأجرام السماوية الأخرى المنتشرة في أعماق سحيقة على اختلاف أشكالها وأحجامها وصورها وماهيتها تتحرك في نظام مبدع، ويتوالى ظهورها واختفاؤها لسكان الأرض محدثة الضوء والدفء، وهي جميعها في علومها وترابطها بقوى الجاذبية، كالبنيان في تماسكها واتزانها وتدرجها طبقة بعد طبقة.

وفي الجزء الأول من السماء وهو الحد المحيط بالأرض، والقريب منها مباشرة، توجد الطبقات الجوية المختلفة الواقية من الإشعاعات الضارة، الصادرة عن أرجاء الكون، وهذه الطبقات تسمح فقط للأشعة المفيدة منها بالنفاذ لملاءمتها للحياة على سطح الأرض، فهي كالمظلات، والأسقف الواقية، وفي هذه الطبقة من السماء يكون السحاب الممطر)[1]، وبيَّنَ الله سبحانه وتعالى أن الغاية من خلق السماء:

---

(١) عبد الحميد السائح، عقيدة المسلم، ص، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

١- الحفظ من أن تقع على الأرض: لقوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج].

٢- الحفظ من استراق السمع من الشياطين: لقوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات].

حفظها من كل شيطان عاتٍ متمرد، خارج عن طاعة الله، قال أبو حيان: (خص السماء الدنيا بالذكر لأنها هي التي تشاهد بالأبصار، وفيها وحدها يكون الحفظ من الشياطين)، ولا يقدرون أن يستمعوا إلى الملائكة الذين هم في العالم العلوي، ويرجمون بالشهب من كل جهة يقصدون السماء منها، مطرودين مبعدين إلا من اختلس شيئاً مسارقة، فيلحقه الله بشهاب ثاقب مضيء نافذ بضوئه وشعاعه فيحرقه. قال المفسرون: قد يخطف الشيطان المارد خطفة سريعة مما يدور في الملأ الأعلى، فيتبعه شهاب يلاحقه في هبوطه فيصيبه ويحرقه حرقاً، قال القرطبي: (وليست الشهب التي يُرجم بها من الكواكب الثوابت، لأن الثابتة تجري ولا تُرى حركاتها، وهذه الشهب تُرى حركاتها).

٣- مزينة بأنواع الزينة: لقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ [الصافات] أي: زيّنا السماء القريبة منكم بالكواكب المنيرة المضيئة التي تبدو وكأنها جواهر تتلألأ.

٤- أن تكون سقفاً مرفوعاً: لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾﴾ [الطور].

فَلْنَمدّ نظرنا إلى السماء لنجد أن الله زينها بأشياء فمنها: زينة الشمس وزينة القمر وزينة الكواكب وزينة النجوم والشهب والسحب، وهذه الزينة الظاهرة في السماء التي نراها، أما الزينة الموجودة في السماء والتي لا نراها، فمنها: العرش والبيت المعمور، وسدرة المنتهى والكرسي واللوح والقلم والجنة، وغيرها الكثير الكثير، وكلٌّ منها دليل وآية على إبداع الخالق، ولو تتبعنا الآيات القرآنية التي تتكلم عن زينة السماء لوضح الأمر لنا:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح]، ومن ذلك نلاحظ أن الجمال والإبداع يبدوان متلازمين لكل شيء في الكون: السحب، قوس قزح، السماء الزرقاء، النجوم ذات الألوان وانتشارها وانتظامها وحركاتها وهندستها، القمر ساعة طلوعه عندما يكون بدراً أو هلالاً أو ساعة توسطه قبة الفلك، الشمس في غروبها وشروقها، الفجر الأصيل، روعة الظهر، كل ذلك آثار إبداع عظيم فكل ما في الكون

مظهر من مظاهر الجمال والإبداع، وكل مظهر من مظاهره المتغيرة أو المتعاقبة صورة من صور الجمال تثير في النفس كل آنٍ مباهج من الروائع.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ ﴾ [الصافات] الدنيا هي تأنيث (الأدنى) بمعنى الأقرب، وفي الآيات إن السماء المعني بها هي السماء الأقرب إلينا، وهي السماء الدنيا، وجاء في القرآن الكريم ذكر الله تعالى لتزيين السماء في خمس آيات:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ ﴾ [الحجر].

وقوله: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ ﴾ [الصافات].

وقوله: ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۝١٢ ﴾ [فصلت].

وقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ ﴾ [ق].

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۝٥ ﴾ [الملك].

(إن كل وصف بالزينة في القرآن الكريم ومنه تزيين السماء، هو مرئي لنا قطعاً بحكم العقل، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾، وقوله: ﴿ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا ﴾، وفي آيات تزيين السماء الخمس جاءت آيتان مطلقتان بالزينة من غير تخصيص، وجاءت آيتان مُقْرنتين الزينة بمصابيح، وجاءت آية واحدة مُقْرِنةً الزينةَ بالكواكب، وتقرن هذه الآيات غالباً بالحِفظ من الشياطين، ووصفها بالمصابيح قطعاً بالأمر، وكذلك البروج فيها، فالمقصود بالكواكب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ هي النجوم فالسماء مزينة بالنجوم)[١].

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ ﴾ [البروج]، والبروج لغة: الحصن والقصر العالي، أو البناء العظيم، برج الشيء: ظهر وارتفع، ومنه تبرجت المرأة: أظهرت زينتها ومحاسنها، أما المفسرون قالوا في بروج السماء بروجاً: أي منازل وطرقات تسير فيها الكواكب، وهي الإثنا عشر برجاً المشهورة.

وقيل البروج: هي الكواكب نفسها، وقيل: هي منازل الشمس والقمر، أما البروج في

---

(١) د. داود سلمان السعدي، أسرار الكون في القرآن ص١٣٢.

تفسيرها اللغوي: هي أجرام في الفضاء كبيرة وزينة للسماء، ونستوضح أن البروج هي أجرام مادية عظيمة تزين السماء، وأنها ليست منازل أو مسارات.

أما المعنى الاصطلاحي: في الاستعمال الحاضر لكلمة البروج أو الأبراج، أن الأرض والقمر والكواكب السيارة الأخرى والشمس تقع كلها وبمداراتها على مستوى واحد تقريباً، وبشكل قرص عظيم.. إن امتدادات هذا المستوى العظيم الذي يضم المجموعة الشمسية، تلاقي في الفضاء المحيط بالمنظومة الشمسية مجاميع من النجوم يبلغ عددها (اثنا عشرة) مجموعة، وتسمى مجاميع هذه النجوم بـ(زودياك Zodiac) وهي تعني باليونانية حديقة الحيوانات وهي: (مجموعات الجمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، العذراء (السنبلة)، الميزان، العقرب، الفرس، الجدي، الدلو، الحوت (السمكتان))[1].

إن امتدادات أو مساقط القرص الضام للمنظومة الشمسية في الفضاء، ترسم لنا دائرة عظيمة تسمى بدائرة البروج (The Ecleptic) إن النجوم وكما نراها في الفضاء متناثرة حولها في كل اتجاه، وأما البروج المقصودة فهي مجاميع النجوم التي تقع على دائرة البروج التي وصفناها.

فمن خلال قراءتنا للآيات نستوضح أن السماء الدنيا تتصف بما يلي:

١- أنها مزينة.

٢- أنها مزينة للناظرين، أي أنها مرتبة لنا.

٣- أنها زينة، والزينة هي المصابيح أو النجوم، والزينة في السماء في كتاب الله لا تكون إلا بالنجوم.

٤- أن منها روجوماً للشياطين.

ونتيجة ذلك أن السماء ذات البروج، هي السماء نفسها، أي: مجرتنا (درب التبانة) وزينتها هي ما نراه من نجومها القريبة منا، وعندها لا تكون البروج إلا مجاميع النجوم، ومنها مجاميعها القريبة التي نراها، وهكذا يتضح أن المراد بـ(البروج) في كتاب الله

---

(١) د. داود سلمان السعدي، أسرار الكون في القرآن.

العزيز هو أوسع وأشمل من الاصطلاح الحديث لها، أما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحجر]، وزيناها هو ما يعني الزينة، والمقصود بالزينة هو نحن أهل الأرض (الناظرون) ولا شك، وهي لا تكون زينة من دون أن تكون مَرْئية لنا، فإذا كان الأمر كذلك، فما هو سبب إضافة كلمة (الناظرين)؟ إن وراء ذلك لسراً.

إن السماء مزينة لنا ولا شك بالنجوم لا بغيرها، وعددها يصل إلى ٢٤٠٠ مليار في مجرتنا، وهي لا ترى بأعيننا المجردة إلا آلافاً قليلة، تعد على أصابع اليد الواحدة، وليس المقصود منها أن تكون زينة للأرض، ولكن الله سبحانه قد جعلها للناظرين إليها من الأرض زينة، وهي في حقيقة أمرها أكبر من ذلك وأخطر ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران] فكأن الآية الكريمة تخبرنا أن السماء رغم أنها تبدو مزينة لنا بالنجوم، فلا تظنن أن النجوم هي للزينة فقط، ولا هي رجوم للشياطين وحسب، ولا هي دليل يهتدي به الساري على الأرض فقط، إنها كل ذلك بل وأكثر منه وأخطر شأناً بكثير جداً، حتى لو بدت أشبه بمصابيح زينة صغيرة وبعيدة للناظر إليها من سكان الأرض من المغرورين، أو هي تقول: (إنها للناظر إليها من غير معرفة بها زينة، وأما للعارفين بها فهي فوق ذلك وأكبر من ذلك بكثير)[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الواقعة] إن السماء مزينة بزينة الكواكب، ولا تكون بالكوكب الواحد أو الكوكبين، بل هي تكون بالنجوم العديدة التي تطرز أنحاء السماء المختلفة، والكواكب السيارة في منظومتنا الشمسية، وهي بدءاً من أقربها للشمس (عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل، أورانوس، نبتون، بلوتو).

وللسماء تعامل مع سنن الله الكونية التي خلقها الله سبحانه وتعالى مؤكدة أن لها عملاً تؤديه بانتظام، ومع المطر تعامل، ومع القمر تعامل، ومع السحب تعامل لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان]، ومع المطر تعامل لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام]، ومع الرياح لقوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة]، ومع الإعصار وجريان الماء في الأنهار

(١) د. داود سلمان السعدي، أسرار الكون في القرآن ص١٠٣-١٠٦.

أو الأودية لقوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴿١٧﴾ ﴾ [الرعد]، أو في البحر مع هبات النسيم أو مداعبة الأشجار، ومع الطيور لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النحل]، ومع الحيوانات أو الإنسان وحتى تكتمل زينة الحياة الدنيا، لا بد أن تكون السنن الكونية متعاونة مع بعضها البعض، كلٌّ له عمل وكلٌّ يؤديه على أكمل وجه، حتى نراها بأجمل زينة، كما أراد الله لها أن تكون، فسبحان الخالق المبدع الذي نرى آياته وإبداعه في كل شيء خلقه.

المبحث الثاني

زينة الأرض

الأرض لغة: (أرض) مؤنثة وهي اسم جنس، وكان حق الواحدة منها أن يقال: أرضة، والجمع (أرضات) و(أرضون) و(أروض) و(آراض) كأهل وآهال، و(الأراضي) على غير قياس كأنهم جمعوا أرضا.

وكل ما سفل فهو أرض، وهي الأرض التي نعيش عليها بما فيها من سهول وجبال ووديان وأنهار وأشجار وزرع وثمار وحيوانات وجماد تعلوها السماء، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴿٧﴾﴾ [ق] أي أيما سرنا فوق الأرض وفي أي اتجاه وجدناها ممتدة أمامنا، وسواء أكنا في القطب الشمالي أو الجنوبي أو غيره، ونعني أن لا حد لها فليس حافة ولا حد، وهذا ما لا ينطبق إلا على الكرة، لا على الأسطوانة ولا على المكعب ولا غيرها من الأشكال الهندسية، فالأرض واسعة ممتدة وكروية.

الأرض تلك البقعة التي نعيش عليها في أفيائها، تحت أشجارها، على جبالها، قرب بحارها وأنهارها، في سهولها وأوديتها، أرض شاسعة لا نرى منها إلا ما وقعت أعيننا عليه وما هو إلا أقل القليل من تلك الكبيرة العظيمة، وأينما وجهنا نظرنا يميناً أو يساراً نجد الإبداع في كل شيء، فهي جمال.. جمال.. جمال.

أما الغاية من وجود الأرض فهي:

١- أن تكون ذلولاً: جعل الله سبحانه وتعالى الأرض ميسرة مسهلة ذلولاً ليعيش عليها صنوف المخلوقات بكل ما فيها مما يجعل الحياة عليها يسيرة هانئة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا ﴿١٥﴾﴾ [الملك].

٢- أن تكون جنة: جعل لها الحياة بإنزال الماء عليها، فترى الأرض القاحلة الصفراء التي لا نبات فيها ولا حياة، فإذا أنزل الله عليها المطر دبت الحياة فيها، وازدانت باللون الأخضر الذي يبهج كل من نظر إليه، قال الله سبحانه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ

أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الحج]، وفي هذه الآية يصرِّح الله في كتابه العزيز بأن الأرض تهتز ويزيد حجمها إذا نزل عليه المطر، وهذه حقيقة علمية يؤيد بها العلم القرآن الكريم، فقد دلَّت البحوث في الأرض على أن لها مساماً يتخللها الهواء، وإن نزول الماء على الأرض يدفع الهواء ويحل محله، وعند امتلاء مسام الأرض بالماء تتحرك جزئيات الطين بقوة دفع السماء في المسام، وعلوم الكيمياء أثبتت أن الطين يتمدد وينكمش بالجفاف، فالأرض عندما يتنزل عليها الماء تتحرك وتزداد في الحجم، وقد أمكن قياس حركة الأرض إذا ما أصابها الماء كما أمكن معرفة الزيادة في حجمها.

٣- أن تكون زينة: وبيَّن الله الغاية من وجود الزينة في الأرض، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف]. إذاً كل ما نراه من زينة على الأرض ما هو إلا ابتلاء من الله للإنسان لينظر أيؤمن أم يكفر.. أبعد كل هذا يكفر! قال الأصمعي لبعض الأعراب: بم عرفت ربك؟ قال: البعرة تدلُّ على البعير، وأثر الأقدام على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، ألا تدل على اللطيف الخبير؟

ولا أحد من الناس يجهل ذلك، إلا الذين فقدوا عقولهم، أو أنهم لا يستعملونها، وهؤلاء في حكم الدواب، بل هم أضل لأنهم يوم القيامة يحاسبون بخلاف الدواب فإنها لا تحاسب، لقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنفال].

والأرض كما بين القرآن الكريم خلقت مع السماء في ستة أيام لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق] فهي تتعامل مع السنن الكونية التي خلقها الله سبحانه وتعالى من سماء، وماء وشمس وجبال ونجوم وبحر ونهر وغيرها.

١- مع السماء لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة]، وقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴿٦٤﴾ ﴾ [غافر] بيَّن الله سبحانه أنه جعل الأرض مسخرة للناس كما السماء، فالأرض عبر عنها فراش للإنسان والسماء كالغطاء وهي بناء محكم.

٢- مع الماء: لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [السجدة].

٣- مع الشمس لقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر].

٤- مع الجبال قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴿٣١﴾﴾ [الأنبياء].

٥- مع البحر ومع النهر: لقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴿١٢﴾﴾ [القمر].

٦- مع النجوم: لقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ [الرحمن]، قال المفسرون: إن النجم هو الجرم المعروف، وهو النبات الذي ينجم ويظهر ويطلع من الأرض ولا ساق له، والشجر النبات الذي له ساق، وسجودهما أي خضوعهما وانقيادهما لله تعالى، والسجود لسائر الموجودات دليل على أن جميعها في قبضة الله تعالى، وتدل على قدرته وعظمته وهيمنته على جميع المخلوقات، فالشجر هي مصدر للطاقة على الأرض من خلال عملية التركيب الضوئي، والشجر يعتمد في وظيفته على الشمس وهي نجم باستمداده للضوء منها.

وللأرض مسميات عدة منها: الأديم وبسيطة وثقيلاً وبطيحة ومتثاقلة وماسكة وثرى، وأما ما ذكر من أسمائها في القرآن الكريم فهي:

أ- فراشاً: لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

ب- وقراراً: لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴿٦٤﴾﴾ [غافر].

جـ- وسماها رتقاً: لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء].

د- وسماها بساطاً: لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ [نوح].

هـ- وسماها مهاداً: لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾﴾ [النبأ].

و- وذات الصدع: لقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ [الطارق]، الصدع هو الشق في الشيء الصلب.

١- يقسم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بالأرض ذات الزرع تنشق عنه انشقاقاً، والنبات في نشوئه من اتحاد خليتين مجهريتين في نموه لا بد له من ضوء يمده بالطاقة اللازمة لنموه، لا بد له من ماء تعتمد عليه معظم العمليات الكيماوية الحيوية اللازمة للحياة ثم هو لا بد له من مصدر للمواد الغذائية وهو التربة.

والنباتات هي مصانع عظيمة لا تنضب لأنواع الطعام التي تفتقر إليها الحيوانات، كما أنها مصدر للأوكسجين ومنافذ لاستخلاص ثاني أكسيد الكربون منه.

٢- كما إن هناك ٣٠٠٠ نوع من أنواع المعادن في القشرة الأرضية، وهذه المعادن تتكون من مزيج لاثنين أو أكثر من ٩٢ عنصراً توجد بصورة طبيعية في قشرة الأرض، والتعدين هو ضرب من ضروب شق الأرض أو صدعها، أساس لقيام الصناعات والحضارات.

٣- والينابيع التي تتفجر بالسماء الموجود تحت سطح الأرض هي معنى آخر للصدع.

٤- والبراكين التي تثور من على وجه الأرض هي صدوع في قشرته.

٥- والزلازل كذلك هي صدوع في وجه الأرض.

٦- كما أن الأرض تتصدع يوم القيامة، وتنشق عن الناس الذين يخرجون من القبور، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق]، وحقاً إن إحياء الموتى هو مثل إحياء الأرض بعد موتها ففي كلاهما انشقاق الأرض، ذاك عن الميت يبعث حياً والآخر عن النبات.

٧- كما أن الأنهار التي تجري بالمياه على وجه الأرض هي صدوع، أو شقوق فيها.

ز- وكذلك كفاتاً: لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾ [المرسلات]، وكفت جمع وطم، وفي لسان العرب لابن منظور: أسرع في العدو والطيران، وقالوا كفاتاً: أي جامعة ضامة للأحياء والأموات، وهو تفسير قديم، قال خالد بن سعيد: كنت أمشي مع الشعبي بظهر الكوفة فنظر إلى بيوت الكوفة، فقال: هذه كفات الأحياء، ثم نظر إلى المقبرة فقال: هذه كفات الأموات، وسئل يحيى بن معاذ الرازي: إن ابن آدم يدري أن الدنيا ليست بدار قرار، فلم يطمئن إليها؟ فقال: لأنه منها خُلق فهي أمه، وفيها نشأ فهي عشُّه، ومنها رزق فهي عيشه، وإليها يعود فهي كفاته وهي ممر الصالحين.

وإن الآية الكريمة فيها دلالة على حركة الأرض وعلى سرعتها البالغة.

وأما زينة الأرض فزينت الأرض بأمور كثيرة:

أ- زيّنها بالأزمنة: زين الأزمنة بالأشهر وزين الأشهر بأربعة منها، قال تعالى: ﴿إِنَّ

عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة]، فالأربعة أشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد، فأما الثلاثة السرد فذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وأما الفرد فهو رجب.

ب- زينها بالأمكنة: ومنها أربعة مخصوصة أهمها:

١- مكة المكرمة: فقد خصها الله بالذكر في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران] فجعل فيها البيت الحرام وبارك فيها، وجعل الناس يأتون إليها من كل صوب لأداء فريضة الحج، وجعلها حرماً آمناً وأوجد فيها ماء زمزم، وجعل فيها من بركات الأرض بعد أن كانت أرضاً قاحلة لا زرع فيها، وهذه استجابة لدعوة سيدنا إبراهيم الخليل، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

٢- المدينة المنورة: وخص الله سبحانه المدينة المنورة الطيبة بالذكر في القرآن الكريم بقوله: ﴿ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النساء] فجعل مكانتها بهجرة الرسول الكريم إليها، وجعل فيها المسجد النبوي الذي لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد ومنها المسجد النبوي لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»(١)، فكانت العاصمة الأولى للمسلمين ومنها انطلق الإسلام إلى آفاق الدنيا..

٣- أرض الشام وفلسطين خصها بالذكر بقوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء].

٤- أرض مصر: خصها الله بالذكر أيضاً بقوله تعالى: ﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف] والأرض التي عني بها في هذه الآية هي أرض مصر.

جـ- زينها بالأنبياء عليهم السلام: فالأنبياء أغلبهم جاءوا في الأراضي المقدسة، سواء

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، ص١٠١٤، ج٢، رقم ١٣٩٧.

كانت في مكة المكرمة أم في فلسطين أو في مصر، وزين الأنبياء بأولي العزم من الرسل - نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - عليهم الصلاة والسلام جميعاً، وزينهم جميعاً بسيدنا محمد ﷺ، وزين الأرض من بعده بآل البيت رضوان الله عليهم جميعاً، ومن بعدهم بصحابته أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم جميعاً، وزينها من بعدهم بالعلماء والقراء والغزاة والعباد.

د- زينها بجميع الحيوانات بأنواعها والنباتات والجمادات، ومنها الشمس والقمر والنجوم والكواكب، ومنها البحار والأنهار والبرك والمستنقعات، ومنها البساتين والوديان والسهول والروابي، ومنها الجبال والكهوف، ومنها البنيان والعمران وناطحات السحاب، ومنها الطيور والأسماك باختلاف أنواعها وألوانها وأشكالها.

أينما نظرت آية تدل على الروعة الربانية الخلق، فالوادي الأخضر والنهر الأزرق، والأشجار الباسقة المختلفة الألوان، والصخور والجبال بجانب القمم العالية، زرقة السماء وكثبان الرمال الصفراء الفسيحة الممتدة في الصحراء، والتتابع المنسق لأمواج البحر والمحيطات، وتلاطمها على أرض الشاطىء، وهدير الماء وخريره وصفير السحب، وحفيف أوراق الشجر، وصوت الرعد ولمعان البرق، أليس كل ذلك جميلاً وبديعاً ومبهجاً حتى عندما يخيف!

فسبحان الله الخالق المبدع لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

المبحث الثالث

زينة البحر

البحر بما يحويه من مخلوقات نعلمها ولا نعلمها، فمنها الكبير مثل الحوت وسمك القرش ومنها الصغير الذي يرى، ومنها ما لا يرى بالعين المجردة، وما نراه من أسماك داخل البحر بألوانها الجميلة وأنواعها الكثيرة لدليل على جمال إبداع خلق الله سبحانه وتعالى، نرى الشعاب المرجانية ونرى نباتات البحر تتمايل فيه كأنما تسمع شدواً يجعلها تتمايل يمنة ويسرة، ونرى الأسماك الصغيرة تسبح هنا وهناك وكلما نظرت وأمعنت النظر رأيت شيئاً جديداً أدهشك بجماله الآسر، وإبداع صنعه.

ولو تتبعنا الآيات القرآنية التي تحدثنا عن البحر ودققنا فيه وفي معانيها لحارت بنا العقول لجمال تركيبها، وكيف أن كل ما في البحر سخر للإنسان، لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النحل]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ ﴿١٢﴾ ﴾ [الجاثية]، في هذه الآية الكريمة: (أن البحار تحتوي على أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ نوع من مخلوقات، لا يكاد يتصور مدى تنوعها، وتوجد معظم أحياء البحر في مياهه الضحلة نسبياً حيث يصلها ضوء الشمس الذي يسمح لعملية (التركيب الضوئي) بالحدوث.

تتراوح الأحياء في مياه البحار ما بين النباتات المجهرية ذات الخلية الواحدة، والحيوانات بالغة الصغر، وبين الحيتان التي قد يصل طولها إلى أكثر من ٣٠م، وهو ما يفوق طول الديناصورات التي وجدت على سطح الأرض سابقاً.

إن أبسط أنواع هذه المخلوقات هو (البلانكتن) وهو نباتات وحيوانات مجهرية هلامية القوام، تتحرك عبر طبقات ماء المحيطات المضاءة، وكأنها عشب طاف، ويقوم البلانكتن النباتي الذي يكثر عبر طبقات ماء المحيط العليا بتجهيز ما يزيد على ٩٠٪ من المادة العضوية التي هي أساس الحياة في الماء، وهو يصنعها باستخدام ضوء الشمس والمعادن

ومواد مغذية أخرى، تقوم أنواع من البلانكتن الحيواني بالتهام هذه النباتات، ثم هي بدورها تصير طعاماً للحيوانات التي تعيش تحتها، وهكذا فإن هذه الدورة تتكرر في أعماق متعاقبة، وحتى قاع المحيط حيث تعتاش الحيوانات اللافقرية مثل (الإسفنج الزجاجي) على النثار المتواصل الذي يرتشح إليها من أعلى)[1].

أوجد الله سبحانه وتعالى البحر ليكون مسخراً للإنسان، لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النحل]، وأوجد فيه الكثير من المخلوقات التي خلقها لفائدة الإنسان فمن فوائد البحر عدة منها:

١- أنها مصدر ممتاز للغذاء، ولقد اصطيد ٧٠ مليون طن من البحر عام ١٩٧٥م، وأكثر من ٩٠٪ منها سمك والباقي منها حيتان وقشريات كالسرطان والروبيان وجراد البحر ومحار وغيره.

٢- وهي مصدر للمعادن، علماً بأن كل ما يوجد من المعادن في اليابسة يوجد في ماء البحر، ومن أكثرها وجوداً في البحر: ملح الطعام والمغنيسيوم والكبريت والكالسيوم والبوتاسيوم والبرومين وكثير غيرها كالذهب والفضة.

٣- النفط وهو مصدر للكسب والعيش جيد، واستخراج النفط أصبح الآن بأحدث الطرق وتكريره والاستفادة منه في جميع مناحي الحياة.

٤- وهو مصدر للطاقة لا ينفد، إلا أنَّ استخدام النفط والفحم الرخيصين أدى إلى إهمال استغلال البحار لهذا الغرض إهمالاً كبيراً، ويحتمل أن تلعب القوة الناتجة عن تحدر المد والجزر، والأمواج والحرارة دوراً متزايداً في تلبية بعض حاجة الإنسان إلى الطاقة في المستقبل.

٥- مصادر اللؤلؤ والإسفنج والأعشاب البحرية التي تستعمل كسماد، أو غذاء أو كمواد تضاف إلى الغذاء والأدوية واليود والصودا والبوتاس، والسماد المحضر من فضلات الطيور والماء العذب عن طريق تحلية ماء البحر.

(١) د. داود سلمان السعدي، أسرار الكون في القرآن، ص٣٨٣.

٦- وهو وسيلة للنقل عظيمة ورخيصة.

والإنسان على شاطىء البحر وهو لا يرى له من حد إلا حيث يلتقي بالأفق، يدرك كم أن البحر كبير، وكم هو هذا الإنسان صغير صغير، وإنه في هذه الحياة أجيالاً بعد أجيال لا يخلف وراءه إلا كمثل ما تترك الموجة بعد الموجة من آثار على سيف البحر سرعان ما تختفي، اللهم بمقدار ما قد عملَ من خيرٍ وشر يحمدهما في الآخرة حاضرين أمامه باقيين في أثرهما، كمثل الموجة الصاخبة التي لا تقر إلى قرار، ربما لا يدرك في لجي البحر العميق.

فسبحانك يا من سخرت لنا البحار، وما فيها على روائع الخلق وعجائبه التي لا تنقضي فيها..

أما زينة البحر فهي بعدة أمور منها: السفن والمراكب الشراعية واليخوت وغيرها لقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرحمن]، الجوار: جمع جارية، وهي السفن المرفوعات الجاريات في البحر، وسميت بالجوار: لأنها تمشي على سطح الماء، كالجبال في العظم والضخامة، ووجه الجمال فيها أن الله سبحانه وتعالى سيَّر السفن العظيمة التي مثلها مثل الجبل في العظم على وجه الماء، رغم ما تحمله من أرزاق ومكاسب ومتاجر من قطر إلى قطر ومن إقليم إلى إقليم، وخَصَّها بالذكر لأن جريانها في البحر لا دخل للإنسان فيه.

وجاء في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن] أن اللؤلؤ مصدر من مصادر الكسب للعيش.

والمرجان: واحدته مرجانة وهو صغار اللؤلؤ، واللؤلؤ حلية، وهو من أسباب الجمال والترف، وتكرمة من الله سبحانه وتعالى للإنسان، ثم إنها ضرورة لمن يعتاش على صيده وبيعه.

واللؤلؤ هو تحجرات كلسية تتكون في داخل صدفات بعض أنواع الحيوانات الرخوية كالمحار، واللؤلؤ الطبيعي هو حجر كريم يستخرج من البحر، وهو يتكون نتيجة لدخول جسم غريب إلى داخل جسم المحارة التي تنتجه فيهيجها، وهي لأنها لا يمكنها أن تلفظه فهي تحاول أن تغلل من ذلك التهيج فتكسوه بمادة لؤلؤية تفرزها طبقة فوق طبقة.

والمادة اللؤلؤية هي شبكة من مادة عضوية تسمى (الكونكيولين) تترسب فيها وحولها بلورات من كربونات الكالسيوم التي تكون أكثر من ٩٠٪ من مادة اللؤلؤ. وليس كل اللؤلؤ الطبيعي ذا منشأ بحري، فيمكن أن ينتج في رخويات الماء العذب، وغالباً ما توجد بعض أنواع اللؤلؤ الطبيعي الممتاز، وبألوان رهيفة من هذه الأنواع من المحار النهري، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ أي: من ماء البحار وماء الأنهار.

(وينتج التلون القزحي والبريق الأخاذ، الذي يطلب اللؤلؤ من أجله، عن انعكاس الضوء وانكساره على سطح هذا الحجر الكريم الشفاف، وأحسن أنواعه وهو ذو اللون الوردي أو الأصفر الشاحب، وأكثر ما يوجد في منطقة الخليج العربي، إذ هو يتكون في جسم محارة صغيرة، وتتميز كل منطقة في العالم بأنواع مميزة من اللؤلؤ يمكن أن يعرفها تجار اللؤلؤ بيسر، وهم يشمنونها بحسب نوعها، ويثمن لؤلؤ الخليج العربي الفاخر بأعلى الأسعار من بين أنواع اللؤلؤ الأصلي.

وقام اليابانيون عام ١٨٩٤م باستنبات اللؤلؤ، وهم يقومون لأجل ذلك بوضع حبات مصبوغة أسموها (أم اللؤلؤ) داخل جسم المحارة، وبعد أن يترك فيها هذا العامل المهيج فترة من الوقت يكتسب طبقة لؤلؤية رقيقة، وقد وجد أن جزءاً كبيراً من هذا اللؤلؤ المستنبت يتكون من حبة (أم اللؤلؤ) الصناعية هذه أكثر من ٧٥ إلى ٩٠٪ من قطرها إذ أن جسم المحار يغرز حوالي المليمتر الواحد فقط من اللؤلؤ حول الحبة، ويمكن للمتعاملين باللؤلؤ أن يميزوا من طريقة النظر غالباً اللؤلؤ الطبيعي من المستنبت)[١].

فانظر كيف قد سخر الحقُّ سبحانه وتعالى هذه المحارة الصغيرة تنتج ذلك اللؤلؤ الرائع الجميل، ومنه رزق لمن يصطاده كثير، ثم تزدان به من بعد ذلك وتختال. . .

ومن زينة البحر ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر]، (بالإضافة إلى ما ذكرناه عن مصائد اللؤلؤ البحرية، يدخل في ذلك ما تحمله المياه العذبة من المياه العالية الصلادة كالماس الذي يستخرج من رواسب الأنهار الجافة المعروفة باليرقة، ويوجد الياقوت كذلك من الرواسب

(١) د. داود سلمان السعدي، أسرار الكون في القرآن، ص٣٨٠.

النهرية، ومن الأحجار شبه الكريمة التي تستعمل في الزينة حجر التوباز، ويوجد في الرواسب النهرية في مواقع كثيرة ومنتشرة في أنحاء العالم، والزريكون حجر كريم جذاب تتقارب خواصه من خواص الماس، ومعجم أنواعه الكريمة تستخرج من الرواسب النهرية)[1].

وهذه الحقائق والمكتشفات أثبتت بصورة يقينية بأن الحلية واللؤلؤ وأمثال ذلك تستخرج من الأنهار كما تستخرج من البحر المالح مما يشهد بأن هذا القرآن من عند الله الكبير العظيم، إلى جانب هذه الزينة قوله سبحانه: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾ [الرحمن] أي: أرسل الله سبحانه البحر المالح والبحر العذب يتجاوران ويلتقيان، ولا يمتزجان وبينهما حاجز من قدرة الله تعالى لا يطغى أحدهما على الآخر بالممازجة، والمراد بالبحرين كما قال ابن كثير: فالملح هذه البحار، والحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس، وجعل الله بينهما برزخاً وهو الحاجز من الأرض لئلا يبغي هذا على هذا، فيفسد كل واحد منهما الآخر فالماء الحلو زينة للإنسان لأنه يستعمله في شرابه وطعامه.

سبحان الله ما أعظم خلقه وإبداعه في كل شيء خلقه..

(١) عبد الحميد السائح، عقيدة المسلم، ص٢٦٢-٢٦٣.

المبحث الرابع

زينة الحيوان

عبر الله سبحانه وتعالى عن الحيوانات في كتابه العزيز بالأنعام والنعم: واحد، والأنعام: هي المال الراعية، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل. وقال الفراء: هو ذكر لا يؤنث ويقولون: هذا نعم.. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ [الغاشية]، الإبل ذلك المخلوق العظيم الجسم الكبير الحجم، مع ذلك فهو في وداعة آسرة، وجمال فتان خلقه الله وجعله مذللاً للإنسان، نجد أن الطفل الصغير يجر الجمل الكبير، وينقاد إليه ويستسلم له راضياً بذلك، خاضعاً طائعاً يسيره الطفل حيث يشاء ويشير إليه فيبرك وأخرى فيقوم..

والإنسان يتخذه مطية أو سفينة للصحراء يركبها لتقطع به المسافات البعيدة، من بلد إلى بلد ثم يستفيد منها بحلبها أو ذبحها، فيأخذ منها الحليب واللحم والجلد والوبر.. وهذا كله تسخير من رب العزة للإنسان.

ولو نظر الإنسان إلى الأرض وما فيها من مخلوقات على كثرة أصنافها التي لا تعد ولا تحصى ترى فيها روعة الخالق والخلق، فهي في وداعة آسرة، آية في اللطف والجمال، مهما كبر حجمها مثل الفيل، أو صغر حجمها مثل النملة، نجد فيها آية على قدرة الله سبحانه وتعالى، ويسيطر عليها الإنسان بالذبح والقتل والحبس والإيذاء وإجراء تجاربه مما يؤدي إلى انقراضها من الوجود.

إن في الجمال جمال، وفي الغنم جمال، وفي البقر جمال، وفي الماعز جمال، وفي الكلب جمال، وفي الهرة جمال، وفي كل ما خلق الله جمال، في مزاحه ومغداه وفي سكونه وممشاه، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ [النحل] أي: أن هذه الأنعام والمواشي زينة وجمال حين رجوعها عشياً من المرعى، وحين غدوها

صباحاً لترعى، جمال الاستمتاع بمنظرها صحيحة سمينة فارهة، إلى جانب الفوائد التي يستفاد منها وهي حمل الأحمال الثقيلة والأمتعة التي يعجز الإنسان عن حملها إلى بلاد بعيدة الوصول إليها إلا بجهد ومشقة وتعب، فتحملهم وتحمل أثقالهم، فخلقها كان رأفة ورحمة بالإنسان، وأكمل الله سبحانه وتعالى بيان تسخير الأنعام وجدد أنواعها بقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل] أي: وخلق الخيل والبغال والحمير، للحمل والركوب وهي كذلك زينة وجمال، وقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: ويخلق في المستقبل ما لا تعلمونه الآن، كوسائل النقل الحديث: القاطرات والسيارات النفاثة وغيرها، مما يجود به الزمان وهو تعليم الله للإنسان.

والطيور أخف من أي حيوان في حجمه، وقد اتضح نتيجة تشريحه، أن عظام الطير رقيقة مجوفة لتعمل على خفة جسمه، وتجعله قادراً على الطيران، والطيور فوق البحر تطير أو فوق الغابة تطير أو على الأرض هاربة من الإنسان أو مذللة بين يديه، ألوانها المتناسقة، أشكالها الزاهية المتعددة، نقشاتها الفاتنة تصميمها الجميل، أصواتها العذبة حركاتها الرشيقة، في كل ريشة منها جمال، وفي كل شعرة فيها رونق، وفي جناحها ساعة يمتد وساعة ينقبض يرتفع أو ينخفض، ما يجعل القلب يشعر بالغبطة والسرور.

حتى لو كانت حيوانات مفترسة كالأسود والنمور والفهود فلها من الجمال في خلقها. إن كل ما في الوجود آية في الروعة والجمال وهو آية على كمال خلق الخالق، إن الجمال يحيط بنا من كل اتجاه من نبات وحيوان وإنسان وسماء وأرض.. حيثما وجهنا أنظارنا نجد الجمال ونشعر به في كل مكان.. فسبحان الله ذو الجلال والجمال.

المبحث الخامس

زينة النبات

لو تساءلنا كم نوعاً من أنواع النبات يوجد على سطح الأرض؟ الإجابة أكثر من ملايين الأنواع والأصناف والألوان، كل منها له طعم وكل منها له رائحة مميزة أو علامة.

إن كلاً منها آية من آيات الله في الكون تنطق بقدرته، وتحكي عن الجمال والروعة ما يبهر النفوس، ويقف الإنسان مشدوهاً لجمال الخلق والطبيعة والصنعة والقدرة، وهي تتميز كل منها بشكل وحجم ولون مميز خاص بها، وكل منها لها بيئتها الخاصة وطرق تكاثرها الخاصة بها، لها أصواتها ورائحتها واسمها الخاص بها.

من النبات ما هو صغير لا يرى، ومنها ما هو كبير، ومنها ما يعيش للحظات، ومنها ما يعيش الآف السنين ولا تزال، ومنها ما لها صنوف وأشكال وألوان وعطور وجذور وسيقان وأغصان وبراعم وأوراق وبذور وأزهار، ومنها ما يعرف من لونه، ومنها ما يعرف من رائحته وعطره، ومنها ما يعرف من غصنه أو براعمه أو زهره..

لو تصور الإنسان الأرض بدون نبات أو زرع، وبدون ألوانها وعطرها وأزهارها، لشعر الإنسان بالاكتئاب والحزن، ولكن وجود هذه الأزهار والنباتات بأنواعها وأشكالها وصنوفها هي مظهر من مظاهر الجمال الذي يبعث في النفس الفرح والأمن للإنسان، والكمال لخالقها والتكريم لمخلوقها.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء]، وقال أيضاً: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم].

(ترى الزهرة في النبات، فترى لها أوراقاً جميلة جذابة ملونة بألوان مبهجة، فإذا سألت علماء النبات عن الحكمة في ذلك، أجابوك بأن هذا إغواء للنحل وأشباهه من المخلوقات، التي تمتص رحيق الأزهار لتسقط على الزهرة، حتى إذا وقفت على عيدانها

علقت حبوب اللقاح بأرجلها، وانتقلت بذلك من الزهرة الذكر إلى الزهرة الأنثى فيتم التلقيح، فانظر كيف جعلت هذه الأوراق الجميلة في الزهرة حلقة اتصال بين النبات والحيوان، حتى يستخدم النبات الحيوان في عملية التلقيح الضرورية للأثمار والإنتاج)[1].

فالنباتات قديمها وحديثها يستفيد منه الإنسان مباشرة أو بطريق غير مباشر، ثمرها لغذائه وساقها لسيارته وشقته وناره، وزهرها للنحل الذي يأكل منه العسل، وقد تكون غذاء للشاة التي يأكل لحمها، ويشرب لبنها، ويستعمل صوفها لثيابه ويستخرج منها الدواء ويصنع منها الأدوات.

كل ورقة من أوراق الشجر منظمة أبدع نظام، مخططة أجمل تخطيط، تخطيط وإبداع يقلد، ولا يصنع، تجده على أروع ما يكون في الأزهار، برشاقتها الفاتنة وتصميماتها الرائعة، وألوانها الموزعة بشكل يحافظ كل زهر على سمات جماله وتناسق ألوانه، وإنك لتجد في كل زهرة إحساساً جديداً، وهي بديعة عندما تجتمع جنساً واحداً ورائعة عندما تكون أجناساً، فالورق والزهر والساق والغصون والفروع والثمار كلها إبداع عجيب منفردة كانت أو مجتمعة موصولة أو مقطوعة.

وقال الله تعالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١﴾ [الرحمن] لو لم يكن في الأرض فاكهة قط، لما امتنعت عنها حياة، بل لاستمرت مثلما تسير هي الآن، وما أكثر ما قد يحرم بنو الإنسان من حاجات وضرورات من دون أن تفنى حياتهم على وجه الأرض، ولكنه تكريم الرحمن الرحيم الخالق الكريم لبني الإنسان هي نعم وآلاء نعرفها ونتلذذ بها.

وجاء في الآية ذكر النخل بأكمامها، والأكمام: هي أوعية الطلع التي تنشق، فيخرج منها التمر، وهي فاكهة مقابل ذكره للفاكهة كلها، فكأن الفاكهة كلها في كفة، والتمر وحده في كفة أخرى. فيا له من تكريم للنخل واهب التمر وغير التمر.

والدليل على القول وغير التمر هو وصف الحق سبحانه للنخل بأنها ﴿ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ فإذا كان التمر للآكل، فإن النخل بأكمامه مظهر من مظاهر الجمال في الأرض، فوق أنها

---

(١) سعيد حوى، الله جل جلاله، ص٩٩.

مظهر من مظاهر قدرة القادر في خلقه، ولقد ذكر الباحثون صفات قد تفرد بها النخل عما سواه من الأشجار، صفات قالوا بأنه يشابه فيها الإنسان، والنخل أكثر ما يوجد على سطح السياسة هو في الأرض العربية، واشتهرت صحاراها به، فكأنه قد اختص بها، وهو أكثر ما يوجد فيها من أشجار الفاكهة، بل وكل الأشجار.

وقال تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [الرحمن] العصف: هو ورق الزرع، أو دقاق التبن، والريحان: هو نبات طيب الرائحة من الفصيلة الشفرية، والحبوب هي مصدر لغذاء الإنسان عظيم، وهذه الحبوب هي نفسها أيضاً مصدر للغذاء بطريقة أخرى، إنها تخلد نفسها من حيث أن الحبة الواحدة منها تزرع فتصير نباتاً كاملاً يعطي الكثير من الحبوب، إنها مرة أخرى استمرارية للحياة التي قدَّرها ووهبها لنا صانع الحياة، ونجد في النبات الأوراق أو العصف وهي للزينة مثلما هي طعام للحيوان، كما نجد الرائحة الطيبة والألوان الرائعة.

ونجد التقابل بين السحب وبين الأوراق، وبين الغذاء وهو ضرورة وبين الزينة وهي تكرمه امتن الله بها على عباده فوق الضرورة، وبين الشيء وبين ما ينتج عنه فيخلده. وهناك تقابل بين الفاكهة وبين الحبوب إذ هما صنفان من الغذاء النباتي رئيسيان ويحويان كل ما قد يحتاجه الإنسان من غذاء.

قال الله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴿٣﴾﴾ [الرعد] أي: جعل فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين ذكراً وأنثى، ليتم بينهما أسباب الإخصاب والتكاثر طبق سنته الحكيمة، وقال ابن مسعود: أي: جعل من كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين، إما في اللون كالأبيض والأسود، أو في الطعم كالحلو والحامض، أو في القدر كالصغير والكبير، أو في الكيفية كالحار والبارد وما أشبه ذلك.

وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد]، أي: في الأرض بقاع مختلفة متلاصقة قريب بعضها من بعض، قال ابن عباس: أرض طيبة وأرض سبخة تنبت هذه، وهذه إلى جانبها لا تنبت ﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ أي: بساتين كثيرة من أشجار العنب ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ أي: وفي هذه القطع المتجاورة، أنواع الزروع والحبوب والنخيل والرطب، منها ما ينبت منه من أصل واحد شجرتان

فأكثر، ومنها ما ينبت منه شجرة واحدة ﴿صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ أي: الكل يسقى بماء واحد، والتربة واحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى والعنب الأبيض والأسود، بعضها حلو، وبعضها حامض، وبعضها أفضل من بعض مع اجتماع على شرب واحد.

(وبينما تختلف النباتات اختلافات فردية بعضها عن بعض، نجد لها بعض الصفات العامة التي تشترك فيها جميعاً، فكل منها مثلاً تقوم بعملية التمثيل الضوئي الذي ينتج فيه النبات المواد الغذائية من ثاني أكسيد الكربون والماء في وجود الضوء، وهنالك التشابه في تركيب البذور والسيقان والأوراق والأزهار، وما يؤديه كل منها من الوظائف المتماثلة في النباتات المختلفة، وهنالك الاستجابة الموحدة للمؤثرات الخارجية، فكلها تنتحي نحو الضوء وتموت عندما تحرم من الضوء أو الأوكسجين إلى غير ذلك من الصفات العديدة التي تشترك فيها جميع النباتات)[١].

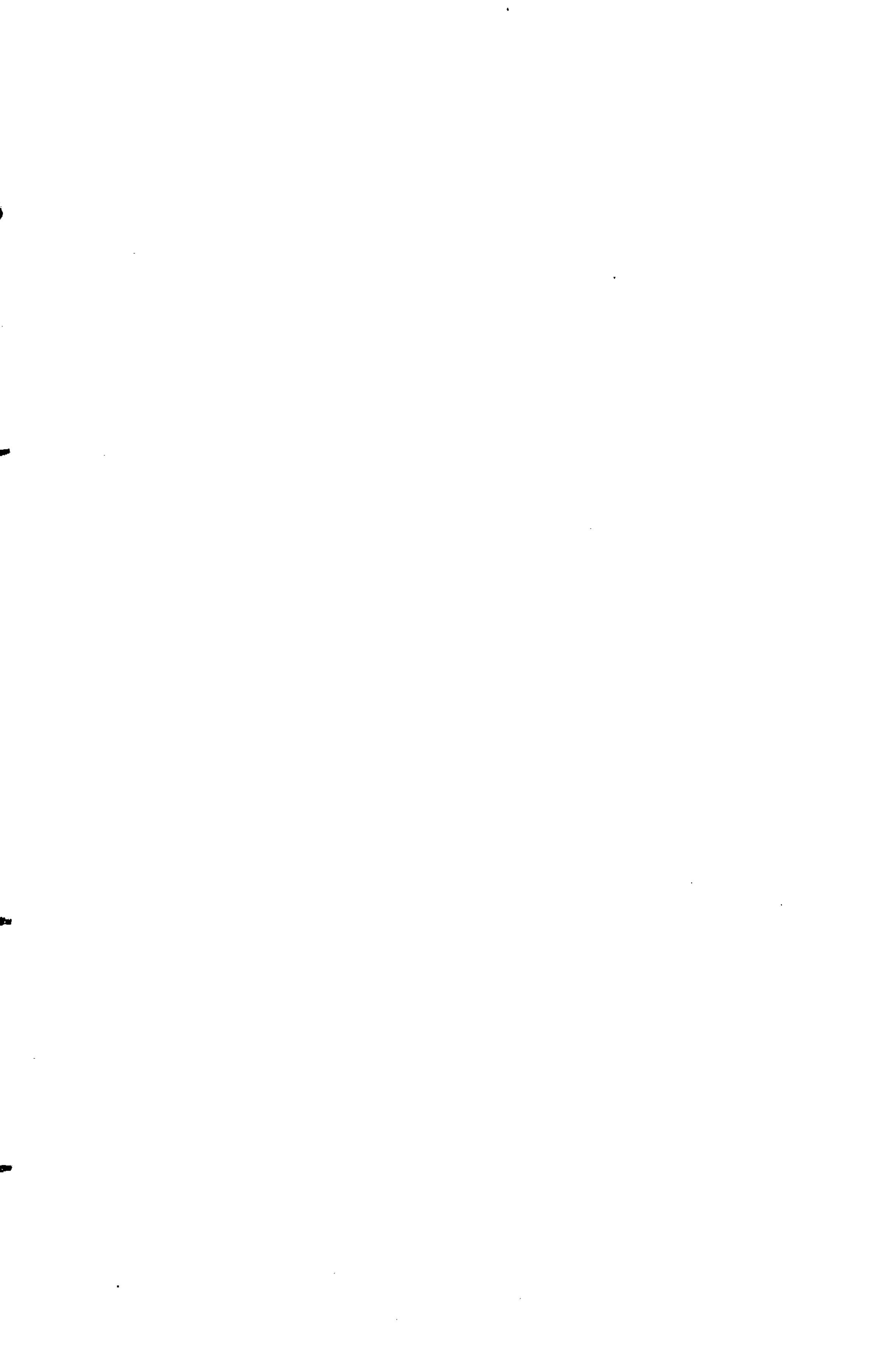
---

(١) عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، الطبعة الرابعة والعشرين، ص٧٦.

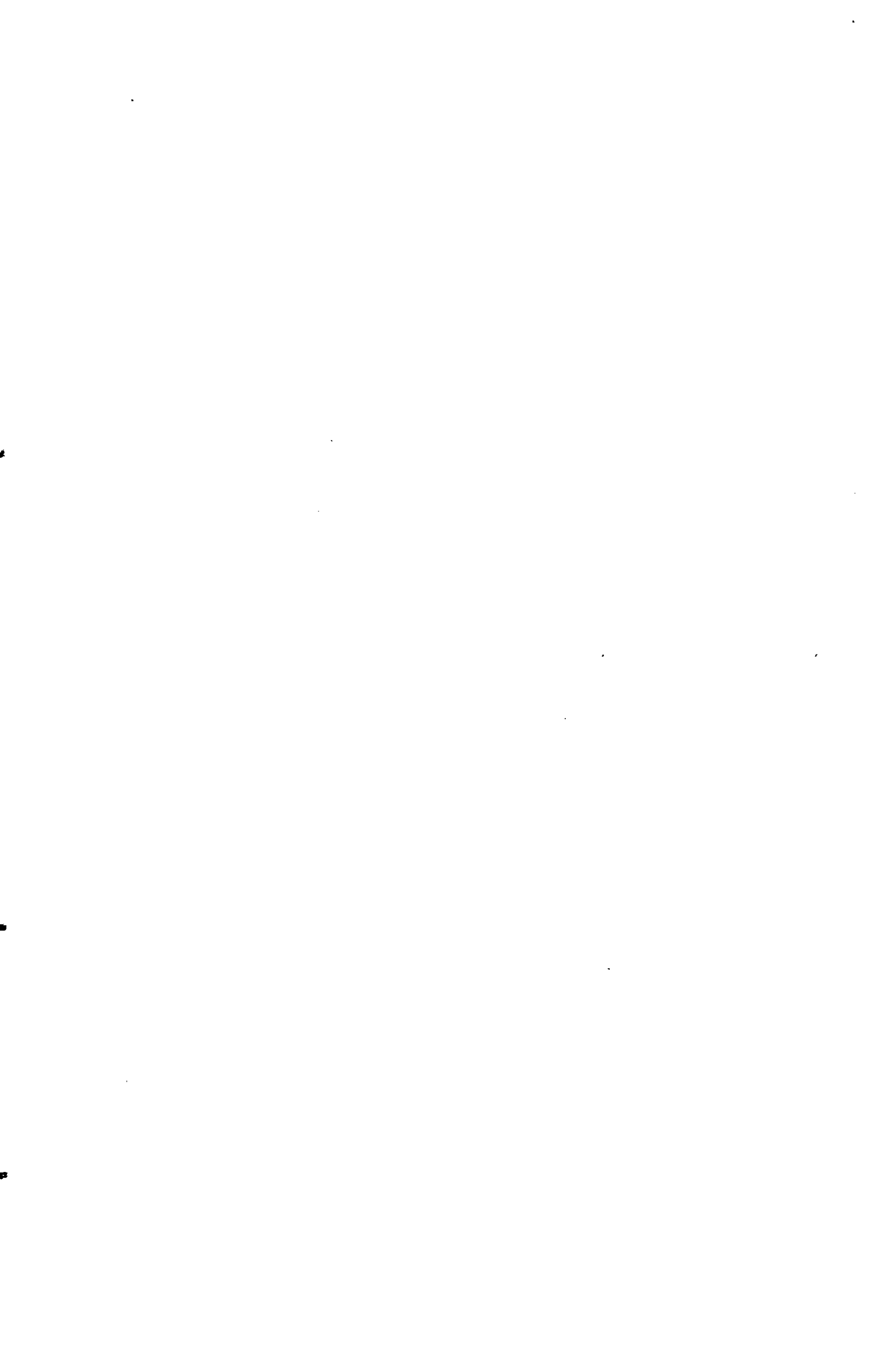
المبحث السادس

زينة الإنسان

وللإنسان زينة ولكنها تختلف عن زينة السماء أو الأرض أو البحر أو الحيوان أو النبات، فهي شاملة، خاصة ببني الإنسان يكفي أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين] أي: في أجمل صوره، فجماله في كل جزئية من أجزاء جسمه، في الخلية جمال وفي الجلد وفي العينين أو الأذنين أو القلب أو.. أو.. أو.. ولأن الكلام عن زينة الإنسان يطول، فقد أفردنا فصلاً خاصاً بزينة الإنسان يلي هذا الفصل إن شاء الله تعالى.



الباب الثالث
زينة الإنسان



الفصل الأول

بداية الزينة

المبحث الأول

نشأة الزينة عند الإنسان

الزينة لدى الإنسان نشأت منذ خُلق، بل لقد خلقت معه، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجَمَّله وحَسَّنه بأحسن صورة، فقد خلق الله آدم عليه السلام وألبسه من لباس الجنة، وزينه بأجمل زينة، وأمر الملائكة بعد إتمام خلقه بالسجود، والسجود كان سجود تكريم لآدم لا سجود عبادة له،وإنما عبادة لخالق آدم وهو الله سبحانه وتعالى، وبعد أن أتم الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام، ونفخ فيه الروح قَرَّظه(١) وشقه(٢) وصوره(٣) وختمه(٤) وأنطقه(٥) وألبسه(٦) من لباس الجنة، وزينه بأنواع الزينة يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس...

قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأعراف]، ثم قال: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿ فَوَسْوَسَ

---

(١) قرظه: مدحه وأثنى عليه وبين محاسنه.

(٢) شقه: أي صدعه.

(٣) صوره: أي جعل له صورة مجسمة، وتكونت له صورة وشكل.

(٤) ختمه: أي أتمه وبلغ آخره وفرغ منه.

(٥) أنطقه: أي جعله ينطق.

(٦) ألبسه: أي اللباس الذي يستر عورته.

لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف]، وقال أيضاً: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه].

من خلال الآيات يظهر لنا أن الزينة نشأت منذ خلق الإنسان، والزينة بمجموعها وأنواعها خلقها الله سبحانه وتعالى للإنسان لغايات وأمور منها التستر والزينة وإظهار نعمة الله على الإنسان[1]، (يروى أن آدم عليه السلام لما بدت سوءاته، وظهرت عورته، طاف على أشجار الجنة يسل منها ورقة يغطي بها عورته، فزجرته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فأعطته ورقة، و﴿وَطَفِقَا﴾ يعني آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة)[2].

وفي الآية دليل على قبح كشف العورة، وأن الله أوجب عليهما الستر ولذلك ابتدرا إلى سترها، ولا يمتع أن يؤمر بذلك في الجنة، وكما قيل لهما ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف] ولأن الإنسان مجبول فطرة على ستر العورة، حتى إن بعض الحيوانات لا تقبل أن ينظر أحد إلى عورتها أو يقترب منها، والعراة اليوم يخالفون فطرتهم، ويحاربون قلوبهم وعقولهم حتى تذعن لفسادهم وسوء أخلاقهم. (وقد حكى صاحب البيان عن الشافعي أن من لم يجد ما يستر به عورته إلا من ورق الشجر، لزمه أن يستتر بذلك، لأنه ستره ظاهره يمكنه التستر بها، كما فعل آدم في الجنة)[3].

عن أبي ابن كعب قال، قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم رجلاً طوالاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه، فأول ما بدا منه عورته، فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة، فأخذت شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن عز وجل: يا آدم مني تفر، فلما سمع كلام الرحمن قال: يا رب لا ولكن استحياء»[4].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٧٨.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٧٨.

(٣) القرطبي، ج٧، ص١٨١.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٧٨.

وزينة اللباس أوجدها الله سبحانه وتعالى في مخلوقاته من الحيوانات أو النباتات، يصنعها الإنسان ويجعل منها كساءه ولباسه وزينته، فمن الحيوانات نأخذ الجلود والوبر والفرو والشعر والريش والحرير وغيرها، ومن النباتات نأخذ القطن والكتان..

وبين الله سبحانه وتعالى أن الإنسان وجب عليه ستر عورته من خلال القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف] (يعني المطر الذي ينبت القطن والكتان، ويقيم البهائم الذي منها نأخذ الأصواف والوبر والأشعار فهو مجاز، وقيل: هو إنزال شيء من اللباس مع آدم وحواء ليكونا مثالاً لغيرهما.

﴿وَرِيشٗاۖ﴾ هو جمع ريش وهو ما كان من المال واللباس، قال الفراء: ريش ورياش كما يقال لبس ولباس، وريش الطائر ما ستره الله به وقيل: هو الخصب ورفاهية العيش، والذي عليه أكثر أهل اللغة: أن الريش ما ستر من لباس أو معيشة، (عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هبط آدم وحواء عريانين جميعاً عليهما ورق الجنة، فأصابه الحر حتى قعد يبكي ويقول لها يا حواء قد آذاني الحر، قال: فجاءه جبريل عليه السلام بالقطن وأمرها أن تغزل، وعلمها وأمر آدم بالحياكة وعلمه أن ينسج»[1]، وكان أول كسوتهما من شعر الضأن جَزَّاه ثم غزلاه فنسج آدم له جبة ولحوَّاء درعا وخماراً، وتعلم الإنسان بعد ذلك الحياكة وصناعة الملابس بأنواعها وألوانها غايته في ذلك حفظ عورته وزينة وطاعة لله سبحانه وتعالى، وعلمنا في الفصل الأول أن الزينة أنواع منها:

١- الزينة النفسية: وهي زينة الصفات التي يتصف بها من داخل نفسه وهي الزينة الظاهرة كالصدق والتقوى والحياء والعلم، وهذه تخلق مع الإنسان منذ ولادته وينميها ويوجهها عن طريق التربية الإسلامية الصحيحة.

٢- الزينة الخارجية: وهي الزينة الظاهرة التي يستطيع الإنسان أن يراها ويعرف بها وجود الله سبحانه وتعالى مثل زينة السماء والأرض والبحر والحيوان والنبات، وبها يستطيع الإنسان أن يؤمن بالله سبحانه وتعالى ويزداد إيمانه.

٣- الزينة المكتسبة: وهي الزينة الخارجة عن الجسم المزين بها وهي ما يحاول

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٨٠.

الإنسان تحسين خلقته به كالثياب والحلي والكحل والخضاب.. وهذه يندرج فيها الحلال والحرام ومنه ما يكون جائزاً ومنه غير جائز، وسنتبين ذلك من خلال بيان الحلال والحرام من الزينة وغيرها في الفصول القادمة إن شاء الله.

٤- الزينة الخلقية البدنية: وهي كل جمال خلقي في الإنسان كاعتدال القامة وتناسق الأغصان وجمال البشرة وسعة العيون، والوجه هو أصل الزينة، وجمال الخلقة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ [البلد] فإذا نظر الإنسان إلى مظهره الخارج لاستدل على وجود الله سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني
الحياء من زينة الإنسان

قلنا: إن الزينة أنواع، ومن أنواعها الزينة، ومن الزينة النفسية خلق الحياء، فهو من زينة الإنسان، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بالتستر، وليس ما يواري به الإنسان سوأته عن أعين الناس، وجعل مرتبة الذي يفعل ذلك من مراتب الإيمان، وهي مرتبة الحياء، فقد قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان»[1].

فالإسلام عبر عنها بالحياء، وهذا تعبير لا مثيل له في حضارة من حضارات العالم، وحال أرقى الأمم من أمم الأرض وأعلاها ثقافة اليوم، نجد أن رجالها ونساءها لا يتحرجون من كشف أي جزء من أجزاء جسدهم، واللباس عندهم لمجرد الزينة لا للستر.

ولكن الإسلام أكثر ما يهمه من اللباس هو الستر دون الزينة، فهو يأمر الرجل والمرأة أن يسترا من جسمهما كل الأجزاء التي فيها جاذبية للصنف الآخر، والعري في الإسلام من الوقاحة وسوء الأدب الذي لا يكاد حياؤه يصبر عليه بحال من الأحوال، وماذا يقال في الأجانب.

إن الإسلام لا يحب حتى للزوجين أن يتجرد أحدهما أمام الآخر، لقول الرسول ﷺ: «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجردان تجرد البعيرين»[2]، وقالت عائشة رضي الله عنها: (ما نظرت إلى فرج رسول الله ﷺ)[3]، مع أن الأمر بين الزوجين مباح، لكنه خلاف الأولى ولا يترتب على ذلك شيء.

حتى إذا خلا الإنسان بنفسه فلا يرضى الإسلام منه أن يتجرد من ثيابه، لأن الله

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، ص٦٣، ج١، رقم ٣٥.

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب التستر عند النكاح، ص٦١٨، ج١، رقم ١٩٢١.

(٣) سنن ابن ماجة، باب ما جاء في حياء رسول الله ﷺ.

أحق أن يُستحيا منه، وهي من أفضل درجات الحياء لقوله ﷺ: «إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط، وحين يفضي الرجل إلى أهله، فاستحيوهم وأكرموهم»(١).

(وما اللباسُ الذي يشف عن الجسم، ويفضح العورات بلباسٍ في نظر الإسلام، قال رسول الله ﷺ: «نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها»(٢).

والإسلام يريد أن يطهر جو المجتمع وبيئته من كل المغريات التي تقود المسلم إلى الفحشاء والمنكر، فهذه المغريات التي مصدرها جميعاً الباطن الإنساني، التي من ورائها تنشأ جرائم كل المنكرات والفواحش، وتبتدىء المحركات الخفيفة التي ربما غفل عنها الإنسان الجاهل، زاعماً إياها هنات لا تضر، ولكنها في رأي الحكيم العليم علة العلل، وأصل الأمراض التي تدمر التمدن والأخلاق والاجتماع، ولذلك يريد التعليم الخلقي الإسلامي أن يبعث في باطن الإنسان شعوراً نفسياً من الحياء يكون من القوة والشدة، بحيث يدفعه على محاسبة نفسه بنفسه على الدوام حتى إذا أنس في خفاياه أدنى ميل إلى المنكر قهره بنفسه، وقضى عليه بقوة إرادته)(٣).

والمسلم عفيف حَيِيٌّ، والحياء خلق له، وإن الحياء من الإيمان، والإيمان عقيدة المسلم وقوام حياته، والحياء قوة غريزية تمنع صاحبها عما لا ينبغي فعله قال ﷺ: «الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»(٤) وسر كون الحياء من الإيمان أن كلاً منهما داع إلى الخير، صارف عن الشر مبعد عنه.

والإيمان يدفع صاحبه على فعل الطاعات وترك المنكرات، والحياء يمنع صاحبه من التفريط في حق ذي الحق، كما يمنع الحيي من فعل القبيح، ومن هنا كان الحياء كله

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في الاستتار عند الجماع، ص١١٢، ج٥، رقم ٢٨٠.

(٢) موطأ مالك، كتاب اللباس، باب ما يكره للنساء لبسه من الثياب، ص٩١٣، ج٢، رقم ١٦٢٦.

(٣) أبو الأعلى المودودي، الحجاب، ص٢٦٢- ٢٦٣.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد، كتاب الحياء، باب الحياء، ص٣٤٨، ج١، رقم ١٣٥٠.

خير، إذ لا يأتي إلا بالخير كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ قوله: «الحياء لا يأتي إلا بخير»(١).

المسلم إذ يدعو إلى المحافظة على التمسك بخلق الحياء في الناس، وتنميته فيهم إنما يدعو إلى خير كله ويرشد إلى بر، لأن الحياء من الإيمان، والإيمان مجمع كل فضيلة، وعنصر كل خير، وأسوة المسلم في هذا الخلق الفاضل الكريم رسول الله ﷺ سيد الأولين والآخرين، فقد كان أشد حياء من العذراء في خدرها.

والمسلم كونُ خُلقهِ الحياء، فلا يكشفُ عورة أمام الناس، ولا يقصر في أداء وجب لهم، ولا ينكر على أهل الفضل معروفاً أسدوه إليه، لا يخاطبهم بسوء ولا يجابههم بمكروه، لأنه يستحي ولا يحب أن يراه فيما يكره بل يحرص كل الحرص أن يراه تعالى فيما يحب، فهو يستحي من الخالق فلا يقصر في طاعته ولا شكر نعمته، وذلك لما يرى من قدرته عليه وعلمه به، متمثلاً قول ابن مسعود: (استحيوا من الله حق الحياء فاحفظوا الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، واذكروا الموتَ والبِلى، وقول الرسول ﷺ: «فالله أحق أن يُستحيا منه من الناس»(٢).

وكذلك من الزينة النفسية التقوى، بين الله تعالى أن خير لباس للإنسان هو لباس التقوى قال الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف] أي: أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يستر عوراتكم، ولباساً يزينكم وتتجملون به، ولباس التقوى والورع والخشية من الله تعالى خير ما يتزين به المرء، فإن طهارة البدن أهم من جمال الظاهر.

قال الشاعر:

وخيـر لبـاس المـرء طـاعـة ربـه ولا خيـر فيمـن كـان لله عـاصيـا

﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ بيّن أن التقوى خير لباس ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ هو العمل الصالح، وهو السمت الحسن في الوجه، وقيل: ما علمه عز وجل وهدى به ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ لبس

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحياء، ص٢٢٦٧، ج٥، رقم ٥٧٦٦.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في العورة، ص٩٧، ج٥، رقم ٢٧٦٩.

الصوف الخشن من اللباس، مما يتواضع به لله تعالى ويتعبد له خير من غيره، وقال زيد بن علي: ﴿لباس التقوى﴾ الدرع والمغفر والساعدان والساقان يتقى بهما في الحرب، وقال عروة بن الزبير: هو الخشية لله، وقيل: هو استشعار تقوى الله فيما أمر به ونهى عنه.

وهو حض على الجهاد، وقال ابن زيد: هو ستر العورة، ومن قال: إنه لبس الخشن من الثياب فإنه أقرب إلى التواضع، فقد كان الفضلاء من العلماء يلبسون الرفيع من الثياب مع حصول التقوى والله أعلم)[١].

---

(١) القرطبي، ج٧، ص١٨٤-١٨٥.

المبحث الثالث

غريزة التبرج وإظهار الزينة

إظهار الزينة والتبرج أمر داخلي نفسي، وهو غريزة في النفس، إما أن يحفظها الإنسان عن طريق اتباع أوامر الله سبحانه وتعالى في حفظ العورة والتستر، أو أن يتبع في ذلك غواية الشيطان للإنسان، عن طريق إظهارها وإبراز مفاتنِ كل جنس لغيره، للفت نظره إليه.

فالمرأة تتبرج وتتزين للرجل وكذلك الرجل يظهر نفسه للمرأة، وهذه من لواحق فتنة النظر، وهو رغبتها في ما يحبب المرأة أن يُرى حُسنها وجمالها، وكذلك الرجل، وهذه الرغبة لا تكون جلية بارزة أبداً، ولكن هذا النزوع إلى إظهار الزينة يكمن لا محالة في مطاوي النفس، وهو الذي تظهر آثاره في زينة اللباس وتجميل الثياب والشعر وانتخاب الأزياء الرقيقة الجذابة. وما إلى ذلك من الجزئيات الخفيفة التي لا يمكن حصرها، وقد عبَّر عنها القرآن الكريم بمصطلح جامع هو (تبرج الجاهلية) من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب] فكل زينة وكل تجميل تقصد به المرأة أن تحلو به في أعين الأجانب يطلق عليه ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.

وحددت الآية المرأة بالذِّكْرِ لأنها أكثر تبرجاً من الرجل وأكثر فتنة منه، وذلك إثباتاً لقوله ﷺ: حتى القناع الذي تتستر به المرأة، إن انتخب من الألوان البراقة، والشكل الجذاب، لكي تلذ به أعين الناظرين، فهو أيضاً من مظاهر التبرج الجاهلي، وليس في الإمكان أن تضبط هذه المظاهر كلها بقانون، بل الأمر موكول في ذلك إلى ضمير المرأة نفسها، فعليها أن تحاسب نفسها وتتحسس ما فيها، لعلها يكمن في مطاويها هذا النزوع إلى التبرج، فإن وجدته فلا ريب أنها مخاطبة في الأمر الإلهي: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب].

وخلاصة ما تبين لنا من المبحثين السابقين أن اللباس يكون لأمور عدة:

أولاً: للستر وحفظ العورة.

ثانياً: لإظهار نعمة الله على الإنسان.

ثالثاً: للزينة.

المبحث الرابع
حكم العورة في الإسلام

العورة في اللغة: من (ع و ر) أي سوأة الإنسان، وكل ما يستحيا منه، والجمع عورات[1]، والعورة في المصطلح الشرعي: هي ما يجب على الإنسان ستره من أعضاء الجسم.

والعورة: الخلل في الثغر وغيره وكل مكمن للستر، والسوأة والساعة التي نبه الشارع إلى الاحتراز من ظهور العورة فيها، لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النور] وهي ثلاث.. ساعة قبل صلاة الفجر، وعند منتصف النهار، وبعد العشاء الآخرة، وكل أمر يستحيا منه هو عورة[2].

والعورة: كل بيت أو موضع فيه خلل يخشى دخول العدو منه، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب] وكل ما يستره الإنسان استنكافاً أو حياء[3].

ومن جملة الأنعام التي أنعمها الله على الإنسان ستر العورة، فبين سبحانه وتعالى لذريته ما يسترون به عوراتهم، ودل الأمر على التستر، ولا خلاف بين العلماء في وجوب ستر العورة في أعين الناس، واختلفوا في العورة ما هي:

فقالوا: من الرجل: الفرج نفسه، القبل والدبر دون غيرهما لقوله تعالى: ﴿ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأعراف].

---

(١) مختار الصحاح، باب العين، ص١٩٣.

(٢) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، فصل العين باب الراء، ص٥٧٣.

(٣) المعجم الوجيز، باب العين، ص٤٤١.

قال مالك: السرة ليست بعورة، وأَكرهُ للرجلِ أن يكشف فخذه بحضرة زوجه.

وقال أبو حنيفة: الركبة عورة وهو قول عطاء.

وقال الشافعي: ليست السرة ولا الركبة من العورة على الصحيح.

وأما المرأة الحرة فعورة كلها إلا الوجه والكفين. على هذا أكثر أهل العلم، ولأن ذلك واجب كشفه في الإحرام. وقال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: كل شيء من المرأة عورة حتى ظفرها، وروي عن أحمد بن حنبل نحوه.

وأما الأمة فالعورة منها ما تحت ثدييها، ولها أن تبدي رأسها ومعصميها، وقيل: حكمها حكم الرجل، وقيل: يكره لها كشف رأسها وصدرها، وقال أبو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام كل شيء من المرأة عورة حتى ظفرها، وهذا خارج عن أقوال الفقهاء لإجماعهم على أن المرأة الحرة لها أن تصلي المكتوبة ويداها ووجهها مكشوف ذلك كله، تباشر به فالأمة أولى.

والصبي الصغير لا حرمة لعورته، فإذا بلغت الجارية إلى حد تأخذها العين وتُشتهى سترت عورتها.

المبحث الخامس

ستر العورات من الزينة

إنَّ أول ما عني به الإسلام في سبيل إحكام الاجتماع هو إبطال العري، وتعيين العورات للرجال والنساء، وإن الحال التي كانت عليها الجاهلية العربية في التهاون بالعري، لا تختلف عنها حال الأمم المهذبة الراقية اليوم اختلافاً يذكر، فكان رجال من العرب يتعرى بعضهم أمام بعض بدون حياء أو تردد.

وكانوا لا يرون لزوم الاستتار عند الغسل أو قضاء الحاجة، وكانوا يطوفون بالكعبة عراة، وقد روى ابن عباس ومجاهد وعطاء وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير والزهري وغيرهم أنهم قالوا: (كان رجال من العرب يطوفون بالبيت عراة)[1].

حتى النساء كن يتعرين عند الطواف فقد جاء في كتاب التفسير في صحيح مسلم أن المرأة كانت تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: من يُعيرني تَطوافاً تجعله على فرجها وتقول:

اليـــوم يبـــدو بعضـــه أو كلـــه　　　فمـــا بـــدا منـــه فـــلا أُحِلُّـــه

وكان إعطاء الكسوة لمثل هذه السائلة يعد من البر، وكن يلبسن في عامة الأحوال لباساً يكشف عن بعض الصدور، وعن جانب من الذراعين والكشح والساقين..

وهي حالة توجد اليوم بعينها في أوروبا وأمريكا واليابان، بل وبلاد الشرق ومنها البلاد الإسلامية، وليس في أقطار الشرق نظام اجتماعي - غير الإسلام - قُررت فيه حدود الكشف، والستر على وجه العناية والاهتمام.

فلقَّن الإسلام النوع الإنساني أول درس في الحضارة في هذا الباب بقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف]، ففرض بهذه الآية ستر

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٢١٠.

الجسم على كل رجل وامرأة، وشدد النبي ﷺ في النهي عن كشف العورة، والنظر إليها، فقال ﷺ: «ملعون من نظر إلى سوأة أخيه»[1].

وقال ﷺ: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة»[2]، وقال ﷺ: «إياكم والتعرِّي، فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط، وحين يفضي الرجل إلى أهله»[3].

وقال ﷺ: «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر، ولا يتجردا تجرد العيرين»[4]، وخرج رسول الله ﷺ ذات مرة إلى إبل الصدقة فرأى راعيها تجرد في الشمس فعزله وقال: «لا يعمل لدينا مَنْ لا حياء له»[5].

---

(١) الجصاص، أحكام القرآن.

(٢) رواه البخاري، باب تحريم النظر إلى العورات.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء في الاستتار عند الجماع، ص١١٢، ج٥، رقم ٢٨٠.

(٤) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب التستر عند الجماع، ص٦١٨، ج١، رقم ١٩٢١.

(٥) المبسوط، باب الاستحسان، ج١٠، ص١٥٥.

الفصل الثاني
عورة الرجل

فللرجل عورة أمام الرجل، وأمام المرأة أو غيرهما سواء كانوا أقرباء أو غرباء، والعورة تكون في حدود بُيِّنتْ في الإسلام وهي كما يلي:

المبحث الأول
عورة الرجل بالنسبة للرجل

الرجل إما أن يكون قريباً: كالأب والابن والأخ وابن الأخ وابن الأخت والعم والخال وغيرهم، أو أن يكون أجنبياً (ليس بقريب) ويدخل في هذا القسم النظر إلى الأمرد، وبيان عورة الصغير والصغيرة.

ينظر الرجل من الرجل سواء أكان قريباً أو أجنبياً، ومن غلام بلغ حد الشهوة (بأن صار مراهقاً) - ولو كان أمرد (صبيح الوجه) سوى ما بين سرته إلى ما تحت ركبته إن تيقن عدم الشهوة وإلا فلا، فما بين السرة والركبة عورة: لما روي عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما فوق الركبتين من العورة، وما أسفل من السرة من العورة»[1].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فإن ما تحت السرة إلى الركبة من العورة»[2]، وما أخرجه الحاكم عنه ﷺ: «ما بين السرة والركبة عورة»[3]، ويدخل فيها القُبل والدبر والانثيان (الخصيتان) والإليتان، وما فوق

---

(١) سنن الدارقطني، كتاب الصلاة، باب الأمر بتعليم الصلوات والضرب عليها وحد العورة، ص٢٣١، ج١، رقم ٥.

(٢) سنن البيهقي، كتاب الصلاة، باب عورة الرجل، ص٨٦، ج٣، رقم ٣٣١٨.

(٣) مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر عبد الله بن جعفر الطيار، ص٦٥٧، ج٣، رقم ٦٤١٨.

العانة إلى السرة مما يحاذيها من الخلف والجانبين والفخذان والركبتان.

فالفخذ من العورة لأنه داخل في التحديد السابق ما بين السرة والركبة، ولما روي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تبرز فخذيك، ولا تنظر إلى فخذ حي أو ميت»[1]، وعن محمد بن جحش رضي الله عنه قال: مَرّ رسول الله ﷺ على معمر وفخذاه مكشوفتان فقال: «يا معمر غطِّ فخذك فإن الفخذ عورة»[2].

والركبة من العورة لا السرة، لما روي عن عقبة بن علقمة بن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الركبة من العورة»[3]، وعن ابن عون بن عمير بن إسحاق، قال: كنت أمشي مع الحسن بن علي رضي الله عنهما في بعض طرق المدينة، فلقينا أبو هريرة رضي الله عنه فقال للحسن: (اكشف لي عن بطنك جُعلتُ فداءك حتى أُقَبِّلَ حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبله قال: فكشف عن بطنه فقبل سرته)[4]، ولو كانت من العورة لما كشفها ولما قبلها.

وعلى هذا لا يجوز للأب أن ينظر من ابنه ولا الابن أن ينظر من أبيه، ولا للأخ أن ينظر من أخيه، ولا القريب مطلقاً أن ينظر من قريبه، أو من الأجنبي شيئاً ما بين سرته حتى تجاوز ركبته، لا في حمام ولا مسبح، ولا وقت خلع الثياب للنوم أو الاغتسال أو لتغييرها، ولا في البيت أو خارجه، ولا في لعب ورياضة وركض، ولا يطيع مَنْ أمره بكشفها، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق أياً كان الأمر إلا أمام الطبيب للفحص والمداواة من مرض أو وجع لا غيره، فيجوز بقدر الضرورة.

ولكن حكم العورة في الركبة أَخفُّ من الفخذ، وفي الفخذ أخف منه في المرأة حتى إن كاشف الركبة ينكر عليه برفق، وكاشف الفخذ يعنف عليه، وكاشف السوأة يؤدب عليه.

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في غسل الميت، ص٤٦٩، ج١، رقم ١٤٦٠.

(٢) مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، ذكر ابنه محمد بن عبد الله بن جحش، ص٧٣٨، ج٣، رقم ٦٦٨٤.

(٣) سنن الدارقطني، كتاب الصلاة، باب تعليم الصلوات والضرب عليها، ص٢٣١، ج١، رقم ٤.

(٤) رواه أحمد بن حنبل في مسنده، وابن حبان في صحيحه.

وما يباح نظره للرجل من الرجل يباح منه، أما ما بين السرة إلى ما تحت الركبة فيجزم منه تحت الثوب (أي بلا حائل)، وأما فوق الثوب فإن كان مجرد مس بلا شهوة فلا بأس به، وأما التكيس والتدليك فيكره تحريماً ولو كان الثوب ثخيناً.

(وقال العلماء: ويكره في الحمام تكييس خادم فوق الإزار، ولو كان الإزار ثخيناً ومَسّ ما تحته كما يفعله الجهلة، حرام، ويدخل في ذلك كيس الحمام وليفها، فإنه يكره تحريماً للرجل أن يمكِّن الرجل من تنظيفه بالكيس والليف من سرته إلى ما تحت ركبته، وكذا المرأة مع المرأة، بل ينظفه إن شاء من سرته وما فوق، وما تحت ركبته ثم يتولى هو تنظيف ما بين السرة والركبة بنفسه)[1].

(١) محمد بشير شقفة، حكم العورة في الإسلام، ص١٨-٢١.

المبحث الثاني

حكم النظر إلى الأمرد

الأمرد: هو الشاب الذي طَرَّ شاربه ولم تنبت لحيته، وهو شامل لمن عذارة أيضاً، (والعذار: شعره النابت في موضع العذار وهما جانبا اللحية)، أما ابتداؤه فمن حين بلوغه سنا تشتهيه النساء، أو لو كانت بنتاً صغيرة لاشتُهيت في هذا السن للرجال.

قال في الفتاوى الهندية: الغلام إذا بلغ مبلغ الرجال ولم يكن صبيحاً، فحكمه حكم الرجال، وإن كان صبيحاً فحكمه حكم النساء، وهو عورة من فَرْقِه إلى قدمه، لا يحل النظر إليه عن شهوة، فأما الخلوة به والنظر إليه لا عن شهوة فلا بأس به، ولذا لم يؤمر بالنقاب، والمراد كونه صبيحاً أن يكون جميلاً بحسب طبع الناظر، ولو كان أسوداً لأن الحسن يختلف باختلاف الطبائع.

وبيان الشهوة التي هي مناط الحرمة أن يتحرك قلب الإنسان، ويميل بطبعه إلى اللذة، وعدم الشهوة أن لا يتحرك قلبه إلى شيء من ذلك، بمنزلة من نظر إلى ابنه الصبيح الوجه أو ابنته الحسناء، فقد شرط العلماء لِحِلِّ النظرة إلى المرأة والأمرد الصبيح الوجه الأمنَ بطريق اليقين من شهوة، أي: ميل النفس إلى القرب منها أو منه أو المس لها أو له مع النظر والاعتبار، بحيث يدرك التفرقة بين الوجه الجميل والمتاع الحسن، لأن مجرد النظر واستحسان ذلك الوجه الجميل وتفضيله على الوجه القبيح كاستحسان المتاع الحسن لا بأس به، فإنه لا يخلو عنه الطبع الإنساني.

بل يوجد في الصغار، فالصغير المميز يألف صاحب الصورة الحسنة، أكثر من صاحب الصورة القبيحة، ويرغب فيه ويحبه أكثر، فليس هذا نظر شهوة لأن ميله إليه مجرد استحسان ليس معه لذة وتحرك قلبه إليه كما في ميله إلى ابنه أو أخيه الصبيح.

وإنما الشهوة ميلُه إليه بعد هذا ميلُ لذةٍ إلى القرب منه أو اللمس له زائداً على ميله إلى المتاع الحسن أو الملتحي، وفوق ذلك إلى التقبيل أو المعانقة أو المباشرة أو

المضاجعة، هذا وإن الزنا كبيرة واللواطة أكبر وأفظع، والنظر إلى وجه المرأة بشهوة حرام، وإلى وجه الأمرد أشد حرمة وأشنع، حتى العلماء إذا أرادوا أن يعبروا عن حرمة النظر إلى وجه المرأة بشهوة يقولون: لا يجوز النظر إلى وجه المرأة بشهوةٍ كوجهِ الأمرد.

ويستفاد من هذا التشبيه - تشبيه وجه المرأة بوجه الأمرد - أن حرمة النظر إليه بشهوة أعظم إثماً لأن خشية الفتنة به أعظم منها، ولأنه لا يحل بحال من الأحوال بخلاف المرأة فإنها تحل بالنكاح الشرعي.

ولقد قال السلف: اللوطيون أصناف: صنفٌ ينظرون، وصنفٌ يصافحون، وصنفٌ يعملون، فلو علم من نفسه الشهوة أو شك أو ظن حرم النظر، ولذا بالغ السلف في التنفير منهم وسموهم الأنتان لاستقذارهم عقلاً وطبعاً وشرعاً، ومن أقوالهم فيهم، قال مجاهد: قال أبو هريرة رضي الله عنه: من أتى غلاماً فقد كفر.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن اللوطي إذا مات من غير توبة مسخ في قبره خنزيراً. وقال بعض التابعين: ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سَبُعٍ ضارٍ: من الغلام الأمرد يقعد إليه، وكان يقول: النظر بريد الزنا، وجاء رجل إلى الإمام أحمد رضي الله عنه ومعه صبي حسن الوجه فقال له الإمام: من هذا منك؟ قال: ابن أختي، قال: لا تجىء به إلينا مرة أخرى، ولا تمشِ معه في طريق لئلا يظن بك مَنْ لا يعرفك ويعرفه سوءاً.

قال ابن القفطان: أجمعوا على أنه يحرم النظر إلى غير الملتحي بقصد التلذذ بالنظر، وتمتع البصر بمحاسنه، وأجمعوا على جوازه بغير قصد اللذة، والناظر مع ذلك آمن الفتنة، هذا ولا يخفى أن الأحوط عدم النظر مطلقاً لقوله ﷺ: «الإثم حواز القلوب، وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع»[1]، ومن الاحتياط أن لا يكون الحلاق أمرد، ولا الذي يغمز اليدين والرجلين في الحمام، أو ينظف فيها بالكيس أو الليف، قال الفقهاء[2]: يكره تحريماً الحلاق الأمرد إذا وجد المحلوق رأسه في اللذة ما يريد، على ما لو كان مليحاً، وكراهية التكبيس وغمز الرجلين من الأمرد في الحمام أولى.

---

(١) البيهقي، شعب الإيمان، كتاب السابع والثلاثون من شعب.

(٢) رد المحتار، جـ١.

المبحث الثالث

عورة الرجل بالنسبة للمرأة

المرأة الناظرة إما أن تكون زوجة أو قريبة محرمية، أو قريبة غير محرمية أو أجنبية.

أولاً: أما الرجل مع زوجته: فلا عورة له، ويحلُّ لها أن ترى منه كل شيء لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ ﴾ [المؤمنون] والآية وردت في الرجال، وما دام الوطء جائزاً، فلأن يجوز النظر إلى محل العورة أولى وباقي الجسم بديهة، ولقول النبي ﷺ: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»[1].

ثانياً: أما عورة الرجل بالنسبة للقريبة (محرمية أو غير محرمية) والأجنبية: فكعورة الرجل مع الرجل، يحل لهن أن يرين جميع بدنه إلا ما بين سرته حتى يجاوز ركبته، إن علمن قطعاً ويقيناً عدم الشهوة، وأما إذا علمت الناظرة أنه يقع في قلبها شهوة فيحرم نظرها إليه، وإن خافت أو شكت (ومعنى الشك استواء الظَّنَّين) في ذلك يستحب لها أن لا تنظر، ولو كان الناظر إليها الرجل وهو بهذه الصفة (أي شاك مثلها) يحرم عليها النظر مطلقاً، وتعليل هذا الفرق في الحكم بين الرجل والمرأة، وإذا كانا شاكين في الاشتهاء أن الشهوة على النساء غالبة فيها كالمحققة اعتباراً، فإذا اشتهت الرجل كانت الشهوة موجودة في الجانبين بيقين. ولا كذلك إذا اشتهت المرأة لأن الشهوة غير موجودة في جانبه حقيقة واعتبارا، فكانت من جانب واحد وهو جانب المرأة فقط. والمتحقق من الجانبين في الإفضاء إلى المحرم أقوى من المحقق في جانب واحد.

ثالثاً: ما حل نظره للمرأة من الرجل فمسألة مَسِّهِ على التفصيل التالي:

١- إذا كانت زوجة حَلَّ لها مَسُّ كل ما حل رؤيته من زوجها بشهوة أو بدون شهوة،

---

(١) رواه الخمسة عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وقد علقه البخاري وحسنه الترمذي وصححه الحاكم.

لأنه لما حل لهما الاستمتاع ببعضهما حل لهما ما دونه وهو اللمس بشهوة بالأولى.

٢- إن كانت قريبة محرمية: كالأم أو الأخت أو البنت أو العمة أو الخالة، فما حل لها نظره من محرمها حل مسه إذا أمنت الشهوة، وإن لم تُؤمن الشهوة حرم المس مطلقاً.

٣- وإن كانت قريبة غير محرمية: كبنت العم وبنت العمة وبنت الخال وبنت الخالة، وأخت الزوجة وزوجة الأخ أو الأجنبية، فيحرم عليهن مس ما حل لهن رؤيته من الرجل مطلقاً، بشهوة أو بدون شهوة حتى المصافحة.. لقول ﷺ: «لأن يُطعنَ في رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يَمسَّ امرأة لا تحلُّ له»[1].

---

(١) رواه الطبراني عن معقل بن يسار.

المبحث الرابع

في أي سن يمنع الغلام من الدخول على النساء

ويدخل الغلام على النساء ما لم يبلغ بالعلامة أو السن، فإذا بلغ خمس عشرة سنة قمرية من العمر لا يحل له النظر ولا الدخول على النساء، لأنه مكلف.

ويختلف حكم نظر الطفل إلى النساء، ودخوله عليهن قبل المراهقة عما بعد المراهقة إلى البلوغ، في سن ما قبل المراهقة يجوز له الدخول على النساء والنظر إلى زينتهن الباطنة: كالشعر والعنق والصدر والعضد والساعد والساق والقدم، أما إذا راهق الحلم، فقد أصبح من حيث نظره إلى الزينة الباطنة في حكم البالغ، فيُمنع من النظر، وتمنع المرأة من إبداء شيء من زينتها أمامه، وإن كان لا يمنع الدخول على النساء ما لم يبلغ، على أن لا يكون مع هذا الدخول نظر إلى شيء من الزينة الباطنة إلا الوجه والكفين، أما إذا بلغ حرم النظر والدخول جميعاً، (قال في رد المحتار نقلاً عن المجتبى: الغلام إذا بلغ حد الشهوة كالفحل - أي كالبالغ - في النظر إلى العورة والمضاجعة)[1].

أي: وإن كان لا يمنع من الدخول المجرد، فلا تضارب بين النقلين، وهذا هو الذي تؤيده النصوص والأحاديث الشريفة والنقول، قال الله تعالى عند ذكر من يجوز إبداء زينتها أمامهم: ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم، وتَعَطُّفِهن في المشية، وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك، فلا بأس بدخوله على النساء، فأما إن كان مراهقاً أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويداريه، ويفرق بين الشوهاء والحسناء، فلا يُمكَّن من الدخول على النساء، وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ: «إياكم والدخول على النساء» قيل: يا رسول

---

(١) رد المحتار، كتاب الحظر والإباحة، فصل النظر والمس، ج٥.

الله أفرأيت الحمو؟ فقال: «الحمو الموت»[1].

وقوله: «الحمو الموت» أي: أن دخوله يعدل الموت، وفسره بعضهم - فليمت - ولا يدخل وذلك لسهولة الاتصال، وتشابه أفراد الأسرة الواحدة، فقد تقع الجريمة ولا تخفى، ويُظَنُّ المولود أنه ابن الزوج مع أن العلوق كان من الحمو، وهو قريب الزوج كأخيه وابن عمه، قال الفخر الرازي في تفسيرها: (الصغير الذي لم ينتبه لصغره على عورات النساء فلا عورة للنساء معه، وإن تنبه لصغره ومراهقته لزم أن تستر عنه المرأة ما بين سرتها وركبتها، وفي لزوم ستر ما سواه وجهان:

أحدهما: لا يلزم لأن القلم غير جار عليه.

الثاني: يلزم كالرجل لأنه يشتهي، والمرأة تشتهيه.

وهو معنى قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۝٣١﴾ [النور] واسم الطفل شامل له إلى أن يحتلم)[2]، وقال الجصاص في أحكام القرآن في تفسيرها: (قال مجاهد: هم الذين لا يدرون ما هن من الصغر، وقال قتادة: الذين لم يبلغوا الحلم منكم، وقال أبو بكر: قول مجاهد أظهر لأن معنى أنهم لم يظهروا على عورات النساء، أنهم لا يميزون بين عورات النساء بالاستئذان في الأوقات الثلاثة بقوله تعالى: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ۝٥٨﴾ [النور] وأراد به الذي عرف ذلك واطلع على عورات النساء، والذي لا يؤمر بالاستئذان أصغر من ذلك، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، وفَرِّقوا بينهم في المضاجع»[3] فلا يؤمر بالتفرقة قبل العشر، وأمر بها في العشر لأنه قد عرف ذلك في الأكثر الأعم، ولا يعرفه قبل ذلك في الأغلب)[4].

وقال القرطبي في تفسيرها ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ اسم جنس بمعنى الجمع، وفي مصحف حفصة ﴿أو الأطفال﴾ على الجمع، ويقال: طفل ما لم يراهق الحلم ﴿يَظْهَرُوا۟﴾ معناه: يطلعوا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة، ص٢٠٠٥، ج٥، رقم ٤٩٣٤.

(٢) تفسير الفخر الرازي، سورة النور.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ص١٣٣، ج١، رقم ٤٩٥.

(٤) أحكام القرآن للجصاص، ج٣، سورة النور.

بالوطء، أي لم يكشفوا على عوراتهن للجماع لصغرهم، وقيل: لم يبلغوا أن يطيقوا النساء، ويقال: ظهرت على كذا، أي: علمته، وظهرت على كذا.. أي قهرته، ثم قال: اختلف العلماء في وجوب ستر ما سوى الوجه والكفين منه على قولين:

أحدهما: لا يلزم لأنه لا تكليف عليه وهو الصحيح.

الآخر: يلزمه لأنه قد يشتهي أيضاً وهي: فإن راهق فحكمه حكم البالغ في وجوب الستر.

الفصل الثالث
عورة المرأة

تختلف عورة المرأة عن عورة الرجل، سواء أكانت أمام الرجال أو النساء، أقرباء أو غرباء بحسب الناظر إليها، وجعلها الإسلام في حدود وبيَّنها كما يلي:

المبحث الأول
عورة المرأة بالنسبة للمرأة

تختلف عورة المرأة مع المرأة بحسب الناظرة:

إما أن تكون قريبة.

أو أن تكون أجنبية.

أو أن تكون فاجرة.

أو أن تكون كافرة.

أولاً: أما القريبة والأجنبية (أي: ليست بقريبة وليست بكافرة): فلها النظر من المرأة إلى سرتها وما فوق، وإلى ما تحت ركبتها، وأما العورة فهي ما بين السرة والركبة، والركبة من العورة، أي عورتهن مع المرأة كعورة الرجل مع الرجل.

وقد اتفق العلماء على أن الأحاديث التي حددت عورة الرجل مع الرجل هي نفسها في عورة المرأة مع المرأة، قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة»[1]، وقد بين ﷺ عورة الرجل بالنسبة للرجل، فدل على أن عورة المرأة مع المرأة مثله لاتحاد الجنس.

ثانياً: والمراد بالأجنبية مَنْ ليست بقريبة ولا كافرة، لأن الكافرة لها حكم آخر.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب تحريم النظر إلى العورات، ص٢٦٦، ج١، رقم ٣٣٨.

والسرة: هي ذلك الثقب في منتصف البطن، وهي ليست من العورة، وما تحت السرة: هو الخط الذي يمر بالسرة، ويدور على محيط البدن.

والركبة: هي ملتقى عظمي الساق والفخذ، وهي من العورة، وهذا حد العورة من الأمام، وأما حدُّها من الخلف فما ينحصر بين الخطين المتوازيين المسحوب إحداهما من السرة إلى الظهر، والآخر من نهاية الركبة إلى قفاها.

والحاصل: أنه لا يجوز للأم أن ترى من بنتها، ولا البنت أن ترى من أمها ولا الأخت أن ترى من أختها، ولا للمرأة أن ترى من عمتها أو خالتها، أو بنت أختها أو بنت أخيها، أو إحدى النساء، قريباتٍ كنَّ أو أجنبيات شيئاً ما بين السرة والركبة، لا في الحمام ولا في غيره، ولا وقت خلع الثياب ولا في الاستقبالات أو الاحتفالات ولا في عمل المنزل أو تنظيفه. وإن كشفت إحداهن شيئاً عن عورتها أثمت، ولا يحل لهن النظر إليها أبداً، بل يجب عليهن الإنكار عليها ومنعها من إبداء شيء من عورتها، وإن أصرَّت على كشفها لا يجوز الجلوس معها وهي كاشفة عورتها، وقد لعن رسول الله ﷺ الناظر والمنظور إليه.

ملاحظة: (وهذا النظر إلى ما سوى السرة والركبة مُقَيَّدٌ بعدم الشهوة. قال في الفتاوى الهندية: ولا يجوز للمرأة أن تنظر إلى بطن المرأة بشهوة وذلك لأنه يؤدي إلى السحاق (والعياذ بالله تعالى) كما يؤدي نظر الذكر إلى الذكر بشهوة إلى اللواط وكلاهما حرام)[١].

والبطن: ما بين السرة والصدر، أما ما سفل عن السرة فيحرم نظره بشهوة أو بدون شهوة لأنه من العورة، وما حل للمرأة نظره من المرأة حل لها منه، بشرط أمن الفتنة، وما لا يحل نظره لا يحل منه أُمنت الفتنةُ أم لم تُؤمن، وحِلُّ مس ما فوق السرة وما تحت الركبة، إنما يجوز في غير المعانقة التي ليست معها ما يمنع اتصال الجسد بالجسد كنحو قميص ثخين أو جبة، إذ بدونه لا تحل، وكذا إفضاء الرجل إلى الرجل والمرأة إلى المرأة في ثوب واحد بأن يلتفا به جميعاً، ولو كان ما بين السرة والركبة مستوراً بحائل لقوله ﷺ: «ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة

---

(١) الفتاوى الهندية، ج٥، كتاب الحظر والإباحة، الباب الثامن.

في الثوب الواحد»[1] والمراد به التصاق الجسد بالجسد.

وقال الفقهاء: (ويكره تحريماً تقبيل الرجل فمَ الرجل أو يده أو شيئاً منه، وكذا تقبيل المرأة المرأة عند لقاء أو وداع - عن شهوة - أما لو كان على وجه البر فجائز)[2].

ثالثاً: أما الفاجرة: فلا يحل للمرأة أن تبدي أمهامها زينتها، لذلك قالوا: ولا ينبغي للمرأة الصالحة أن تنظر إليها المرأة الفاجرة، لأنها تصفها عند الرجال فلا تضع جلبابها وخمارها عندها.

رابعاً: أما الكافرة: فهي كالرجل الأجنبي لا يحل للمرأة المسلمة أن تنكشف بين يديها إلا للضرورة فترى الوجه والكفين فقط، لقوله **تعالى**: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾ [النور]، قال في رد المحتار في تفسير الآية الكريمة: (قال في غاية البيان وقوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: الحرائر المسلمات، لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية، وقال ابن العماد: لا يحل للمسلمة أن تنكشف بين يدي يهودية أو نصرانية أو مشركة إلا أن تكون أمة لها)[3]، وقال ابن كثير: (قوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني: تظهر بزينتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لئلا تصفهن لرجالهن، وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء، إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد فإنهن لا يمنعهن في ذلك مانع، فأما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه، وقد قال سيدنا رسول الله ﷺ: «ولا تباشر المرأة المرأة تعنتها لزوجها كأنه ينظر إليها»[4].

وروى سعيد بن منصور في سننه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي عبيدة رضي الله عنهما: أما بعد.. فإنه بلغني أن نساء من نساء المسلمين يدخلن

---

(١) سنن البيهقي، كتاب النكاح، باب ما جاء في الرجل ينظر إلى عورة الرجل والمرأة تنظر إلى عورة المرأة، ص٢٧٩٩، ج١٠، رقم ١٣٨٦٠.

(٢) رد المحتار، كتاب الحظر، فصل النظر والمس، ج٥، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٣) رد المحتار، فصل الحظر والإباحة، ج٥.

(٤) مسند أحمد، كتاب تتمة مسند عبد الله بن مسعود، باب تتمة منذ عبد الله بن مسعود، ص١٨، ج٢، رقم ٤٢١٧.

الحمامات مع نساء أهل الشرك، فإنه لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها، وقال مجاهد في قوله ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ قال نساؤهن: المسلمات، ليس المشركات من نسائهن، وليس للمرأة المسلمة أن تنكشف بين يدي مشركة.

(وروى عبد الله في تفسيره عن الكلبي عن ابن عباس ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ قال: هن المسلمات لا تبديه ليهودية ولا نصرانية وهو النحر والقرط والوشاح وما لا يحل أن يراه إلا محرم)[١]، وروى سعيد عن مجاهد قال: لا تضع المسلمة خمارها عند المشركة لأن الله تعالى قال: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ فليست من نسائهن، وفي أحكام القرآن للجصاص: (﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ أراد بهن الحرائر المسلمات)[٢]، وفي تفسير الخازن ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: المؤمنات من أهل دينهن، أراد به أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلى ما بين السرة والركبة، ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الذمية أو الكافرة، لأن الله تعالى قال: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ والذمية الكافرة ليست من نسائنا، ولأنها أجنبية في الدين، فكانت أبعد من الرجل الأجنبي)[٣].

وإذا جاز للمرأة أن تنظر المرأة في تلك الحدود المذكورة، فلا يجوز لها أن تصف ما رأت منها لزوجها أو قريبها الأجنبي، إلا إذا كان خاطباً يريد نكاحها، فيجوز الوصف، لأن الناظر جائز للخاطب فلأن يجوز الوصف أولى، والأصل في تحريم ذلك قوله ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير، سورة النور، ج٣.

(٢) أحكام القرآن، الجصاص، ج٣، سورة النور.

(٣) تفسير الخازن، ج٣، سورة النور.

(٤) مسند أحمد، كتاب تتمة مسند عبد الله بن مسعود، باب تتمة مسند عبد الله بن مسعود، ص١٨، ج٢، رقم ٤٢١٧.

المبحث الثاني
عورة المرأة بالنسبة للرجل

وتختلف عورة المرأة بالنسبة للرجل، باختلاف الرجل الناظر:

إما أن يكون زوجاً.

أو أن يكون قريباً محرماً.

أو أن يكون قريباً غير محرم.

أو أن يكون أجنبياً.

القسم الأول: عورة المرأة بالنسبة لزوجها:

أما المرأة بالنسبة لزوجها فليس لها عورة، وله أن يرى منها كل شيء من فرقها إلى قدمها بشهوة أو بدون شهوة، لأنه لما جاز المس والغشيان، فلأن يجوز ما دونهما وهو النظر إلى جميع بدنها أولى، إلا أن الأولى أن لا ينظر كل منهما إلى عورة الآخر، لقوله ﷺ: «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ما استطاع ولا يتجردان تجرد العير»[1].

ولما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (قبض رسول الله ﷺ ولم ير مني ولم أر منه)[2]، ولأن النظر إلى الفرج يورث النسيان وضعف البصر، ولا بأس بأن يتجردا في البيت للحاجة الزوجية إذا كان صغيراً مقدار خمسة أذرع أو عشرة، ولكن الأولى عدم التجرد لقوله ﷺ: «إن الله تعالى حيي ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»[3]، وقوله ﷺ: «إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط، وحين

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب التستر عند الجماع، ص٦١٨، ج١، رقم ١٩٢١.
(٢) فتح القدير، كتاب الحظر، فصل النظر، ج٨.
(٣) سنن أبو داود، كتاب الحمام، باب النهي عن التعري، ص٣٩، ج٤، رقم ٤٠١٢.

يفضي الرجل إلى أهله فاستحيوهم وأكرموهم»[(١)]، وكل ما حَلَّ نظره منها حل مسه وهي كذلك.

وجواز النظر والمس هذا مقيد بحال طُهرها من حيض أو نفاس، أما إذا كانت الزوجة حائضاً أو نفساء فيحرم على زوجها نظره إلى ما بين سرتها وركبتها بشهوة، ويحرم مسه لها في هذا الموضع بأي عضو من أعضائه بشهوة أو بدون شهوة ولو بإصبعه.

ويحرم عليها أن تُمكِّنه من مسها في هذا الموضع حال حيضها أو نفاسها إلا إذ كانت مؤتزرة بإزار ثخين يمنع الإحساس بالحرارة فله مسها فوق الإزار، والمراد بالاتزار: أن تشد إزاراً يستر من سرتها إلى الركبة، وهذه الحرمة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۝٢٢٢﴾ [البقرة]، فقد أجمع العلماء على حرمة إتيان الحائض في محل الدم، وأجمعوا على جواز مباشرتها فيما فوق السرة وما تحت الركبة بأي عضو من أعضائه والمباشرة: هي التقاء البشرتين.

وأما ما بين السرة والركبة (ما عدا الفرج) فقد قال بحرمة مسه والاستمتاع به (الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله تعالى) وهو قول أكثر العلماء منهم سعيد بن المسيب وشريح وطاووس وعطاء وسليمان بن يسار وقتادة وهو المروي عن عمر بن الخطاب وابن عباس والأوزاعي، لما ثبت في الصحيحين عن ميمونة بنت الحارث الهلالية قالت: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض، وعن عبد الله بن سعد الأنصاري أنه سأل رسول الله ﷺ: ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟ قال ﷺ: «ما فوق الإزار»[(٢)].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن نفراً من أهل العراق سألوه عما يحل لزوج الحائض منها وغير ذلك، فقال: سألت عنه رسول الله ﷺ فقال: «لك منها ما فوق الإزار

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الاستتار عند الجماع، ص١١٢، ج٥، رقم ٢٨٠٠.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب المذي، ص٥٥، ج١، رقم ٢١٣.

وليس لك ما تحته»[1]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ: (يأمر إحدانا إذا كانت حائضاً أن تتزر ثم يضاجعها زوجها)[2].

ومحل الحرمة الأصلي هو محل الدم، وإنما حرم الاستمتاع فيما بين السرة والركبة مخافة الوقوع في الكبيرة، فهو من باب سد الذرائع إلى المحرم، قال الشوكاني: القول بالتحريم سد للذريعة لما كان الحَومُ حول الحمى مظنة الوقوع فيه لما ثبت في الصحيحين قوله ﷺ: «من رتع حول الحمى يوشك أن يواقعه»[3])[4]، وقال القرطبي: (مباشرة الحائض وهي متزرة على الاحتياط والقطع للذريعة، ولأنه لو أباح فخذيها كان ذلك منه ذريعة إلى موضع الدم بإجماع، فأمر بذلك احتياطاً والمحرم نفسه موضع الدم)[5].

ويشير إلى هذا ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يأمرنا في فور حيضتنا أن نتزر ثم يباشرنا، وأيكم يملك إربه كما كان رسولُ الله ﷺ يملكُ إربه)[6]، وما روي عن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله ﷺ عما يحل من امرأتي وهي حائض؟ قال ﷺ: «ما فوق الإزار، والتعفف عن ذلك أفضل»[7]. وقولنا بالحرمة سداً للذريعة لا يعني الجواز، ولو تأكدنا عدم الوقوع من المحرم الأصلي لما روينا من الأحاديث، وكمصافحة المرأة الأجنبية والخلوة بها لا تجوزان، ولو تأكد عدم الوقوع في الزنا فهما محرمان، ولما كان النظر إلى ما بين السرة والركبة بشهوة في حال الحيض قد يؤدي إلى المحظور الأكبر كاللمس، قالوا بحرمته كذلك.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب المذي، ص٥٥، ج١، رقم ٢١٣، ورد في أحكام القرآن للجصاص، تفسير آية الحيض.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في الرجل يصيب منها ما دون الجماع، ص٧٠، ج١، رقم ٢٦٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين، ص٧٢٣، ج٢، رقم ١٩٤٦.

(٤) نيل الأوطار، باب تحريم وطء الحائض، ج١.

(٥) تفسير البقرة، آي الحيض.

(٦) مستدرك الحاكم، كتاب الطهارة، باب كتاب الطهارة، ص٢٧٩، ج١، رقم ٦١٤.

(٧) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب المذي، ص٥٥، ج١، رقم ٢١٣.

فللزوج إذن الاستمتاع من زوجته حال حيضها أو نفاسها بما فوق السرة، وما تحت الركبة بحائل وبدون حائل، أما ما بين السرة والركبة فإن كانت قد وضعت حائلاً كالإزار الثخين فله التمتع من فوق الحائل دون جماع، وإن لم يكن حائل فحرام قربانها.

القسم الثاني: عورة المرأة بالنسبة لقريبها المحرم:

وأما القريب المحرم فيحل له أن يرى من محارمه النساء الصدر وما فوق، وما تحت الركبتين إن أمن شهوته وشهوتها وإلا فلا، أما ما بين الصدر والركبة فعورة.

والقريب المحرم: هو كل مَنْ لا يحل له نكاحها أبداً سواء كانت الحرمة بنسب أو رضاع أم بسبب مصاهرة، وحد الصدر: يبتدىء من أسفل عظم القص حيث ينتهي ما لان من أعلى البطن، فظهر من هذا أنه يباح للرجل النظر من ذوات محارمه إلى مواضع زينتها الظاهرة والباطنة وهي: (الرأس والشعر والعنق والصدر والأذن والعضد والساعد والكف والساق والرجل والوجه والثدي).

فالرأس: موضع التاج أو الإكليل (والإكليل بالكسر التاج وشبه عصابة تزين بالجواهر، وجمعه أكاليل)[1].

والشعر: موضع العقاص (العقص والعقاص: سير يجمع به الشعر، ومثل خيوط سود تصل به المرأة شعرها)[2].

والعنق: موضع القلادة (وهو ما جعل في العنق ويسميه العامة طوقاً ويكون من الذهب وغيره)[3].

والصدر: موضع الوشاح (وهو كرسان - قلادتان - من لؤلؤ وجوهر منظومتان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، وأديم - قطعة جلد عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها)[4].

---

(١) من القاموس المحيط.

(٢) رد المحتار.

(٣) القاموس المحيط.

(٤) القاموس المحيط.

والأذن: موضع القرط (الحلق في الأذن كما يسميها العامة، وهي ما يعلق بشحمتها).

والعضد: موضع الدملوج (وهو كعصفور، والدملج مقصود منه وهو من حلي العضد)[1].

والساعد: موضع السوار.

والكف: موضع الخاتم والخضاب.

والساق: موضع الخلخال.

والقدم: موضع الخضاب.

والوجه: موضع الكحل.

والثدي من الصدر.

ولا يحل نظره إلى البطن والظهر والفخذ مع ما يتبعها من الجنبين والفرجين والأليتين والركبتين والبطن (ما لان من المقدم الأمام)، والظهر ما قابل البطن من تحت الصدر إلى السرة وما قابله من القفا ليس من العورة، وإن الثدي أيضاً غير عورة، والجنبان: ما بين الظهر والبطن على الجانبين، والأوجه أن ما يلي البطن تَبعٌ له وما يلي الظهر تبع له.

والأصل في جواز نظر المحارم من المرأة إلى مواضع زينتها الظاهرة والباطنة وذلك من قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور]، وتلك المذكورات مواضع الزينة بخلاف ما بين السرة والركبة، فإنه عورة من المرأة إلى المرأة لما مر من الأحاديث، فلأن يكون عورة من المرأة بالنسبة إلى محرمها أولى، ولأنه ليس من مواضع الزينة، وبخلاف الظهر والبطن والجنبين فإنها عورة كذلك، وهي ليست من مواضع الزينة، والدليل على أن ظهر المحرم عورة لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ ﴾ [المجادلة].

والظهار: أن يقول لزوجته: هي عليه كظهر أمه، فتحرم عليه حتى يُكفِّر، ولو لم يكن

---

(١) رد المحتار.

ظهر الأم محرماً عليه نَظَرهُ ومَسُّه لما حرمت عليه زوجته، ومثل الأم سائر المحارم، وإذا ثبت حرمة الظهر فالبطن أولى لأن الفتنة والشهوة فيه أكثر، قال أبو بكر الجصاص في تفسير الآية: (نص الله تعالى على حكم الظهار، وهو أن يقول: أنت عليَّ كظهر أمي، والظهر مما لا يُباح النظر إليه)[1].

وقال في تتمة «فتح القدير» نقلاً عن صاحب المحيط: (ولا يحل أن ينظر إلى بطنها ولا إلى ظهرها ولا إلى جنبها، ولا يمس شيئاً من ذلك، والوجه فيه أن الله تعالى سمى الظهار في كتابه منكراً من القول وزوراً، ثم قال: ولولا أن ظهرها يحرم عليه نظراً ومساً لما سمي الظهار منكراً من القول وزوراً، وإذا ثبت هذا في الظهر ثبت في البطن والجنبين)[2].

وقال في «الاختيار»: (ولا يجوز النظر من هؤلاء - يعني المحارم - إلى ما بين السرة حتى يجاوز الركبة لأنه عورة، ولا إلى الظهر والبطن، لأن حكم الظهار إنما يثبت لتشبيهه بظهر الأم، فلولا حرمةُ ظهرها لما ثبت حرمة الزوجية، كما إذا شبهها بيدها أو رجليها، وإذا ثبت حرمة الظهر فالبطن أولى، لأن الشهوة فيها أكثر فكانت أولى بالتحريم، ولأن ذلك ليس موضع الزينة)[3]، وكذلك في «اللباب مع المتن» قال: (ولا ينظر إلى ظهرها وبطنها، لأن الله تعالى حرم المرأة إذ أشبهها بظهر الأم، فلولا أن النظر إليه حرام لما حرمت المرأة بالتشبيه به، وإذا حرم النظر إلى الظهر فالبطن أولى لأنه أدعى للشهوة)[4].

وما حَلَّ نظره في محارمه حَلَّ مَسُّه، إذا أمن الشهوة على نفسه وعليها لأنه ﷺ كان يقبِّل رأس السيدة فاطمة رضي الله عنها، وورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً ودلاً وحديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة كرَّم الله وجهها كانت إذا دخلت عليه قام إليها، فأخذ بيدها وقبَّلها وأجلسها في مجلسه، وكان ﷺ إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها)[5].

---

(١) محمد علي السايس، تفسير آيات الأحكام، ج٣، سورة المجادلة.

(٢) فتح القدير، فصل النظر، كتاب الحظر.

(٣) الاختيار لتعليل المختار، ج٤، كتاب الكراهية.

(٤) اللباب في شرح الكتاب، ج٣، كتاب الحظر والإباحة.

(٥) مصطفى ديب البغا، مختصر سنن أبي داود، كتاب الأدب، ص٧٤٧، رقم ٥٢١٧.

(وإن لم يأمن ذلك بأن خاف الشهوة على نفسه أو عليها، أو شك، فلا يحلُّ له النظر ولا المس، وكذا ما حَلَّ مَسُّه من محارمه حل غمزه (تدليكه) على البشرة أو فوق الثوب، فللابن أن يغمز والدته إلى الساق خدمة لها بشرط أمن الشهوة، أما ما لا يحل نظره منهن فيحرم مسه مباشرة، ويكره تحريماً غمزه وراء الثياب، فلا يغمز الرجل فخذ أمه ولا بطنها ولا ظهرها ولو من وراء ثوبها)[1].

القسم الثالث: عورة المرأة بالنسبة لقريبها غير المحرم والأجنبي:

الرجل غير المحرم والأجنبي سواء، لا يحل لهما أن يريا من المرأة شيئاً إلا وجهها وكفيها فقط للضرورة.

والقريب غير المحرم: هو كل من يحل للمرأة الزواج منه كابن العم وابن العمة وابن الخال وابن الخالة، وكذا سائر أقاربها من النسب غير المحارم، وكابن العم رضاعاً وابن العمة وابن الخال وابن الخالة من الرضاع، وأخي الأخت من الرضاع وغيرهم ممن ليس محرماً رضاعاً، وكزوج الأخت وزوج الخالة وزوج العمة، وأخي الزوج وابن أخي الزوج وعم الزوج وخال الزوج وأبنائهم، وابن أخت الزوج وغيرهم ممن ليس محرماً بسبب المصاهرة.

والأجنبي: من ليس بينه وبينها أي صلة قرابة سببه رضاع أو نسب، فهؤلاء لا ينظرون من المرأة شيئاً إلا الوجه والكفين، إذا كانت هناك ضرورة معتبرة شرعاً، أما إذا لم تكن ضرورة شرعية فالنظر إلى وجه المرأة حرام إن كان بشهوة، ومكروه تحريماً إن لم يكن بشهوة.

قال في رد المحتار: (النظر إلى وجه الأجنبية ليس بحرام، ولكنه يكره لقدر الحاجة، واستظهر في رد المحتار أن الكراهية حاصلة ولو بلا شهوة، وإن كان عن شهوة حرام، وقيل: فمنع (أي النظر إلى الوجه) من الشابة في زماننا لأنه ليس عورة بل لخوف الفتنة)[2].

وقولهم: إن الوجه ليس بعورة، لا يعني النظر إليه ولو بلا شهوة، أو بلا حاجة، وقال

---

(١) محمد بشير الشقفة، حكم العورة في الإسلام، ص٤٨.

(٢) رد المحتار، ج٥، فصل النظر واللمس، الفتاوى الهندية، ج٥.

في «الرد» ومنه: وينظر من الأجنبية إلى وجهها وكفيها فقط، للضرورة، فإن خاف الشهوة أو شك امتنع نظره إلى وجهها وكفيها، فَحِلُّ النظرِ مقيدٌ بعدم الشهوة، وإلا فحرام، وهذا في زمانهم، وأما في زماننا فمنع من الشابة، وقال السرخسي: (حرمة النظر لخوف الفتنة، وخوف الفتنة في النظر إلى وجهها، وعامة محاسنها في وجهها أكثر منه إلى سائر الأعضاء.. إلخ)[1].

وهناك أحاديث عدة في تحريم النظر ووجوب غض البصر: عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء، وويل للنساء من الرجال»[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النظرةُ سهم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»[3]، وقال البيهقي: إنما أراد إنْ صح - والله تعالى أعلم - أن يقع بصره عليها من غير قصد فيصرف بصره تورعاً)[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «العينان تزنيان واللسان يزني واليدان تزنيان والرجلان تزنيان ويُحقِّقُ ذلك الفرج أو يكذبه»[5]، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حرمت النار على عين غَضَّتْ عن محارم الله»[6].

وحاصل القول أن وجه المرأة ليس بعورة في الصلاة، وعورة بالنسبة للأجانب من حيث حرمة النظر إليه خارج الصلاة إذا خيفت الفتنة، فيستحب على المرأة ستره أمام من مَرَّ ذكره، وبهذا وردت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والآثار.

---

(١) شمس الدين السرخسي، المبسوط، ج٨، ص١٥٢.

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب فتنة النساء، ص١٣٢٥، ج٢، رقم ٣٩٩٩.

(٣) مستدرك الحاكم، كتاب الرقاق، باب الرقاق، ص٣٤٩، ج٤، رقم ٧٨٧٥.

(٤) رواه أحمد في مسنده، كتاب أبي أمامة الباهلي، باب كتاب أبي أمامة الباهلي، ص٣٥٤، ج٦، رقم ٢١٧٧٥.

(٥) صحيح ابن حبان، كتاب الحدود، باب الزنى وحده، ص٢٦٧، ج١٠، رقم ٤٤١٩.

(٦) سنن البيهقي، كتاب السير، باب فضل الحرس في سبيل الله، ص٥٠٨، ج١٣، رقم ١٨٩٥٧.

المبحث الثالث

منع إبداء الزينة وحدودها

كان حكم غض البصر في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [النور]، وقال أيضاً: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾ [النور] موجهاً إلى كلا الصنفين - الرجل والمرأة - وهناك بعد ذلك أحكام تخص المرأة وحدها وأولها أن تجتنب إبداء الزينة إلا في دائرة معينة.

وعرفنا أن جسم المرأة كله عورة إلا وجهها وكفيها، ولا يحل لها أن تكشف عورتها ما بين السرة والركبة حتى لأبيها أو عمها أو أخيها أو ابنها، ولا يجوز للمرأة أن تكشف عورتها حتى للمرأة مثلها.

وحدود إبداء الزينة هي:

١- قد أبيح للمرأة أن تبدي زينتها للرجال الآتي ذكرهم من أقاربها (الزوج، والأب والحمو (أبو الزوج)، والأبناء، وأبناء الزوج، والأخوة وأبناء الأخت)، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

٢- وأبيح لها أن تبدي زينتها لما ملكت يمينها أي: إمائها فقال تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

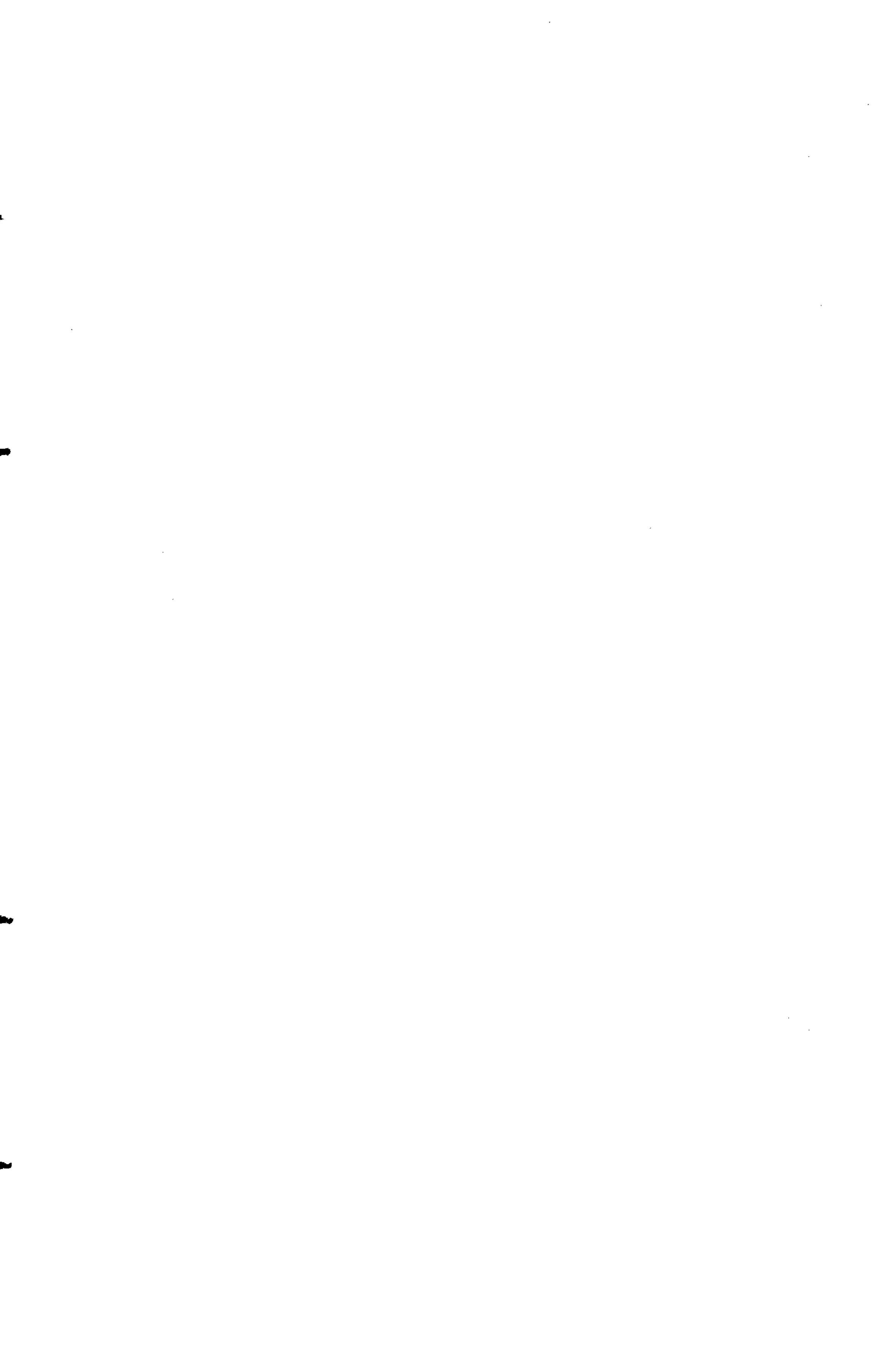
٣- ويجوز لها أن تخرج في زينتها أمام من هو تابع لها وتحت سيادتها من الرجال، وليسوا ممن يميلون إلى النساء ميلاً شهوانياً، لقوله تعالى: ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴿٣١﴾﴾[النور].

٤- ولها أن تبدي زينتها للأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء، أي الأطفال الذين لم يبعث فيهم الشعور الجنسي لقوله تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ

ٱلنِّسَآءِ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

٥- ويجوز لها أن تخرج في زينتها أمام بنات جنسها من النساء، قال الله تعالى: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

الباب الرابع
أحكام الزينة



الفصل الأول
أقسام الزينة

وفيه مبحثان:

أوضحنا أن اللباس من الزينة، وستر العورة من اللباس ومن الزينة، وهي من الطاعات لله سبحانه وتعالى، وإن العورة واجب على الإنسان ذكراً كان أم أنثى أن يسترها، وسترها بالنسبة للإنسان من العبادة والطاعة لله سبحانه وتعالى، وأوضحنا في الباب الثالث العورة وأنواعها وحدودها بالنسبة للرجل وبالنسبة للمرأة، وللصغير والصغيرة، وحتى تكتمل زينة الإنسان لا بد من ستر عورته، فلذلك بدأنا ببيان العورة وحدودها للرجل والمرأة، وقلنا إن الغاية من اللباس أمور عدة منها:

أولاً: للستر وحفظ العورة.

ثانياً: لإظهار نعمة الله على الإنسان.

ثالثاً: للزينة.

ومن خلال الآيات القرآنية الكريمة تبين لنا أن اللباس أصله زينة الإنسان، وأن الزينة من حيث إخفاؤها وإظهارها تنقسم إلى قسمين:

١- الزينة الباطنة.

٢- الزينة الظاهرة.

المبحث الأول
الزينة الباطنة

الزينة الباطنة: هي كل زينة غير ظاهرة للعيان، وتحتاج إلى من يبرزها أو يظهرها، وإبرازها أو إظهارها، لا بد أن تكون وفق شرع الله وأحكامه، والزينة لا بد أن تكون

ساترة للعورة، وإما أن تكون طاعة لله وإظهاراً لنعمة الله عليه.

والزينة التي هي غاية اللباس فكلها متممة بعضها لبعض، فيبدأ الإنسان بستر العورة، ثم ينظر إلى آثار نعم الله عليه ويتخذها زينة له، وفي ستر العورة طاعة لله وإظهار لنعمة الله عليه، وفي كشفها إغضاب لله سبحانه وتعالى، وكلنا يعلم أن العورة من الزينة الباطنة للإنسان، وبينا ما العورة وحدودها وبيَّنا أحكامها بالنسبة للرجل وبالنسبة للمرأة وللصغير والصغيرة.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى]، والتحدث بالنعم التي أنعمها الله على الإنسان أمرٌ واجب، منها نعمة اللباس، وأكد على ذلك رسولنا الكريم ﷺ بقوله: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»[1]، ومن آثار النعمة اللباس، فكل لباس يلبس لا بد فيه من مراعاة حق الله تعالى فلا يُسرف الإنسان ولا يقتر في الإنفاق على نفسه وفي لباسه، لقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف].

والزينة الباطنة لا يجوز إبداؤها للأجانب، كالخلخال والقلادة والكحل والسوار والخاتم، لأن إبداءها يستلزم من المرأة رؤية مواضعها من بدنها وقد حرَّم الله سبحانه إبداء هذه الزينة إلا إذا كان زوجاً أو محرماً، وبيَّنا ما العورة المباحة للزوج، وما العورة المباحة للأب أو الأخ أو غيرهم ممن هم محارمها وما حدود تلك العورة، وأما إذا تجاوز ذلك فإن كل ما تبديه المرأة من زينة باطنة غير ظاهرة للعيان، فهي حرام تأثمُ المرأة على إبدائها للأجانب.

قال الله تعالى: وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور] وهذا يفسر قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿ فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النور]، يلاحظ بعد التدقيق أن إظهار الزينة قد سمح بها لأناس، ومنعها عن آخرين، وسمح بإبداء الزينة في مكان، ومنع إبداءها في أمكنة أخرى، وراعى في إبداء الزينة السن وغير ذلك من الأمور، أما

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء: إن الله يحب أن يرى أثر نعمته علي عبده، ص١٢٣، ج٥، رقم ٢٨١٩.

التبرُّج فقد نهى الله تعالى عنه حتى لكبار السن من النساء، فما حقيقة التبرج؟

في الآية الأولى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾ النور]، اعتادت المرأة في الجاهلية أن تلبس في سيقانها حلية فوق الكعبين اسمها الخلخال، وكانت الفاجرات منهن يحركن أرجلهن حركة قوية في الأرض ليخرج صوت الخلخال، فينتبه الرجال إليهن ويلتفتوا لزينتهن، فكأنها تريد إغراء الرجال ليمارسوا الجنس معها إذا وافقهم هذا الجمال وارتاحوا إليه، فيكون معنى التبرج: هو إبداء الزينة بشكل ملفت للنظر، فالزينة الملفتة للنظر هي التبرج وهي المنهي عنها، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب].

فتبرج الجاهلية الأولى: هو لفت نظر الرجل لزينتهن عن طريق تحريك الخلخال، فهذا هو التبرج وهذا مفهوم التبرج، حتى النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً منهيات عن القيام بما يلفت النظر للرجال مع أن الله سبحانه وتعالى سمح لهن بإبداء الزينة ولكن ليس على وجه يلفت النظر، والزينة تطلق على كل من الثياب والأصباغ والحلي وجسم المرأة، فيكون التبرج هو لبس لباس ملفت للنظر، وكذلك وضع الأصباغ كالكحل أو ما يعرف اليوم (بالظل) أو أحمر الشفاه أو أحمر الخدود أو البودرة أو الحناء أو أصباغ الشعر أو طلاء الأظافر وبقية المساحيق والعطور، فوضع جميع هذه الأصباغ أو بعضها بشكل يلفت نظر الرجال هو التبرج، وكذلك لبس الحلي كالقرط في الأذن والعقد في الصدر والسوار في اليد والخلخال في الرجل والحلقة في الأنف بشكل يلفت النظر يعتبر تبرجاً وهو حرام.

وأخيراً إبداء أعضاء من جسم المرأة كإظهار الصدر أو السيقان أو الأذنين أو الشعر أو أكثر من ذلك أو أقل، كله يعتبر تبرجاً لأن النص ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ قد حدد الاستثناء بالوجه والكفين إلى نصف الذراع والقدمين حتى موضع الخلخال فوق الكعبين وفي نهاية الساق، فإبراز ما زاد عن ذلك حرام ولو لم يلفت نظر الرجال.

لذلك فإن ما اعتادته نساء المسلمين في العواصم العربية تشبهاً بالنساء الكافرات الغربيات، وإن كانت هذه العورات لا تلفت النظر لكثرة النساء في الشوارع والمكاتب والدوائر الحكومية وغيرها، وفي المصانع وفي كل مكان، وصارت العورات غير الجميلة أو المتوسطة غير لافتة للنظر، والذي يلفت النظر فقط هو الجمال الصارخ أو بروز معظم

جسم المرأة وما يغطي البقية كاللباس الشفاف وربما البنطلون الضيق جداً للمرأة والبلوزة الشفافة هو الملفت للنظر فقط، فهذا كله سواء كان مُلفتاً للنظر أم غير ملفت للنظر ما دام ظاهراً من جسم المرأة فهو حرام لأن جسم المرأة كله عورة ما عدا الوجه والكفين، لأن النصوص جاءت محددة تحديداً صريحاً بعدم ظهور أي جزء من المرأة باستثناء الوجه والكفين.

وقد تكون بعض حركات المرأة من الميوعة والتمايل بحيث يلفت النظر فهو تبرج وهو حرام حتى لو كانت تلبس الجلباب والخمار، وحتى لو لم تضع الكحل أو أي مسحوق على وجهها وأي عطر من أنواع العطور، فحركات الغنج للمرأة حرام.

وأما اللباس القصير فهو إن لم يكن تبرجاً فحسب، فهو يوجب الخلود في النار، إذا ما استحلَّهُ صاحبه وذلك لقول النبي ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة لخبت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»(١).

أما بالنسبة للتعطر فهو حرام بنص آخر بالإضافة إلى التبرج عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة استعطرت فمرَّت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية»(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهدن العشاء»(٣).

حتى الحذاء العالي للنساء في الكعب الرفيع الذي يجعل مشية المرأة فيها إغراء للرجال يدخل في باب الزينة الباطنة الواجب على المرأة أن لا تظهرها للرجال لأن في إظهارها تبرجاً. وعلى هذا فكلُّ زينة مكتسبة غير طبيعية تكون تبرجاً وفي التبرج نهي كما أوضحنا.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب اللباس، باب النساء والكاسيات العاريات، ص١٦٨٠، ج٣، رقم ٢١٢٨.

(٢) سنن النسائي، كتاب الزينة، باب ما يكره للنساء من الطيب، ص١٥٣، ج٨، رقم ٥١٢٦.

(٣) رواه أبو داود والنسائي.

المبحث الثاني

الزينة الظاهرة

وأما أن يكون اللباس في أصله عبادة، فالزينة الظاهرة من اللباس عبادة لله، كما في ستر العورة فقوله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ ﴾ [الأعراف] فهذا أمر للمسلم أن يلبس اللباس ليستر عورته، فإذا ستر عورته فقد أطاع الله وأن لبس الملابس الخارجية فوق العورة لقصد إظهار نعمة الله عليه التي هي زينة للمسلم فهي أيضاً عبادة لله وطاعة، إلا أن تكون محرمة، أو يقصد بها الشهرة والتكبر على الناس أو تكون بإسراف بالغ.

وأوضحنا أن الزينة أنواع، منها الزينة الخلقية البدنية وهي الصفات التي خلق عليها الإنسان التي ميزته على سائر المخلوقات، والتي يعرف بها مثل خلق القامة والقوام والعينين واللسان والوجه، بشكل يختلف فيه عن سائر المخلوقات الأخرى، وتميزه بها وإن كانت في بعضها مشتركة مع الحيوان، إلا أن الصفات الآدمية متميزة عن صفات الحيوان، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝﴾ [البلد]، فهذه من الزينة الظاهرة للإنسان ومما تميز به على سائر المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ [الذاريات].

نأتي إلى الغاية الثانية من اللباس وهي إظهار نعمة الله على الإنسان من خلال اللباس، فلا بد للإنسان أن يلبس اللباس الذي حدده الشارع له، وأن يحرص في لباسه على معرفة الحلال والحرام فيعرف الحلال منه ويتبعه ويعرف الحرام فيجتنبه.

وبيّنا في العورة ما الحلال منها ولمن تكون؟ وما الحرام، وهذه من الزينة الباطنة للإنسان، نأتي إلى الزينة الظاهرة لنتعرف على الحلال والحرام من اللباس لقوله ﷺ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»[1]، فأثر النعمة يظهر من خلال اللباس الذي يلبسه الإنسان فلا إسراف في اللباس ولا تقتير لقوله تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ

---

(١) مسند أحمد، مسند أبي هريرة، باب مسند أبي هريرة، ص٥٩٩، ج٢، رقم ٨٠٤٥.

مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف]، فالإسراف يكون في شراء الباهظ الثمن من اللباس، يتعالى فيه على الناس تكبراً وخيلاء، وهذا مما نهى عنه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال ﷺ: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ ثوبه خيلاء»(١).

فزينة اللباس هي التواضع، فعلى الإنسان أن يحرص على اختيار الملابس التي تظهر نعمة الله عليه، والتي يكون فيها الرضى والقبول لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى] فأثر النعمة يظهر من خلال اللباس الذي يلبسه الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان] أي: وأتم عليكم أيها الناس نعمه العديدة، الظاهرة والمرئية، كنعمة السمع والبصر والصحة والإسلام، والباطنة الخفية كالقلب والعقل والفهم والمعرفة وما أشبه ذلك، قال البيضاوي: أي أسبغ عليكم نعمه المحسوسة والمعقولة، ما تعرفونه وما لا تعرفونه.

قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل] هذا مثل ضربه الله لأهل مكة وغيرهم، بقوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فعصوا وتمردوا، فبدَّل الله نعمتهم بنقمة، كان أهلها في أمن واستقرار وسعادة ونعيم، تأتيها الخيرات والأرزاق بسعة وكثرة من كل الجهات، فلما لم يشكروا الله على ما آتاهم من خير، وما وهبهم من رزق، سلبهم الله نعمة الأمن والطمأنينة وأذاقهم آلام الخوف والجوع والحرمان بسبب كفرهم ومعاصيهم)(٢).

قال الله تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴿٥﴾ ﴾ [النحل] (أي: وخلق الأنعام لمصالحكم وهي الإبل والبقر والغنم، ولكم فيها ما تستدفئون به من البرد مما تلبسون وتفترشون من الأصواف والأوبار)(٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، ص٢١٨١، ج٥، رقم ٥٤٤٦.

(٢) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج٢، سورة النحل.

(٣) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج٢، سورة النحل.

الفصل الثاني
أحكام الزينة

وفيه أربعة مباحث:

الزينة كما عرفنا عبادة لله سبحانه وتعالى، ولا تكون عبادة إلا بالنية، وذلك بأن ينوي المسلم فعل ذلك لله تعالى حتى يخرج من كونه عادة إلى كونه عبادة، والنية في الزينة وما يماثلها تصح متقدمة وهو الأفضل ومتأخرة والله أعلم.

لذلك وجب على الإنسان أن يعرف أحكام هذه العبادة حتى يؤديها على أكمل وجه، يعرف الحلال منها والحرام، وكونه واجباً أو مباحاً أو مندوباً أو مكروهاً أو حراماً.

العبادة: لغة: الطاعة، واصطلاحاً: الأمور التي فرضها الشارع على عباده، وأمر الناس بفعلها كالصلاة والصيام والزكاة والحج.

وقسمت العبادة إلى أنواع منها:

الفرض: وهو ما فرضه الله على عباده في القرآن الكريم، والذي لا يتم إسلام الإنسان إلا به كفرضية الصلاة وفرضية الصيام والحج والزكاة.

السنة: وهي أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته، فالسنة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- سنة قولية: وهي كل قول نطق به الرسول ﷺ.

٢- سنة فعلية: وهي كل أمر فعله وقام بأدائه ﷺ وأمر الناس بفعله والقيام به، وهو من متمات الإيمان يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

٣- سنة تقريرية: وهي كل أمر سمعه الرسول ﷺ أو رآه وأقره ولم ينكره فعلاً أو قولاً فيعد إقراراً بذلك.

النهي: وهو طلب الكف عن فعل، والنهي كالأمر يقتضي طلب الكف الحتمي، لأن

العرف الشرعي على أن من يترك المنهي عنه طائعاً يكون ممدوحاً، ومن لم يتركه عاصياً مذموماً لقوله تعالى: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۝٧﴾ [الحشر].

الحكم الشرعي: هو معرفة حكم الشرع فيما يتعلق بأفعال المكلفين، أو هو خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع.

وخطاب الشارع هو الوصف الذي يعطيه الشارع لما يتعلق بأفعال المكلفين، كأن يقال حرام أو مكروه أو مطلوب أو مباح أو صحيح أو باطل، والاقتضاء: هو طلب، سواء أكان طلب فعل أو طلب منع، فالحرام طلب منع، والوجوب طلب فعل لازم، أما التخيير: هو أن الشارع أجاز للمكلف أن يفعل أو لا يفعل مثل الأكل والشرب والنوم في أي وقت شاء، وأما الوضع: هو ربط أمرين ببعضهما البعض مثل الورثة بوفاة الشخص وهكذا.

ويسمى الحكم اقتضاء أو تخييراً حكماً تكليفياً، وإذا كان ربط بين أمرين حكماً وضعياً.

الحكم التكليفي: هو ما يكون بيان الشارع فيه باقتضاء طلب الفعل أو الكف عنه، أو التخيير منه، وإن قوة الطلب تختلف في اللزوم وعدم اللزوم، فإن كان طلب الفعل باللزوم كان واجباً، وإن كان طلب الفعل غير ملزم كان مندوباً، وإن كان طلب الكف لازماً كان حراماً، وإن كان طلب الكف غير لازم كان مكروهاً، والتخيير موضوعه المباح.

وعلى هذا يكون أقسام الحكم التكليفة خمسة: واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح (وهذا تقسيم الجمهور)، أما الحنفية يقسمون الحكم التكليفي إلى سبعة أقسام: فرض، واجب، مندوب، حرام، مكروه كراهة تحريم، ومكروه كراهة تنزيه، ومباح، والواجب مرادف للفرض عند الجمهور، وهو طلب على وجه اللزوم فعله، بحيث يأثم تاركه.

المبحث الأول

الزينة المفروضة

الفرض: وهو ما فرضه الله على عباده في القرآن الكريم والذي لا يتم إسلام الإنسان إلا به كفرضية الصلاة وفرضية الصيام.

وأما بالنسبة للزينة واللباس فهو ما فرضه الله على الناس من لباس لستر العورة فهو من الفرائض الواجب على المسلم التقيد بها فلا يجوز إظهار عورته، لأن الله فرض على الناس ستر العورة لقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف]، فالغاية من إنزال اللباس من عند الله تعالى هو ستر العورة، ومن هنا يظهر فرضية ستر العورة للذكر والأنثى الذي عنى به قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف] فجاءت الآية عامة وليست خاصة فهي لكل إنسان منذ بداية الخلق إلى يوم القيامة.

أما بالنسبة للمرأة فلها في لباسها فروض وردت في سورتين وثلاث آيات:

أ- لباس الرأس، قال تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور]، ولباس الرأس وهو: الخمار لنساء المسلمين عامة بما في ذلك نساء الرسول ﷺ، والضرب مبالغة في الإلقاء بغطاء الرأس على العنق والنحر والأذنين وستر جميع الشعر، والباء هنا للإلصاق.

قال ابن حجر في فتح الباري عن صفية رضي الله عنها: (ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن فقالت: إن لنساء قريش لفضلاً لكن والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً بكتاب الله وإيماناً بالتنزيل)، لقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور] فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا وقامت إلى مرطها، فأصبحن يصلين الصبح ومعتجرات كأن على رؤوسهن الغربان).

فالاختمار: هو غطاء الرأس فقط ولا يشمل غطاء الوجه، لأنه معروف أن المرأة يجب عليها أن تبدي وجهها وكفيها في الصلاة والجمع لقوله ﷺ: «لا تنتقب المرأة المحرمة

ولا تلبس القفازين»[1].

وأما غطاء الوجه (وهو الحجاب) فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ ﴾ [الأحزاب]، فقد جاءت الآية خاصة بنساء الرسول ﷺ فقد أُمرن بغطاء الوجه، فالحجاب أمر مباح بالنسبة لنساء المسلمين دون أمهات المؤمنين فهو فرض عليهن فلأي امرأة أن تختار وضع الحجاب، ولها أن تختار عدم وضع الحجاب، فالآية توضح أن الحجاب فرض مخصوص على نساء الرسول ﷺ دون نساء المؤمنين، ولأن مجمل الآيات التي قبلها والتي بعدها تتحدث عن خصوصيات زوجات الرسول ﷺ.

ولأن الأدلة على جواز كشف الوجه كثيرة منها:

حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء، وقد رواه البخاري، قالت: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ: (نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة)[2]، فتغطية الوجه يعيق هذا العمل، ويفهم منه أنهن يكشفن وجوههن لأن عمل تضميد الجرحى يقتضي الرؤيةالمباشرة وكشف الوجه، وكذلك حديث أم عمارة في غزوة حنين التي حملت خنجراً لتدافع عن نفسها وعن رسول الله ﷺ: (فلا يتصور وقوع القتال من امرأة وهي محتجبة الوجه).

وحديث أم عطية الأنصارية: (غزوت مع رسول الله سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى)[3]، وكذلك تعيين عمر بن الخطاب لامرأة اسمها الشفاء قاضية للحسبة تجوب الأسواق، وتخالف المعتدي على الحق العام، وتخالف من غش ولم ينكر واحد من الصحابة عليه ذلك فكان إجماعاً من الصحابة وهو دليل شرعي.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أبواب الإحصار وجزاء الصيد، باب ما ينهى عن الطيب للمحرم والمحرمة، ص٦٥٣، ج٢، رقم ١٧٤١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب رد النساء الجرحى والقتلى، ص١٠٥٦، ج٣، رقم ٢٧٢٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات، ص١٤٤٧، ج٣، رقم ١٨١٢.

ب- غطاء البدن حتى القدمين لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۝٥٩﴾ [الأحزاب]، الجلابيب: جمع جلباب وهو الثوب الواسع الفضفاض الذي لا يصف ولا يشف ويستر جميع البدن من الرأس حتى القدمين، ومعنى الآية: أن يرخين جانباً من خمرهن أو ثيابهن على أنفسهن وبينت الآية الغاية من اللباس وهو صون المرأة من الابتذال والامتهان بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۝٥٩﴾ [الأحزاب] لئلا يتعرض لهن إذا علم أنهن حرائر بأذى من قول.

وعن العلاّمة النيسابوري في تفسير هذه الآية: كانت النساء في أول الإسلام على عادتهن في الجاهلية متبذلات يبرزن في درع وخمار من غير فصل بين الحرة والأمة، فأمرن بلبس الأردية وستر الرأس والوجوه. ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإدناء ﴿أَدْنَىٰ﴾ وأقرب إلى ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ أنهن حرائر، أو أنهن لسن بزانيات، فإن التي سترت وجهها أولى بأن تستر عورتها.

قرر الإسلام على وجه العموم أن تدني النساء عليهن من جلابيبهن، ثم أجاز لهن بقوله ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أن يكشفن عن وجههن إذا ما اقتضته الضرورة، بشرط أن لا يقصد بذلك إظهار الجمال، بل يكون المقصود قضاء الحاجة وحده، وسد بعد ذلك أبواب الفتنة من قبل الرجال بأن أمرهم أن يغضوا من أبصارهم.

إنا إذا أمعنا النظر في حكم الحجاب، تبين لنا أن الحجاب الإسلامي ليس من باب التقاليد الجاهلية، بل هو قانون عقلي منطقي، إذ إن التقليد الجاهلي يكون جامداً لا مرونة فيه أبداً، وأيما طريقة راجت فيه وبأي صورة راجت، فلا يمكن قط أن تعدل أو تبدل، وكل ما قضي فيه بالإخفاء، فإنه يخفى ويستر في كل زمان، وعلى كل حال، وإن كان دونه هلاك النفس، وأما القانون العقلي فيكون مرناً لدناً، يميل إلى الضرورات الحقيقية، ويتسع لكل من التشديد والتخفيف حسب مقتضى الأحوال.

وقال ابن كثير في تفسير آية إدناء الجلباب: (يقول الله تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يأمر النساء المؤمنات المسلمات خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدنين عليهن من جلابيبهن - ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية، وسمات الإماء، والجلباب: هو الرداء فوق الخمار. ثم قال: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أمر الله تعالى نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن

بالجلابيب ويبدين عيناً واحداً)[1]، وقال الجصاص في تفسير آية الإدناء: (في هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجنبيين، وإظهار العفاف عند الخروج، لئلا يطمع أهل الريب فيهن، وفيها دلالة على أن الأمة ليس عليها ستر وجهها وشعرها، لأن قوله تعالى: ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ظاهر أنه أراد الحرائر، وكذا روي في التفسير لئلا يَكُنَّ مثل الإماء غير المأمورات بستر الرأس والوجه، فجعل الستر فرقاً يعرف به الحرائر من الإماء..)[2].

وقال الشيخ ابن تيمية في رسالته (حجاب المرأة) في تفسير الآية نفسها: (وأمر الله سبحانه وتعالى النساء بإرخاء الجلابيب لئلا يعرفن ثم قال: وقد ذكر عبيد السليماني وغيره أن نساء المؤمنين كن يدنين عليهن الجلابيب من فوق رؤوسهن حتى لا تظهر إلا عيونهن لأجل رؤية الطريق)[3].

---

(١) تفسير ابن كثير، سورة الأحزاب، ج٣.

(٢) تفسير آيات الأحكام للجصاص، ج٤، ص٤.

(٣) رسالة حجاب المرأة ولباسها في الصلاة وغيرها، للشيخ ابن تيمية الحراني الدمشقي.

المبحث الثاني

الزينة الواجبة

الواجب: مرادف للفرض عند الجمهور، وهو طلب على وجه اللزوم فعله، بحيث يأثم تاركه.

المسلم بوصفه مسلماً يتقيد بتعاليم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فعلى ضوئهما يعيش، وبحسبهما يتكيف في جميع شؤونه، وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۝٣٦﴾ [الأحزاب]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۝٧﴾ [الحشر]، ولقول الرسول ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»[1].

فلهذا يلتزم المسلم بالآداب الآتية في خصال الفطرة الثابتة عنه ﷺ في قوله: «خمس من الفطرة: الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشارب»[2].

١- الختان: وهو قطع الجلدة التي تغطي رأس الذكر أو الحشفة، لئلا يجتمع فيهما الوسخ، وليتمكن من الاستبراء من البول، ولئلا تنتقص لذة الجماع، هذا بالنسبة للرجل ويستحب أن يكون ذلك يوم سابع الولادة، إذ ختن النبي ﷺ كلاً من الحسن والحسين ابني فاطمة الزهراء وعلي رضي الله عنهما يوم سابع الولادة، ولا بأس أن يتأخر إلى ما قبل البلوغ، إذ ختن نبي الله إبراهيم في سن الثمانين، وقد روي عنه ﷺ: «أنه كان إذا أسلم على يديه الرجل يقول له: «ألق عنك شعر الكفر واختتن»[3].

٢- الاستحداد: وهو حلق العانة بشيء حاد كالسكين ونحوه، ولا بأس بإزالتها بالنورة، ويجزىء فيها القص والحلق والنتف.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب النجش، ص٧٥٣، ج٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب قص الشارب، ص٢٢٠٩، ج٥، رقم ٥٥٥٠.

(٣) مسند أحمد، كتاب حديث أبي كليب، ص٤٢٥، ج٤، رقم ١٥٠٠٦.

٣- نتف الإبط: فينتف المسلم شعر إبطيه، وإن لم يقدر على نتفه حلقه أو طلاه بالنورة ونحوها ليزول.

٤- تقليم الأظافر: فيقلم المسلم أظافره، ويستحب له أن يبدأ باليد اليمنى ثم اليسرى ثم الرجل اليمنى فاليسرى - إذ كان الرسول ﷺ يحب البدء باليمين في ذلك، يفعل المسلم كل هذا بنية الاقتداء برسول الله ﷺ ومتابعته ليحصل له بذلك أجر متابعة الرسول ﷺ والاستنان بسنته، إذ الأعمال بالنيات، ولكل امرىء ما نوى»[١].

٥- قص الشارب: فيجز المسلم شاربه الذي يتدلى على شفته، اختلف الأئمة في مسألة الشارب فمنهم من اعتمد على أخبار وآثار تدعو إلى إحفاء الشارب، وإحفاؤه: هو المبالغة في قصه، وعدم ترك شيء منه، وبعضهم يعتمد على آثار أخرى فيرى تقصيره وقصه من إطاره، وهو نهايته وأسفله دون إحفائه.

وقد أطال الإمام ابن القيم الحديث في كتابه «زاد المعاد» عن هذا الموضوع فنقل الحديث الصحيح: «من لم يأخذ من شاربه فليس منا»[٢]، وقوله ﷺ: «قصوا الشوارب وأرخوا اللحى، وخالفوا المجوس»[٣]. وهذان الحديثان يؤيدان أو يميلان إلى تأييد الرأي الثاني المذكور، وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: (وقَّت لنا النبي ﷺ في قص الشارب وتقليم الأظافر، وأن لا نترك أكثر من أربعين يوماً وليلة)[٤]. واختلف السلف في قص الشارب وحلقه، أيهما أفضل؟

فقال الإمام مالك في الموطأ: يؤخذ من الشارب، حتى تبدو أطراف الشفة وهو الإطار، ولا يجزه فيقتل نفسه، وذكر ابن عبد الحكم عن مالك قال: (يحفى الشارب وتعفى اللحى)، ورأى أن يؤدب من حلق شاربه، وأما اللحية فيوفرها حتى تملأ وجهه،

---

(١) أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، ص١٥٣-١٥٤.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء في قص الشارب، ص٩٣، ج٥، رقم ٢٧٦١.

(٣) شعب الإيمان، كتاب الأربعون من شعب الإيمان، باب فصل في الأخذ باللحية والشارب، ص٢١٩، ج٥، رقم ٦٤٣٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ص٢٢٢، ج١، رقم ٢٥٨.

لقول الرسول ﷺ: «جزوا الشوارب وأرخوا اللحى وخالفوا المجوس»[1]، وقوله ﷺ: «أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى»[2] بمعنى وفروها وكثروها فيحرم بهذا حلقها، ويتجنب القزع: وهو حلق بعض الرأس وترك البعض لقول عمر رضي الله عنهما: «نهى رسول الله ﷺ عن القزع»[3].

٦- إعفاء اللحى: روى الإمام البخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب»[4]، وتوفيرهما هو إعفاؤهما كما في رواية أخرى (أي: تركها وإبقاؤها). فقد بيَّن الحديث علة هذا الأمر وهو مخالفة المشركين، والمراد بهم المجوس عبَّاد النار. فقد كانوا يقصون لحاهم ومنهم من كان يحلقها، وإنما أمر الرسول ﷺ بمخالفتهم، ليربي المسلمين على استقلال الشخصية، والتميز في المعنى والصورة والمخبر والمظهر، فضلاً مما في حلق اللحى من تمرد على الفطرة، وتشبه بالنساء إذ اللحية من تمام الرجولة ودلائلها المميزة.

وليس المراد بإعفائها ألاَّ يأخذ منها شيئاً أصلاً، فذلك قد يؤدي إلى طولها طولاً فاحشاً يتأذى به صاحبها، بل يأخذ من طولها وعرضها كما في حديث عند الترمذي. وكما كان يفعل بعض السلف، قال عياض: يكره حلق اللحية وقصها وتحذيفها (أي: تقصيرها وتسويتها)، وأما الأخذ من طولها وعرضها إذا عظمت فحسن، وقال أبو شامة: وقد حدث قوم يحلقون لحاهم، وهو أشهر ما نقل عن المجوس أنهم كانوا يقصونها.

بل أصبح الجمهور الأعظم من المسلمين يحلقون لحاهم تقليداً لأعداء دينهم، ومستعمري بلادهم من النصارى واليهود، كما يولع المغلوب دائماً بتقليد الغالب، غافلين عن أمر الرسول الكريم ﷺ بمخالفة الكفار، ونهيه عن التشبه بهم فإن: «من تشبه بقوم فهو منهم»[5].

نص كثير من الفقهاء على تحريم حلق اللحى مستدلين بأمر الرسول بإعفائها، والأصل

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ص٢٢٢، ج١، رقم ٢٦٠.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ص٢٢٢، ج١، رقم ٢٥٩.
(٣) صحيح البخاري، كتاب اللباس، ص٢٢١٤، ج٥، رقم ٥٥٧٦.
(٤) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، ص٢٢٠٩، ج٥، رقم ٥٥٥٣.
(٥) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، ص٤٤، ج٤، رقم ٤٠٣١.

آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة»[1]، وإن وفر المسلم شعر رأسه، ولم يحلقه أكرمه بالدهن والتسريح، لقول الرسول ﷺ: «من كان له شعر فليكرمه»[2].

كما يتجنب صبغ لحيته بالسواد لقوله ﷺ لما جيء بوالد أبي بكر الصديق يوم فتح مكة وكأن رأسه ثغامة بياضاً: «اذهبوا به إلى بعض نسائه فليغيرنه بشيء وجَنِّبوه السواد»، أما الصبغ بالحناء والكتم فيستحسن الخضاب بهما.

٣- لبس اللباس الحسن: لحديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «من اغتسل يوم الجمعة، واستن ومَسَّ من طيب إن كان عنده، ولبس أحسن الثياب، ثم جاء إلى المسجد ولم يتخط رقاب الناس، ثم ركع ما شاء الله أن يركع، ثم أنصت إذا خرج إمامه، حتى يصلي كانت كفارة لما بينهما وبين الجمعة التي كانت قبلها»[3]، يقول أبو هريرة: (ثلاثة أيام وزيادة، إن الله قد جعل الحسنة بعشر أمثالها). وقوله ﷺ: «على كل محتلم الغسل يوم الجمعة، ويلبس صالح ثيابه، وإن كان له طيب مس منه»[4]، ويستحسن أن يجعل المسلم له ثوباً خاصاً يوم الجمعة، لحديث رسول الله ﷺ: «ما على أحدكم إن وجد أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته»[5].

٤- التسوك: فعلى المسلم إذا أراد الخروج للمسجد يوم الجمعة أن يتسوك لحديث رسول الله ﷺ: قال في جمعة من الجمع: «يا معشر المسلمين إن هذا يوم جعله الله عيداً للمسلمين، فاغتسلوا ومن كان عنده طيب فلا يضره أن يمس منه وعليكم بالسواك»[6].

٥- لباس يوم العيد: فعلى المسلم الغسل والتطيب ولبس الجميل من الثياب لقول

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب ما جاء في خضاب السواد، ص٨٧، ج٤، رقم ٤٢١٢.
(٢) سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب في إصلاح الشعر، ص٧٦، ج٤، رقم ٤١٦٣.
(٣) صحيح ابن حبان، كتاب الصلاة، باب صلاة الجمعة، ص١٦، ج٧، رقم ٢٧٧٨.
(٤) مسند الإمام أحمد، مسند أبي سعيد الخدري، باب مسند أبي سعيد الخدري، ص٤٧٤، ج٣، رقم ١١٢٣١.
(٥) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب اللبس للجمعة، ص٢٨٢، ج١، رقم ١٠٧٨.
(٦) موطأ مالك، كتاب الصلاة، باب ما جاء في السواك، ص٦٥، ج١، رقم ١٤٤.

في الأمر الوجوب، وخاصة أنه علل بمخالفة الكفار ومخالفتهم واجبة، ولم ينقل أحد من السلف أنه ترك هذا الواجب قط، وبعض علماء العصر يبيحون حلقها تأثراً بالواقع، وإذعاناً لما عمت به البلوى، ولكنهم يقولون إن إعفاء اللحية من الأفعال العادية للرسول ﷺ، وليست من أمور الشرع التي يتعبد بها، والحق أن إعفاء اللحية لم يثبت بفعل الرسول ﷺ وحده، بل بأمره الصريح المعلل بمخالفة الكفار، وقد قرر ابن تيمية بحق أن مخالفتهم أمر مقصود للشارع، والمشابهة في الظاهر تُورثُ مودةً ومحبة وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة.

وقال: وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار، والنهي عن مشابهتهم في الجملة، وما كان مظنة الفساد خفي غير منضبط، علق الحكم به ودار التحريمُ عليه، فمشابهتهم في الظاهر سبب لمشابهتهم في الأخلاق والأفعال المذمومة، بل في نفس الاعتقادات، وتأثير ذلك لا ينضبط، ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر، وقد يتعسر أو يتعذر زواله، وكل ما كان سبباً إلى الفساد فالشارع يحرمه..

وبهذا نرى أن في حلق اللحية ثلاثة أقوال:

القول الأول: قولٌ بالتحريم، وهذا الذي ذكره ابن تيمية وغيره.

القول الثاني: قول بالكراهة، وهو الذي ذكره في «الفتح» عن عياض، ولم يذكره في غيره.

القول الثالث: قول بالإباحة، وهو الذي يقول به بعض علماء العصر، ولعل أوسطها وأقربها وأعدلها - وهو الذي يقول بالكراهة - فإن الأمر لا يدل على الوجوب جزماً، وإن علِّل بمخالفة الكفار، وأقرب مثل على ذلك هو الأمر بصبغ الشيب مخالفة لليهود والنصارى، فإن بعض الصحابة لم يصبغوا، فدل على أن الأمر للاستحباب، صحيح أنه لم ينقل عن أحد من السلف حلق اللحية، ولعل ذلك لأنه لم تكن بهم حاجة لحلقها وهي عادتهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون قوم يخضبون في

أنس رضي الله عنه: (أمرنا رسول الله ﷺ في العيدين أن نلبس أجود ما نجد، وأن نتطيب بأجود ما نجد، وأن نضحي بأثمن ما نجد)[1]، وكان رسول الله ﷺ يلبس بردة حبرة في كل عيد، وكان يَعتمُّ في كل عيد لما ورد أن النبي ﷺ خطب الناس وعليه عمامة سوداء.

كما أباح الإسلام للمرأة أن تخرج إلى صلاة الجمعة والعيدين، ولكن في حدود الحشمة والوقار وعدم الفتنة أو إظهار الزينة، عن أم عطية رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضاحي: العوائق والحُيَّض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قلت: يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: «لِتُلْبسها أختها من جلبابها»[2].

ومعنى العوائق: جمع عائق، وهي الشابة أول ما تدرك وقيل التي قاربت البلوغ.

والحيض: جمع حائض، وهي التي نزل منها الدم المعروف.

والخدور: جمع خدر - بكسر الخاء -: وهو الناحية من البيت كان يجعل عليها ستر فتكون فيه الجارية البكر، فذات الخدر الجارية البكر.

---

(١) مستدرك الحاكم، كتاب الأضاحي، باب الأضاحي، ص٢٥٦، ج٤، رقم ٧٥٦٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين، ص٦٠٦، ج٢، رقم ٨٩٠.

المبحث الثالث

الزينة المباحة

السماح: هو ما خَيَّر الشارع المكلفَ فيه بين الفعلِ أو الترك، فله أن يفعل أو لا يفعل، ولا يمدح على فعله ولا على تركه.

ومما يستحب من اللباس:

١- أن يكون لباسه موافقاً للشرع وموافقاً لأقرانه، ولا يلبس لباساً مرتفعاً جداً ولا رديئاً جداً، فإنه لو فعل ذلك ارتكب النهي وأوقع الناسَ في غيبته، وروي عن رسول الله ﷺ: «أنه نهى عن الشهرتين في اللباس المرتفعة جداً والمنخفضة جداً»[١].

وقال الشعبي: (البس من الثياب ما لا يزدريك به السفهاء، ولا يعيبك به الفقهاء)، وقال محمد بن سيرين: كانت الشهرة في تطويل الثياب، ثم صارت الشهرة في تجويدها، واختار بعض الناس الاقتصار في اللباس. لما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خرج إلى الأسواق مع قنبر، فاشترى قميصين غليظين، فخير قنبراً، فأخذ قنبر أحدهما ولبس الآخر بنفسه، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه أتي بقميص فأمر بقطع ما فضل عن كُمَّيْهِ، وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: (اخشوشنوا واخلولقوا وتمعددوا، واجعلوا الرأس رأسين - يعني - البسوا الخشن والخلق، وتشبهوا بمعد، اجعلوا مكان العيد عيدين)[٢].

٢- لبس البيض من الثياب: ويستحب لبس البيض من الثياب لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وخير ثيابكم البيض البسوها، وكفنوا بها موتاكم»[٣].

---

(١) شعب الإيمان، كتاب الأربعون من شعب الإيمان، باب فضل في كراهية لبس الشهرة، ص١٦٩، ج٥، رقم ٦٢٢٩.

(٢) مصنف عبد الرزاق، كتاب الجامع، باب التنعم والسمن، ص٨٥، ج١١، رقم ١٩٩٩٤.

(٣) أبو يعلى، مسند ابن عباس، باب مسند ابن عباس، ص١١٣، ج٥، رقم ٢٧٢٧.

٣- نقاء الثياب: يستحب للرجل إذا كان ذا مروءة، وكان ذا علم أن تكون ثيابه عليه نقية من غير كبر، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (من حسب المرء نقاء ثوبه)، وروي عن النبي ﷺ: «ما على الرجل أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته»[1]، ولقول الرسول ﷺ: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، وجميل يحب الجمال، وجواد يحب الجود، وكريم يحب الكرم»[2].

٤- تحسين الهيئة: فلا بد للمسلم من أن يحسن هيئته بلبس الثياب وتمشيط الشعر، لما روي عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال: كان رسول الله ﷺ جالساً فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده أن اخرج وأصلح رأسك ولحيتك، ففعل ثم رجع، فقال رسول الله ﷺ: «أليس هذا خير من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس واللحية كأنه شيطان»[3].

روي عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة أنمار، فبينما أنا نازل تحت الشجرة، إذ مر رسول الله ﷺ فقلت: (يا رسول الله هلم إلى الظل؟ فنزل، فقمت إلى غرارة لنا فوجدت فيها خبزاً وجردقاً وقثاء فكسرته، ثم قربته إلى رسول الله ﷺ وعندنا صاحب لنا، وقد ذهب يرعى ظهراً، فرجع وعليه ثوبان له قد خلقا، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال لي: «أما له ثوبان غير هذين؟» فقلت: بلى، له ثوبان في العيبة، فقال: «هلا كسوته إياهما» فدعوته فلبسهما ثم ولى فذهب، فقال رسول الله ﷺ: «ما له ضرب الله عنقه. أليس هذا خيراً له، فسمعنا الرجل فقال: يا رسول الله قُلْ: في سبيل الله، قال: «في سبيل الله» فقتل الرجل في سبيل الله)[4].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب اللبس للجمعة، ص٢٨٢، ج١، رقم ١٠٧٨.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء في النظافة، ص١١١، ج٥، رقم ٢٧٩٩.

(٣) موطأ مالك، كتاب الشعر، باب إصلاح الشعر، ص٩٤٩، ج٢، رقم ١٧٠٢.

(٤) موطأ مالك، كتاب اللباس، باب ما جاء في لبس الثياب للجمال، ص٩١٠، ج٢، رقم ١٦٢٠.

قال الشاعر:

تَجمَّــل بــالثيــاب ولا تبــال　　　فــإن العيــن قبــل الاختيــار

فلـو جعـل الثيـاب علـى حمـارٍ　　　لقال الناس يالك من حمار

٥- صبغ الشعر: حرص النبي ﷺ على تميز المسلمين، وكان شديد الحرص على تمييزهم عن غيرهم في شخصيتهم الظاهرة - وبذلك يحفظون شخصيتهم بتميزهم في الشخصية الباطنة، فلا تقترب العقائد من العقائد، ولا الأخلاق من الأخلاق، ولا التقاليد من التقاليد، وذلك أن التشابه في الأمور الظاهرة سبيل لمسارقة النفوس للتشابه في الأمور الباطنة، ومن ذلك نرى المسلمين الذين تكثر معاشرهم للأجانب أضعف اهتماماً بشؤون الدين من غيرهم، ونرى غير المسلمين الذين يكثرون من معاشرة المسلمين أقرب إلى احترام المسلمين واحترام دينهم من غيرهم.

وهذا وجه، ووجه آخر هو أن المشابهة في الظاهر تحدث ألفة ومودة، ومن ذلك نرى الرجلين إذا اجتمعا في بلد غريب وكانا من بلد واحد تقوى بينهما الألفة، وكذلك نرى الألفة تربط بين الرجلين متى كان بينهما مشابهة، ولو في العمامة أو الثياب أو السفر، ويعرف كل ذلك الشرقيون المحافظون على زيهم الشرقي، إذا تلاقوا في بلد عربي لأهله زي غير زيهم.

ومن هنا كان النبي ﷺ وهو في الدور الأول لتكوين أمته، ولمساكنهم في المدينة عادات خاصة عُرفوا بها، كان يأمر أصحابه بمخالفة غيرهم في كثير من الشؤون الظاهرة، احتفاظاً بتميز الشخصية التي يرتبط بها كثير من الأحكام كإعفاء اللحية وقص الشارب والصلاة في النعال وقيام الإمام في المحراب وغير ذلك مما نرى تعليل الأمر به، والإرشاد إليه بكلمة: (وخالفوهم).

وكان مما أرشد النبي ﷺ إلى فعله، بناء على هذا الأصل في التشريع الشعاري للجماعة، أمره ﷺ بصبغ الشعر في اللحية والرأس إذا اشتعل شيباً، قد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»[١]، وقال: «إن أحسن ما غيرتم به هذا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ص١٢٧٥، ج٣، رقم ٣٢٧٥.

الشيب الحنّاء والكتم»[1]، والكتم: نبت يظهر في الجبال، يخرج منه صبغ أسود يميل إلى الحمرة.

ومن هنا قال العلماء: إن الصبغ سنة أو مستحب، وقد كثر اشتغال السلف به، ونرى المؤرخين في تراجم الصحابة والأئمة يقولون عن فلان: كان يخضب، وعن غيره: كان لا يخضب، وقالوا: إن في الخضاب فائدتين:

الأولى: تنظيف الشعر.

الثانية: تحقيق المخالفة التي يخشى من تركها.

غير أن بعضهم قال: بكراهة الخضاب بالسواد أو حرمته، أخذاً بقول النبي ﷺ في شأن أبي قحافة والد أبي بكر، وكان شعر لحيته ورأسه شديد البياض: «غيروهما وجنبوه السواد»[2]، ولكن جمهور الفقهاء، رأوا أن هذا بمن كان كأبي قحافة طاعناً في السن، وشديد بياض الشعر، أما من لم يكن كذلك فلا بأس أن يصبغ بالسواد، وقد صبغ به جماعة من الصحابة والتابعين، وصبغ به عثمان والحسن والحسين وعقبة بن عامر، وصبغ به ابن سيرين وأبو بردة وغيرهم، واستحبه الجميع عند ملاقاة الأعداء في الحروب.

ومجمل القول أن الأمر في الصبغ ولونه أيسر من أن يتشدد فيه متشدد، فيرى منعه أو إباحته، أو يرى منعه بلون خاص وإباحته بلون آخر، فللسن والهيئة والتناسب والبواعث لكل ذلك دَخلٌ في حسن الاختيار في الصبغ أو عدمه، وفي اللون الذي يصبغ به.

ومما يتعلق بموضوع الزينة صبغ الشيب في الرأس واللحية، فقد ورد عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى أنهم يمتنعون عن صبغ الشيب وتغييره، ظناً منهم أن التجمل والتزين ينافي التعبد والتدين، كما هو شأن الرهبان والمتزهدين المغالين في الدين، ولكن الرسول ﷺ نهى عن تقليد القوم واتباع طريقتهم لتكون للمسلمين دائماً شخصيتهم المتميزة المستقلة في المظهر والمخبر.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب في الخضاب، ص٨٥، ج٤، رقم ٤٢٠٥.

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب الزينة والتطيب، باب كتاب الزينة والتطيب، ص٢٨٦، ج١٢، رقم ٥٤٧٢.

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»[1]، وهذا الأمر للاستحباب كما يدلُّ عليه فعل الصحابة، فقد صبغ بعضهم كأبي بكر وعمر، وترك بعضهم مثل علي وأبي بن كعب وأنس.

وقلنا: إن الشيخ الكبير الذي عم الشيب رأسه ولحيته، فلا يليق به أن يصبغ بالسواد بعد أن بلغ من الكبر عتياً، ولهذا حين جاء أبو بكر الصديق بأبيه أبي قحافة يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ورأى رأسه كأنها الثغامة[2] بياضاً قال: «غيروا هذا (أي الشيب) بشيء وجنبوه السواد»[3]. ومن لم يكن في مثل حال أبي قحافة وسنه، فلا إثم عليه إذا صبغ بالسواد، وفي هذا قال الزهري: (كنا نخضب بالسواد، إذا كان الوجه جديداً، فلما نقض الوجه والأسنان تركناه).

وقد رخص في الصبغ بالسواد طائفة من السلف، منهم من الصحابة سعد بن أبي وقاص وعقبة بن عامر والحسن والحسين وجرير وغيرهم، ومن العلماء من لم يرخص فيه إلا في الجهاد لإرهاب الأعداء إذا رأوا جنود الإسلام كلهم في مظهر الشباب.

وفي الحديث الذي رواه أبو ذر: إن أحسن ما غيرتم به الشيب (الحناء والكتم) والكتم: نبات باليمن يخرج الصبغ أسود يميل إلى الحمرة، أما صبغ الحناء فأحمر)، وروي من حديث أنس قال: (اختضب أبو بكر بالحناء والكتم واختضب عمر بالحناء بحتاً).

٦- الكحل بالإثمد: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «اكتحلوا بالإثمد، فإنه يجلو البصر وينبت الشعر»[4]، وزعم أن النبي ﷺ كانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه، ولفظهما قال: «إن من خير أكحالكم الإثمد،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ص١٢٧٥، ج٣، رقم ٣٢٧٥.

(٢) الثغامة: نبات شديد البياض زهره وثمره.

(٣) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب استحباب خضاب الشيب، ص١٦٦٣، ج٣، رقم ٢١٠٢.

(٤) سنن الترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في الاكتحال، ص٢٣٤، ج٤و رقم ١٧٥٧.

إنه يجلو البصر وينبت الشعر»[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أكحالكم الإثمد ينبت الشعر ويجلو البصر»[2].

١- من الزينة الواجبة زينة المرأة المعتدة: والعدة هي الأيام التي تتربص بها المرأة المفارقة لزوجها فلا تتزوج فيها ولا تتعرض للزواج، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة].

والمدة التي حددها الشارع هي أربعة أشهر وعشرة أيام، أما إذا كانت حاملاً فعدتها تنتهي بوضع حملها لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴿٤﴾﴾ [الطلاق] وهذه بالنسبة للحرة، أما الأمة فعدتها شهران وخمس ليال. والحكمة من العدة أمور منها:

١- استبراء الرحم، محافظة على الأنساب من الاختلاط.

٢- مشاركة الزوجة في مواساة أهل الزوج، والوفاء للزوج.

٣- أما بالنسبة لزينة المرأة المعتدة فعليها الإحداد. والإحداد: هو اجتناب المعتدة ما يدعو إلى جماعها، أو يرغب في النظر إليها من الزينة والطيب والتحسين. فيجب على المتوفى عنها زوجها أن تحد مدة العدة، فلا تلبس جميلاً ولا تتخضب بالحناء، ولا تكتحل ولا تمس طيباً ولا تلبس حلياً لقوله ﷺ: «لا يحل لامرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاث أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً»[3]، ولقول أم عطية رضي الله عنها: (كنا ننهى أن نحد على ميت فوق الثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا، ولا نكتحل ولا نلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب[4])[5].

كما يجب على المعتدة أن لا تخرج من بيتها، وإن خرجت لحاجة لزمها أن لا تبيت

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الطيب، باب في الأمر بالكحل، ص٨، ج٤، رقم ٣٨٧٨.
(٢) سنن أبي داود، كتاب الطيب، باب في الأمر بالكحل، ص٨، ج٤، رقم ٣٨٧٨.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب الكحل للحادة، ص٤٣، ج٥، رقم ٥٠٢٥.
(٤) العصب: نوع من البرود اليمانية مخططة.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب الطيب للمرأة عند غسلها من المحيض، ص١١٩، ج١، رقم ٣٠٧.

إلا في بيتها الذي توفي عنها زوجها وهي به، لقول الرسول ﷺ لمن سألته أن تتحول إلى بيت أهلها بعد وفاة زوجها: «امكثي في بيتك الذي أتاك فيه نعي زوجك حتى يبلغ الكتاب أجله»(١)، قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً.

٨- وأما زينة المحرم: على الحاج أن يتجرد من المخيط فلا يلبس ثوباً ولا قميصاً ولا برنساً، ولا يعتم بعمامة ولا يغطي رأسه بشيء أبداً، كما لا يلبس خفاً ولا حذاء لقول الرسول ﷺ: «لا يلبس المحرم الثوب ولا العمائم ولا السراويل ولا البرانس ولا الخفاف إلا من لم يجد نعلين فيلبس خفين وليقطعهما من أسفل الكعبين»(٢).

كما لا يلبس القفازين لما روى البخاري من النهي عن ذلك، وعليه فالإحرام في رداء وإزار أبيضين نظيفين لفعله ﷺ ذلك، ويكون لبسهما بعد الاغتسال للإحرام، وعليه تقليم الأظافر وقص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة لفعله ﷺ ذلك قبل الإحرام، أما بعده فلا يجوز حتى يتحلل التحلل الأصغر.

٩- ومن الزينة المباحة الصلاة في البرنيطة: (لأنه لا يشترط لصحة الصلاة غطاء الرأس بالنسبة للرجل، فتصبح الصلاة برأس مغطاة وبرأس مكشوف، ولا يُشترط في غطائها إذا غُطيت نوعٌ خاص من الغطاء، فالمسلم له أن يصلي بعمامة أو طاقية أو قبعة ما دامت لا تمنعه من وضع الجبهة على الأرض، فالإسلام لا يعرف زياً خاصاً للرأس، والزي وغطاء الرأس من الأمور التي يتركها الإسلام للعرف الذي يجري عليه الناس، وليس صحيحاً ما يقال إن القبعة زي خاص لغير المسلمين وشعار غير إسلامي، فالمسلم وغيره في ذلك سواء، والذين يلبسون القبعات من المسلمين لا يقصدون التشبه بغيرهم فيما هو من خصائص دينهم، وإنما يلبسونها لتحميهم من حر الشمس أو برد الشتاء مثلاً، أو لأن عرف بلادهم جرى على ذلك)(٣).

١٠- الصلاة في النعال: تجوز الصلاة في الحذاء، وهو المسمى قديماً بالنعال أو النعل، فقد وردت بذلك جملة كبيرة من الأحاديث النبوية منها: عن أبي سلمة قال: قلت

---

(١) مسند أحمد، كتاب حديث فريعة بنت مالك رضي الله عنه، ص٥١٤، ج٧، رقم ٢٦٥٤٧.
(٢) رواه البخاري، باب ما لا يلبس المحرم من الثياب، ج٢، ص٢٧١.
(٣) محمود شلتوت، الفتاوى، ص٨٨.

لأنس بن مالك رضي الله عنه: أكان رسول الله ﷺ يصلي في نعليه؟ قال: نعم، وعن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا في خفافهم»[١].

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل، ص١٧٦، ج١، رقم ٦٥٢.

المبحث الرابع
الزينة المكروهة والمحرمة

المكروه: ما طلب الشارع الكفَّ عنه طلباً غير ملزم بأن كان منهياً عنه، ومن الأمور المكروهة:

١- المانيكير: وهذه للمرأة تقوم بصبغ أظافرها بالألوان بمادة تسمى طلاء الأظافر، غير الخضاب التي تقوم بصبغ اليد فيه، يجب أن يكون عادة بمادة لا تمنع وصول الماء إلى أعضاء الوضوء، ليصح الوضوء والغسل من الجنابة، وأما طلاء الأظافر (المانيكير) فإنه يعزل الماء عنها، ولهذا يبطل الوضوء للصلاة، فضلاً عن أن غسلها من الجنابة لا يتم، فتبقى جنباً وإن اغتسلت.

والإسلام لا يمنع ولا يكره الزينة المعتدلة للمرأة في بيتها لزوجها، ولكنه إلى جانب ذلك يمنع أن تكون الزينة مبطلة للفرائض، أو مانعة من صحتها.

٢- نتف الشيب: من الأمور المكروهة نتف الشيب ورغب الإسلام في إبقائه، لحديث الرسول ﷺ: «لا تنتفوا الشيب فإنه ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام، إلا كانت له نوراً يوم القيامة»[١]، وفي رواية: «كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة»، وعن رسول الله ﷺ: «نهى عن نتف الشيب، وقال: إنه نور المسلم»[٢].

أما الحرام: فهو ما طلب الشارع الكف عن فعله على وجه الحتم واللزوم.

رفض الإسلام الغلو في الزينة إلى الحد الذي يفضي إلى تغيير خلق الله، الذي اعتبره القرآن الكريم من وحي الشيطان الذي قال عن أتباعه: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب في نتف الشيب، ص٨٥، ج٤، رقم ٤٢٠٢.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء في النهي عن نتف الشيب، ص١٢٥، ج٥، رقم ٢٨٢١.

ﭐللَّهِ ﴿١١٩﴾ [النساء] فمنها:

١- الوشم: وشم الأبدان من الأفعال المحرمة، وقد لعن رسول الله ﷺ «الواشمة والمستوشمة»[1].

أما الوشم ففيه تشويه للوجه واليدين بهذا اللون الأزرق، والنقش القبيح، وقد أفرط العرب فيه - وبخاصة النساء - فنقشوا به معظم البدن، هذا إلى أن بعض أهلل الملل كانوا يتخذون منه صوراً لمعوذاتهم وشعائرهم يرسمونهم على أيديهم وصدورهم.

أضف إلى هذه المفاسد ما فيه من ألم وعذاب بوخز الإبر في بدن الموشوم بإبرة حادة أو نحوها، حتى يسيل الدم ثم يحشى موضع النخس ببعض الشحم وبعض المواد الأخرى، وكان القوم في الجاهلية يفعلونه طلباً للتزين، فينقشون علي أبدانهم نقوشاً وصوراً مختلفة، وكان الرجال يظنون أنه يقوي المفصل الذي وشم عليه.

قال الآلوسي في كتابه بلوغ الأرب: إن الوشم مذهب باطل، وعادة مستقبحة جداً، فلذلك أبطلته الشريعة الإسلامية، لما فيه من تغيير خلق الله، وذكر ابن الأثير أن الواشمة: هي التي تصنع هذه النقوش في جسمها، وقال: إن الوشم هو أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بكحل أو نيل فيزرق أثره أو يخضر.

ومن هنا نفهم أن عملية الوشم، حرام شرعاً، وقد أخطأ من فعل هذا، ووضع الوشم على جسمه سواء كان رجلاً أو امرأة، وأما الحكم على المادة المستخدمة في عملية الوشم من ناحية الطهارة والنجاسة، فإن ذلك يرجع إلى حقيقة هذه المادة، فإن كانت من أصل نجس فهي نجسة، وإن كانت من أصل طاهر فهي طاهرة والله أعلم.

كل ذلك جلب اللعنة على من تعمل هذا الشيء (الواشمة) ومن تطلب ذلك لنفسها (المستوشمة) والوشم في أي مكان من الجسد، وقد يفعل ذلك نقشاً أو دوائر أو يكتب اسم المحبوب، وتعاطيه حرام بدلالة اللعن، فيصير الموضع الموشوم نجساً لأن الدم انحبس فيه، فتجب إزالته إن أمكن، ولو بالجرح إلا إن خاف منه تلفاً أو شيئاً أو فوت منفعة عضو، فيجوز إبقاؤه، وتكفي التوبة في سقوط الإثم، ويستوي في ذلك الرجل

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب مهر البغي والنكاح الفاسد، ص٢٠٤٥، ج٥، رقم ٥٠٣٢.

والمرأة.

والوشم هو عادة وضع علامة على الجلد، وللشعوب في ممارسته طرق مختلفة بالوخز والتلوين، وبخاصة ظاهر اليد أو الذراع أو على الخد أو الصدر، وقد مارسته بعض الجماعات الإنسانية قديماً لأغراض نفعية، وقد يقترن بالحجامة والتشريط دلالة على الحزن، وقد يكون للحماية من عين الحسود كما يزعمون، أو لإبراز امتياز طبقي، أو رابطة قبلية أو مكانة اجتماعية.

وقد استعمل الوشم مع الكي بالنار تحقيراً للمجرمين أو المسجونين، وتقل ممارسة الوشم في الشعوب الآخذة بأسباب الحضارة والتعليم، قال الطبري: (ولا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها بزيادة أو نقص التماس الحسن لا للزوج ولا لغيره، كمن تكون مقرونة الحاجبين فتزيل ما بينهما توهم البلج أو عكسه، ومن تكون لها سن زائدة فتقلعها أو طويلة فتقطع منها، أو لحية أو شارب أو عنفقة فتزيلها بالنتف، ومن يكون شعرها قصيراً أو صغيراً فتطوله أو تعززه بشعر غيرها. فكل ذلك داخل في النهي، وهو من تغيير خلق الله تعالى، قال: ويستثنى من ذلك ما يحصل الضرر به والأذية كمن يكون لها سن زائدة أو طويلة تعيقها في الأكل، أو أصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها، فيجوز لها ذلك، والرجل في هذا الأمر كالمرأة.

قال النووي: (يستثنى من النماص ما إذا نبت للمرأة لحية أو شارب أو عنفقة فلا يحرم عليها إزالتها، بل يستحب، قالوا: ويجوز الحف والتحمير والنقش والتطريف، إذا كان بإذن الزوج لأنه من الزينة، وقد أخرج الطبري من طريق أبي إسحاق عن امرأته: أنها دخلت على عائشة رضي الله عنها وكانت شابة يعجبها الجمال، فقالت: المرأة تحف جبينها لزوجها فقالت عائشة: (أميطي عنك الأذى ما استطعت)[١]، أما الإمام النووي فقال: يجوز التزيين بما ذكر إلا الحف، فإنه من جملة النماص)[٢].

٢- وَشْر الأسنان: وأما وشر الأسنان، أي: تحديدها وتقصيرها فقد لعن الرسول ﷺ

(١) مصنف أبي عبد الرزاق، كتاب المرأة، باب المرأة إذا كانت أقرأ من الرجال، ص١٤٦، ج٣، رقم ٥١٠٤.
(٢) الفتح الرباني، ج١٠، ص٢٩٢.

المرأة التي تقوم بهذا العمل (الواشرة) والمرأة التي تطلب أن يعمل ذلك بها (المستوشرة)، ولو فعل رجل ذلك لاستحق اللعنة من باب أولى.

والواشرة: هي التي تصنع في الأسنان أشراً، وهي الخريزات التي تكون في أسنان الشباب، تفعله المرأة الكبيرة تشبهاً بالشابة، ويصنع ذلك بالمبرد وغيره عن طريق جراحات التجميل الآن.

والحرام: هو ما يُفعلُ للحُسْنِ والجمال لقوله ﷺ: «والمتفلجات للحسن»، أما لو احتاجت إليه لعلاج أو لعيب في السن وهو ما يسمى في وقتنا الحاضر بتقويم الأسنان فلا بأس، كما يقول الإمام النووي[1].

٣- التفلج: وكما حرم الرسول ﷺ وشر الأسنان، حرم التفلج: «ولعن المتفلجات للحسن المُغيِّرات خَلْقَ الله»[2]، والمتفلجة: هي التي تصنع الفلج أو تطلبه، والفلج: انفراج ما بين الأسنان، ومن النساء من يخلقها الله كذلك، ومنهن من ليست كذلك؛ فتلجأ إلى برد ما بين الأسنان، المتلاصقة خلقاً لتصير متفلجة صناعة، أو إلى أن تعيد الأسنان المصمتة الملتصقة خلقة إلى فلجاء، فتفرق بعضها عن بعض صناعة، وهو تدليس على الناس، وغلو في التزيين تأباه طبيعة الإسلام، وقد تفعله الكبيرة توهم أنها صغيرة، ويختص بالثنايا أو الرباعيات.

وبهذه الأحاديث الصحيحة نعرف الحكم الشرعي، فيما يعرف باسم (جراحات التجميل) التي روجتها حضارة الجسد والشهوات، والمقصود الحضارات الغربية المادية المعاصرة، فترى المرأة أو الرجل ينفق المئات أو الآلاف لكي تعدل شكلها، أو أنفها أو ثديها أو غير ذلك، فكل هذا يدخل فيمن لعن الله ورسوله، لما فيه من تعذيب للإنسان وتغيير لخلق الله بغير ضرورة تلجىء لمثل هذا العمل إلا أن يكون الإسراف في العناية بالمظهر والاهتمام بالصورة لا بالحقيقة، وبالجسد لا بالروح.

(أما إذا كان في الإنسان عيب شاذ يلفت النظر كالزوائد التي تسبب له ألماً حسياً أو

---

(١) عبد القادر أحمد عطا، هذا حلال وهذا حرام، ص١٢٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: وما أتاكم الرسول فخذوه، ص١٨٥٣، ج٤، رقم ٤٦٠٤.

نفسياً كلما حل بمجلس، أو نزل بمكان، فلا بأس أن يعالجه، ما دام يبغي إزالة الحرج الذي يلقاه، وينغص عليه حياته، فإن الله لم يجعل علينا في الدين من حرج)[1].

ولعل ما يؤيد ذلك أن الحديث «لعن الله المتفلجات للحسن»[2] فيفهم منه أن المذمومة من فعلت ذلك لا لغرض إلا لطلب الحسن والجمال الكاذب، فلو احتاجت إليه لإزالة ألم أو ضرر، لم يكن في ذلك بأس.

٤- ترقيق الحواجب: ومن الغلو في الزينة التي حرمها الإسلام النمص، والمراد به إزالة شعر الحاجبين لترقيقهما أو ترفيعهما، أو تسويتهما، وقد لعن رسول الله ﷺ: «النامصة والمتنمصة»[3]، والنامصة: التي تفعله والمتنمصة التي تطلبه، وتتأكد حرمة النمص، إذا كان شعاراً للخليعات من النساء أو لغير المسلمات، قال بعض علماء الحنابلة: ويجوز الحف (حفت المرأة وجهها: أي زينته بإزالة شعره) والتحمير والنقش والتطريف، إذا كان بإذن الزوج لأنه من الزينة، وشدد الإمام النووي فلم يجز الحف، واعتبره من النمص المحرم، ويرد عليه ما ذكره أبو داود في السنن: أن النامصة: هي التي تنقش الحاجب حتى ترققه، فلم يدخل فيه حف الوجه وإزالة ما فيه من شعر، وأخرج الطبري عن امرأة أبي إسحاق: أنها دخلت على عائشة، وكانت شابة يعجبها الجمال، فقالت: المرأة تحف جبينها لزوجها؟ فقال: (أميطي عنكِ الأذى ما استطعت)[4].

نص الحديث الشريف على لعن «المتنمصة والنامصة» وقيل للمنقاش: منماص، وقال أبو داود: النامصة هي التي تنقش الشعر من الحاجب وترققه وتزججه، وقال الإمام النووي: المراد بإزالة الشعر من أطراف الوجه، وترقيق الحواجب، وهو المحرم المنهي عنه، أما إذا ظهر للمرأة شعر في لحيتها أو أسفل شفتها أو نبت لها شارب، فالمختار

---

(١) البهي الخولي، المرأة بين البيت والمجتمع، الطبعة الثانية، ص١٠٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وما أتاكم الرسول فخذوه، ص١٨٥٣، ج٤، رقم ٤٦٠٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، ص١٦٧٦، ج٣.

(٤) مصنف عبد الرزاق، كتاب المرأة، باب المرأة إذا كانت أقرأ من الرجال، ص١٤٦، ج٣، رقم ٥١٠٤.

عند الجمهور عدم تحريم إزالته، وقال الشافعية: إزالته مستحبة، ويرى الحنابلة أنه لا بأس بحف الوجه، وإن التحريم خاص بالحواجب، والخلاف تابع لتعريف النمص كما سبق.

والعلة في التحريم: إما التدليس والغش، وإما لمجرد التغيير في الخلقة، والغالب أن من يفعلن ذلك كأنما يعمدن إلى تخطيط الحواجب بلون آخر وبرسم آخر، يهيىء لهن الشكل الذي يرتضينه، فإذا زال الرسم المصنوع، وظهرت حقيقة الشكل، ولا سيما إذا كانت المرأة ممن تزيل الحواجب إزالة كاملة، وترسم غيرها بدا شكلها قبيحاً منفراً وربما أدى ذلك إلى الفراق.

على أن المرأة لو علمت أن الطبيعة هي كل الجمال، وإن كثافة الحاجبين جمال لا يلحقه قبح، لانصرفت عن شغل نفسها بتغيرات في وجهها قد تنتهي إلى مشكلات كبرى، واللغة في الحديث واقعة على طالبة الفعل وفاعلته معاً.

٥- وصل الشعر: ومن المحظور في زينة المرأة كذلك، أن تصل شعرها بشعر آخر، سواء أكان شعراً حقيقياً أم صناعياً، كالذي يسمى (الباروكة) فقد روى الإمام البخاري وغيره عن عائشة أم المؤمنين وأختها أسماء، وابن مسعود وابن عمر وأبي هريرة: (أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة)، والواصلة هي التي تقوم بوصل الشعر بنفسها أو بغيرها، والمستوصلة هي التي تطلب ذلك.

ودخول الرجل في هذا التحريم من باب أولى، سواء أكان واصلاً كالذي يسمى (الكوافير) أو مستوصلاً كالمخنثين من الشباب كالذين يسمونهم (الخنافس)، ولقد شدد النبي ﷺ في محاربة هذا النوع، واعتبره نوعاً من التدليس، حتى لم يجز لمن تساقط شعره نتيجة المرض أن يوصل به شعر آخر، ولو كانت عروساً ستزف إلى زوجها.

روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن جارية من الأنصار تزوجت، وأنها مرضت فتمعط شعرها، فأرادوا أن يصلوها، فسألوا النبي ﷺ فقال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة»، وعن أسماء قالت: سألت امرأة النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابنتي أصابتها الحصبة، فأمرق شعرها، وإني زوجتها، أَفأصلُ فيه؟ فقال: «لعن الله الواصلة

والمستوصلة»[1].

وعن سعيد بن المسيب قال: (قدم معاوية المدينة آخر قدمة قدمها فخطبنا، فأخرج كبة من شعر، قال: (ما كنت أرى أحداً يفعل هذا غير اليهود، إن النبي ﷺ سماه الزور (يعني الواصلة من الشعر)، وفي رواية: أنه قال لأهل المدينة: أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا ويقول: «إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم»[2].

وتسمية الرسول ﷺ هذا العمل (زوراً) يومىء إلى حكمة تحريمه، فهو ضرب من الغش والتزييف والتمويه، والإسلام يكره الغش، ويبرأ من الغاش في كل معاملة، مادية كانت أو معنوية، لقول الرسول ﷺ: «من غشنا فليس منا»[3]، وإنما ورد الوعيد الشديد في هذه الأشياء، لما فيها من الغش والخداع، ولو رخص في شيء منها لكان وسيلة إلى استجازة غيرها من أنواع الغش، ولما فيها من تغيير الخلقة، وإلى ذلك الإشارة في حديث ابن مسعود بقوله: (المغيرات خلق الله).

والذي دلت عليه الأحاديث إنما هو وصل الشعر بالشعر طبيعياً كان أو صناعياً، فهو الذي يحمل معنى التزوير والتدليس، فأما إذا وصلت شعرها بغير الشعر من حزمة أو خيوط أو نحوها، فلا يدخل في النهي، وفي هذا جاء عن سعيد بن جبير قال: (لا بأس بالتوامل) والمراد هما: خيوط من حرير أو صوف تعمل ضفائر تصل به المرأة شعرها، وبجوازها قال الإمام أحمد.

وبيَّن الله سبحانه وتعالى أنه من عمل الشيطان في الأوساط الآدمية المختلفة، وإفساده للفطرة لقوله تعالى: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء]، وتغيير خلق الله بالزيادة أو النقصان حرام بنص الكتاب، لأنه من فعل الشيطان، وقد قصد الشيطان بتغيير خلق الله أن يبدل فطرة الله

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٤١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، ص٢٢١٦، ج٥، رقم ٥٥٨٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا، ص٩٩، ج١.

الظاهرة، حتى يتوصل بذلك إلى تبديل أصل الفطرة، بتحويل الناس من العبودية والولاء لله، إلى الولاء للشيطان نفسه، كما يفهم من آخر النص الكريم: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء].

وتغيير خلق الله الذي حرمته الشريعة الإسلامية يشمل الإنسان والحيوان جميعاً، والذي يخص الإنسان هو وصل الشعر سواء أكان باروكة أو (بوستيش)، والباروكة تكون بوضع شعر كامل بدل الشعر الأصلي، أما البوستيش فيكون نصف شعر، أي: أن يظهر الشعر الأصلي ويوصل به شعر آخر، ووصل الشعر حرام، ولو كان الشعر يتساقط لمرض أو غيره، وذلك لرجحان بقاء الفطرة دون تغيير على المصالح الظاهرة، لأنها لا تخضع لمصلحة الإنسان المنفصلة عن أصل الفطرة، وذلك لأن ترك المرأة تصل شعرها بما شاءت هو أمر مثير للفتن في أمور الجنس بصورة تصرف المرأة أولاً عن واجبها في إعداد المجاهدين والدعاة، والتفنن في الإثارة الجنسية، كما تحول إرادة الشباب والرجال بالكلية عن كل عمل جاد من أعمال الدين والجهاد، والدعوة إلى الاستغراق في تلك الفتن بالفكر فيها، والسعي إلى إشباع المحرم منها.

والذي نخلص إليه من هذا الموضوع ما يلي:

أ- وصل الشعر بقطع من القماش أو الصوف (الضفائر عند أهل الريف) لا يدخل في النهي.

ب- الوصل بالشعر وهو حرام مطلقاً، وهو الظاهر المختار عند الإمام النووي والقرطبي وجمهور الفقهاء، وقال النووي: في إباحة الوصل بالشعر طاهر من غير الآدمي بشرط أن تكون المرأة متزوجة، وقد أذن لها زوجها في ذلك، فإن لم يأذن فحرام، ويبدو أن الإباحة في هذه الحالة عندهم قصد بها عند خلوة الرجل بزوجته، ولكن القرطبي وغيره أطلقوا التحريم لحديث جابر: (زجر رسول الله ﷺ أن تصل المرأة بشعرها شيئاً)[1]. وصانع الشعر المستعار، ومن يقوم بصناعة الوصل ملعون أيضاً بنص الحديث.

---

(١) صحيح مسلم، كتبا اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة، ص١٦٧٩، ج٣، رقم ٢١٢٦.

ويحرم على المرأة الزيادة في شعر رأسها، كما يحرم عليها حلق رأسها بغير ضرورة، روى ابن عباس قال: (نهى النبي ﷺ: أن تحلق المرأة رأسها)[1]، وهو عند أبي داود من هذا الوجه بلفظ: «ليس على النساء حلق، وإنما على النساء التقصير»[2].

٢- جراحات التجميل: والتي يحذر الله فيها من اتباع الشيطان في تسويله للناس، أن يغيروا خلق الله، ومن الأحاديث التي نصت على لعن العاملين والعاملات بأمور من هذا القبيل، يمكن الحكم على ما يسمى الآن بجراحات التجميل بالتحريم.

والواقع الملموس يشهد بصدق الكتاب والسنة في تغليظ كل عمل من شأنه إحداث تغيير في الخلقة، مما دعا المنهومات بمجالس الفسق إلى إجراء هذه العمليات الماجنة، حتى لا يرغب عنهن الفساق والمختلسون المبددون أموالهم وأموال الناس التي اختلسوها عن طريق الغش والخيانة وسرقة المال العام. وقلدهن في ذلك كثيرات من أهل البراءة والطهر، رغبة في الظهور بمظهر جميل، ولكن الصوة الأليمة التي يطالعنها في سلوك المنحرفات ممن يصطنعن هذه البدعة خير رادع لهن عن هذا السلوك الشائن، فلا أقل من أن تخالف الطاهرات أولئك الداعرات.

على أن جراحة التجميل اقترنت برغبة جامحة في الاستغلال من قبل من يقومون بإجرائها، مما خلق حالة خطيرة من ابتزاز الأموال الهائلة أجراً لتلك العمليات، وشكل خطورة بالغة من الإسراف ربما تؤدي إلى الانحراف من أجل الحصول على أجر تلك العمليات، وهذا بالإضافة إلى تلك الأموال التي تنفق في معاصي الله من القادرين غير المنحرفين، إنما هي أموال فيها حقوق أهل الصدقات، وحقوق إعداد القوة للمسلمين حتى يقوموا بواجبهم الشرعي نحو دعوة الإسلام، فرجع الأمر كله إلى الفكرة التي ألمحنا إليها، وهي مصادرة الفطرة في أصلها بأسباب بعيدة المأخذ مما جعل العلماء يركزون على موضوع الإسراف دون أن يتعمقوا إلى خطر الداء ومنبعه الأول.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الحج عن رسول الله، باب ما جاء في كراهية الحلق للنساء، ص٢٥٧، ج٣، رقم ٩١٤.

(٢) سنن أبي داود، كتاب أول كتاب المناسك، باب الحلق والتقصير، ص٢٠٣، ج٢، رقم ١٩٨٤.

٣- وضع المكياج والمساحيق: وضع المكياج والمساحيق مما يلحق بالوشم، وهو مبالغة في الزينة وبخاصة زينة الوجه والعينين، والزيادة على الكحل المباح، أو ما يقوم مقامه في اللون، وذلك أن النساء في عصرنا يزدن على الكحل، بوضع ألوان وظلال أخرى ومساحيق تشمل مساحة كبيرة من الجفون تندرج بألوانها من الأسود إلى الأخضر المندرج، وأحياناً يصبغ ما حول الجفون بلون فضي أو لون آخر.

وهذا داخل في تغيير الخلقة المحرم، فضلاً عن حرمة إظهاره لعامة الناس، أما بالكحل فترجع إباحته فيما نرى إلى أنه عبارة عن زيادة قليلة في لون الأهداب وأصولها من الجلد، فلا تغيير في الخلقة، بل يبرزها مما يعتبر زينة مباحة، وأما الظلال وصبغ الجفون وما حولها من الألوان فهو تغيير واضح وظاهر في الخلقة، فضلاً عن أنه غش وخداع في التجميل، قد يكون مبايناً تماماً للحقيقة.

ومما يدخل في ذلك صباغة الشعر وتحمير الوجه، فقد قال الإمام النووي: (أما تحمير الوجه وصباغة الشعر بالسواد وتطريف الأصابع، فإن لم يكن لها زوج، أو كان لها فعلته بغير إذنه فحرام، وإن كان لها زوج وأَذنَ لها في ذلك فحلال.

٤- إسبال الإزار: كثيراً ما ترى الناس يزيدون في ملابسهم المعتادة عباءة خفيفة جداً، لا تدفع برداً في الشتاء، وتزيد الإنسان حراً في الصيف، وليست هي من تمام اللباس المألوف لذلك الإنسان، بل هي شيء زائد عما ألفه، شاذ عما اعتاده مثله لا يلبسها إلا في الصلاة، ثم يخلعها بعدها، وهي بعد ذلك كله سابغة، لا يسر لابسها إلا إذا مست الأرض، فلماذا يلبسها في الصلاة وحدها دون سائر الأوقات؟ لا تفسير لذلك إلا الخيلاء والتكبر والزهو، أو إرادة الشهرة بين الناس وهي الكبر بعينه.

فقد أخرج أبو داود عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أسبل إزاره في صلاته خيلاء فليس من الله جل ذكره في حل ولا حرم»[1]، أي: في أن يجعله في حلٍّ من الذنوب، ولا في أن يمنعه ويحفظه من سوء الأعمال، وإسبال الإزار أن يسترسل الثوب تحت الكعبين، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله إلى

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الإسبال في الصلاة، ص١٧٢، ج١، رقم ٦٣٧.

مَنْ جر ثوبه خيلاء»[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه قال: (من لبس ثوب شهرة - فخر ورياء - وذاك ذائع بين الناس - ألبسه الله إياه يوم القيامة، ثم ألهب فيه النار، ومن تشبه بقوم فهو منهم)[2]، وقال رسول الله ﷺ: «من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، ثم ألهب فيه ناراً»[3].

قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف]، ذلك الضابط العام للتمتع بالطيبات كلها من مأكل أو مشرب أو ملبس ألا يكون في تناولها إسراف أواختيال. والإسراف هو مجاوزة في الحد في التمتع بالحلال، والاختيال: أمر يتصل بالنية والقلب أكثر من اتصاله بالظاهر، فهو قصد المباهاة والتعاظم والافتخار على الناس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان].

وقال ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[4]، ولكي يتجنب المسلم مظنة الاختيال، نهى النبي ﷺ عن ثياب الشهرة، التي من شأنها أن تثير الفخر والمكابرة والمباهاة بين الناس بالمظاهر الفارغة، وفي الحديث عنه ﷺ: «من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، ثم ألهب فيه النار»[5].

٦- يحرم على المرأة أن تخرج من بيتها متعطرة متزينة، لما رواه أبو موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس كذا وكذا يعني زانية»[6]، والمقصود أنها فاسقة لأنها وجهت إليها أنظار الأجانب،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، ص٢١٨١، ج٥، رقم ٥٤٤٦.
(٢) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب، ص٣٠٤، ج٢، رقم ٦٢٠٩.
(٣) سنن ابن ماجة، كتاب اللباس، باب من لبس شهرة من الثياب، ص١١٩٢، ج٢، رقم ٣١٠٦.
(٤) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء، ص٢١٨١، ج٥، رقم ٥٤٤٧.
(٥) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب من لبس شهرة من الثياب، ص١١٩٢، ج٢، رقم ٣٦٠٧.
(٦) سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة، =

والمطلوب العطر للزوج في البيت فقط لقول الرسول ﷺ: «أيما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة أصابت بخوراً - عود الطيب فأحرقته - فلا تشهدن معنا العشاء»[2]، ولما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد دخلت امرأة من مزينة ترفل (تتحلى بأفخر الثياب وأغلى الرياش) في زينة لها في المسجد، فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد، فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا في المسجد»[3].

= ص١٠٦، ج٥، رقم ٢٧٨٦.

(١) صحيح ابن حبان، كتاب الحدود، باب الزنى وحده، ص٢٧٠، ج١٠، رقم ٤٤٢٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد، ص٣٢٨، ج٢، رقم ٤٠٠١.

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب فتنة النساء، ص١٣٢٦، ج٢، رقم ٤٠٠١.

الفصل الثالث
من آداب اللباس

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول
الآداب الواجب اتباعها في اللباس بالنسبة للرجل

بعد أن عرفنا الزينة المفروضة والواجبة والمستحبة والمكروهة والمحرمة نأتي إلى معرفة الآداب الواجب على المسلم التزامها في لباسه:

١- أن لا يلبس الحرير مطلقاً، سواء كان في ثوب أو عمامة أو غيرهما، لقوله ﷺ: «لا تلبسوا الحرير، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»[١]، وقوله ﷺ - وقد أخذ حريراً في يمينه، وذهباً في شماله -: «إن هذين حرام على ذكور أمتي»[٢]، وقوله ﷺ: «حُرِّمَ لباسُ الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأحل لإناثهم»[٣].

٢- أن لا يطيل ثوبه، أو سرواله، أو برنسه، إلى أن يتجاوز كعبيه لقوله ﷺ: «ما أسفل الكعبين من الإزار في النار»[٤]، وقوله ﷺ في الإسبال في الإزار والقميص والعمامة: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[٥]، وقوله ﷺ: «لا ينظر الله

---

(١) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، ص١٦٤١، ج٣، رقم ٢٠٦٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في الحرير للنساء، ص٥٠، ج٤، رقم ٤٠٥٧.

(٣) سنن الترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في الحرير والذهب، ص٢١٧، ج٤، رقم ١٧٢٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ما أسفل الكعبين فهو في النار، ص٢١٨٢، ج٥، رقم ٥٤٥٠.

(٥) فتح الباري، كتاب اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء، ص٢١٨١، ج٥ رقم ٥٤٤٧.

إلى من جر ثوبه خيلاء»[1].

٣- أن يؤثر لباس الأبيض على غيره، وأن يرى لباس كل لون جائزاً لقوله ﷺ: «البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا بها موتاكم»[2]، ولقول البراء بن عازب رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ مربوعاً، ولقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه)[3]، ولما صح عنه ﷺ من أنه لبس الثوب الأخضر واعتم بالعمامة السوداء.

٤- أن لا يتختم بخاتم الذهب، لقول الرسول ﷺ في الذهب والحرير: «إن هذين حرام على ذكور أمتي»[4]، وقوله ﷺ وقد رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده»[5] فقيل للرجل بعدها ذهب الرسول الكريم: خذ خاتمك فانتفع به، فقال: لا والله لا آخذه أبداً، وقد طرحه رسول الله ﷺ.

٥- لا بأس للمسلم أن يتختم بخاتم الفضة أو ينقش في فصه اسمه، ويتخذه طابعاً يطبع به رسائله وكتاباته، ويوقع به الصكوك وغيرها لاتخاذ النبي ﷺ خاتماً من فضة نَقْشُه (محمد رسول الله) وكان يجعله في الخنصر من يده اليسرى، لقول أنس رضي الله عنه: (كان خاتم النبي ﷺ في هذا وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى)[6].

٦- أن لا يشتمل الصماء، وهي أن يلف الثوب من جسمه، ولا يترك مخرجاً منه ليديه، لنهي النبي ﷺ عن ذلك، وأن لا يمشي في نعل واحد لقوله ﷺ: «لا يمشي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، ص٢١٨١، ج٥، رقم ٥٤٤٦.
(٢) سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء في لبس البياضو ص١١٧، ج٥، رقم ٢٨١٠.
(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي، ص١٣٠٣، ج٣، رقم ٣٣٥٨.
(٤) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في الحرير للنساء، ص٥٠، ج٤، رقم ٤٠٥٧.
(٥) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال، ص١٦٥٥، ج٣، رقم ٢٠٩٠.
(٦) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب هل يجعل نقش على الخاتم، ص٢٢٠٥، ج٥، رقم ٥٥٤٠.

أحدكم في نعل واحد ليحفهما، أو لينعلهما جميعاً»[1].

٧- أن لا يلبس المسلم لبسة المسلمة، ولا المسلمة لبسة الرجل لتحريم الرسول ﷺ بقوله: «لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء»[2].

٨- أن يحرص المسلم على أن يكون لباسه التواضع وترك الترفع في اللباس، اقتداء برسول الله ﷺ لما روي عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يُخيِّره من أي حللِ الإيمانِ شاء يلبسها»[3]، وروي عن ثوبان رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما يكفيني من الدنيا؟ قال: ما سَدَّ جوعتك ووارى عورتك، وإن كان لك بيت يظلك فذاك، وإن كان لك دابة فبخٍ بخ»[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب لا يمشي في نعل واحدة، ص٢٢٠٠، ج٥، رقم ٥٥١٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت، ص٢٢٠٧، ج٥، رقم ٥٥٤٧.

(٣) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، ص٦٥، ج٤، رقم ٢٤٨١.

(٤) شعب الإيمان، الكتاب الحادي والسبعون من شعب الإيمان، ص٢٩٣، ج٧، رقم ١٠٣٥٧.

المبحث الثاني

الآداب الواجب اتباعها في اللباس بالنسبة للمرأة

١- أن تطيل المرأة ثوبها إلى أن يستر قدميها، ويشترط أن يكون ثوباً واسعاً ثخيناً لا يصف مفاتن جسمها ولا يشف، ولا يكون ضيقاً حرجاً يصفها كما لو لم تكن لابسة، روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ: يكون في آخر الزمان رجال من أمتي يركبون على سرج كأشباه الرجال ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات، لو كان وراءكم أمة من الأمم خدمتهم نساؤكم كما خدمكم نساء الأمم قبلكم»[١].

٢- أن تسبل خمارها فتستر عنقها ونحرها وصدرها، لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۝٥٩﴾ [الأحزاب]، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۝٣١﴾ [النور]، ولقول عائشة رضي الله عنها: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما نزل ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ الآية، شَقَقْنَ أكتف مرطهن فاختمرن بها[٢]، وعن أم سلمة رضي الله عنها، ولما نزلت قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان والأكسية)[٣].

٣- أن يراعين جانب العفة والحياء فلا يكون في لباسهن بريق أو زخرفة أو جاذبية، تجذب الأنظار إليهن، ولا في نفوسهن من حرص على إظهار زينتهن، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما قومٌ معهم

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، باب اللعن، ص٦٤، ج١٣و رقم ٥٧٥٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ص١٧٨٢، ج٤، رقم ٤٤٨٠.

(٣) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ﴾، ص٦١، ج٤، رقم ٤١٠١.

سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا. .»[1]، والكاسية: قيل: من نعمة الله عز وجل، عاريات: من شكرها، وقيل معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً لمحاسنها وجمالها ونحوه، وقيل: تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها، ومائلات: عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن حفظه، مميلات: أي يعلمن غيرهن فعلهن المذكور، وقيل مائلات: يمشين متبخترات، مميلات لأكتافهن، وقيل: مائلات يمتشطن مشطة الميلاء وهي مشطة البغايا، مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة، رؤوسهن كأسنمة البخت: أي يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها.

٤- أن لا تخرج متعطرة أو أصابت شيئاً من البخور.

٥- أن لا تخرج متبرجة واضعة كل أنواع المساحيق على وجهها لنهي الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۝٣٣﴾ [الأحزاب].

٦- أن لا تعتم بعمامة كعمامة الرجل لما روي عن أم سلمة أن النبي ﷺ دخل عليها وهي تختمر فقال: «لية لا ليتين»[2]، وقال أبو داود: معناه: لا تعتم مثل الرجل، لا تكرره طاقة أو طاقتين. فقد أمرها رسول الله ﷺ ألا تكرر لف الخمار على رأسها، بل تلفه مرة واحدة، ثم تعقد من الخلف وتسدله على أذنيها وصدرها لتستر زينة الصدر والعنق والأذنين، أما إذا لفَّته مرتين أو أكثر على رأسها، فإنه في هذه الحالة يشبه عمامة الرجل، فيدخل في التشبه بالرجال الذي حرمته السنة، ولعن رسول الله ﷺ من تفعله، وكل ما لُعِنَ فاعلُه فهو حرام.

٧- أن لا تتشبه في لباسها بلباس الرجال لقول الرسول ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً، الرجل الديوث، ومدمن الخمر، والرجلة من النساء، قالوا: يا رسول الله، أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال: الذي لا يبالي من دخل على أهله، قيل:

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب أخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب وصفة الجنة وأهلها، ص٥٠٠، ج١٦، رقم ٧٤٦١.

(٢) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في الاختمار، ص٦٤، ج٤، رقم ٤١١٥.

فما الرجلة من النساء؟ قال: التي تتشبه بالرجال»[1]، ولعن رسول الله ﷺ: «الرجل الذي يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»[2].

(١) شعب الإيمان، الكتاب الثاني والسبعون من شعب الإيمان، ص٤١٢، ج٧، رقم ١٠٨٠٠.

(٢) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب لباس النساء، ص٦٠، ج٤. رقم ٤٠٩٨.

المبحث الثالث

الأمور التي تحل في اللباس

١- أحل من اللباس الذهب والحرير للنساء دون الرجال لحديث رسول الله ﷺ: «أُحِلَّ الذهب والحرير لإناث أمتي وحُرِّمَ على ذكورهما»[1].

ويجوز لبسه للرجل للضرورة كحر أو برد مهلكين أو فجاءة حرب، ولم يجد غيره.

وللحاجة كجربٍ وحكة ودفع قمل لما روي عن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام في لبس الحرير لحكة كانت بهما، وأنه رخص لهما لما شكوا إليه القمل.

٢- ويحل الحرير إذا ما طرز أو طُرِّفَ قدر العادة، وفي التطريف قدر أربع أصابع في الطراز، فإن جاوز ذلك حرم، لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير إلا موضع إصبعين أو ثلاث أو أربع)[2].

وروي أيضاً عن أسماء بنت أبي بكر أنه ﷺ كانت له جبة يلبسها مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج.

٣- أحل الرسول ﷺ للنساء وحثهن على خضاب الأيدي، والعمل على ألا تشبه يد الرجل في الخشونة الجفاف، بل جعله مستحباً، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أن هند بنت عتبة قالت: يا نبيَّ الله بايعِني قال: «لا أبايعك حتى تغيري كفيك، كأنهما كفا سبع»[3].

---

(١) مجتبى النسائي، كتاب الزينة، باب تحريم الذهب على الرجال، ص١٦١، ج٨، رقم ٥١٤٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب لبس الحرير وافتراشه للرجال، ص٢١٩٣، ج٥، رقم ٥٤٩١.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب في الخضاب للنساء، ص٧٦، ج٤، رقم ٤١٦٥.

وعن عائشة رضي الله عنهما أن امرأة أومأت من وراء ستر، بيدها كتابٌ إلى رسول الله ﷺ فقبض يده وقال: (ما أدري أيد رجل أو يد امرأة، قالت: بل يد امرأة، فقال: «لو كنت امرأة لغيرت أظفارك»[1] يعني الحناء، وبالنسبة لخضاب الرجال فمن باب مخالفة اليهود والنصارى، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»[2]، وفي النصوص استحباب خضاب الشيب للرجال والمرأة بصفرة أو حمرة، ويحرم خضابه بالسواد على الأصح، وقيل: يكره تزيينها، واختار النووي التحريم.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب في الخضاب للنساء، ص٧٧، ج٤، رقم ٢١٦٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ص١٢٧٥، ج٣، رقم ٢٢٧٥.

المبحث الرابع

الأمور المنهي عنها في اللباس

١- نهى الإسلام عن تشبه الذكر بالأنثى وبالعكس، لأن التشبة محاولة انسلاخ كل منهما عن خصائصه الفطرية التي فُطِر عليها ومؤهلاته الخلقية التي خُلِق عليها ليماثل أو يشابه الجنس الآخر سواء باللباس أو الحركة أو الصوت أو غيرها لاعتقاده الخاطىء ألا فارق بين الذكر والأنثى، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات]، وقوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم]، وأكد على ذلك رسول الله ﷺ، يقول ابن عباس رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل)[٢].

وقف الرسول ﷺ موقفاً حازماً من العابثين بالفطرة السليمة والطبيعة السليمة، المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال، حتى تستقيم الأمور ويتمسك الرجل برجولته، ويعتز بها وتصون المرأة أنوثتها وترعاها.

اللعن بمعنى الطرد والإبعاد من رحمة الله بهذه الأصناف، إن رسول الله ﷺ أكرم الخلق على الله تعالى، وأحبهم إليه، ودعاؤه للمؤمنين سَكنٌ ورحمة، ودعاؤه على الضالين شقاء وبلاء، والمرء في العادة لا يلعن أحداً، إلا إذا كان غاضباً منه، ورسول الله ﷺ لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله تعالى، ولو تتبعنا الأحاديث الواردة في لعنه ﷺ لوجدناها تنصب على طوائف من الناس تتصف أعمالها بمخالفة دين الله تعالى، وسنة نبيه الكريم ﷺ فلعنه آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وبائع الخمرة ومبتاعها وحاملها

---

(١) رواه البخاري، ص٢٩١، ج٧.

(٢) رواه أبو داود، وقال: حديث صحيح.

وعاصرها وشاربها وشاهد محلها، تأكيد على ذلك، لأن أعمالها جميعاً تخالف شرع الله تعالى، وتضر بالفرد والمجتمع.

والمخنثون طائفة من الذين لعنهم الرسول ﷺ هؤلاء خلقهم الله ذكوراً فأبوا إلا أن يلحقوا بجنس الإناث، فتراهم يسلكون سلوك النساء، ويلبسون من الملابس ما تتميز به الفتيات، ويرسلون شعورهم، ويطيلون أظفارهم إلى غير ذلك، حتى ليصعب على الناظر إليهم من بعيد تميزهم عن الإناث.

وهؤلاء المخنثون مقلدون يحاكون غيرهم من أبناء الأمم الأخرى بلا وعي ولا فهم وقد ينخدع بهم غيرهم من الشباب، فتنشر هذه النماذج الشاذة في الأمة الإسلامية مما يؤدي إلى ضعف الرجولة، وفقدان الفتوة فلا يحوز الوطن مجداً ولا يرفع رأساً، وأنى له ذلك؟ وفتيانه هم ثروته، وشبابه هم عماده.

وفي رواية البخاري: لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء»، والمخنث: من فيه انخناث وهو التكسر والتثني كما يفعله النساء لا الذي يفعل الفاحشة الكبرى.

فاللعن للاتي خلقهن الله إناثاً فجنحنَ إلى التشبه بالرجال، وعمدن إلى تقليدهم في المظهر والصوت والحركة والسلوك بلا خجل ولا حياء، محاكيات بذلك من انحرفن من الأمم الأخرى، متناقضات في هذه المواقف مع طبيعتهن التي خلقها الله، مدعيات أن هذا تطور وتقدم، وما هو بتطور ولا تقدم بل إنه انتكاس وفهم خاطىء، وضعف في الشخصية، فليس التطور هو الخروج على منهج الله، وليس التطور مخالفة للطبيعة السوية، وليس التطور لبس ملابس الرجال أو مزاحمتهم في الأعمال الشاقة، أو هجر البيت والنفور من تربية الأبناء ورعاية الزوج، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ الرَّجُلَ يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل) يريد ﷺ أن يحفظ ابن آدم هيبته ورجولته وشجاعته فلا ينزل إلى درك النساء، ويتخلق بنعومتهن وضعفهن، وكذلك السيدة تحافظ على صورتها فلا تتخشن ولا تتوحش ولا تحاكي الرجل في ملبسه، وإلا فالمتشبّه يستحق أن تحل عليه نقمة الله ويحيط عذابه به ويرى كل ازدراء وسخط.

إن التطور والتقدم دين وخلق، أدب وعلم، وشخصية عاقلة وفكر ثاقب، واعتزازٌ بما

وهب الله وهيأ له واستجابة لما يتفق مع الطبع والمنطق.

٢- نهى الإسلام عن التشبه بالحيوانات والبهائم، كأن يسكن في الأماكن القذرة والموحشة، ولا يغتسل ولا يمتشط ولا يتطهر ولا يقص شعره ولا يقلم أظافره ولا يستر عورته وبدنه وغير ذلك، وهذا خروج عن الفطرة التي خلق الإنسان عليها قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد]، وقوله ﷺ: «من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه»[١]، وقوله ﷺ: «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر، ولا يتجردان تجرد العيرين»[٢].

٣- نهى الإسلام عن التشبه بالشيطان، بأن لا يتقيد المتشبه بالشيطان بحدود ولا نظام ولا أخلاق ولا آداب ولا دين ولا قيم ولا مفاهيم، كما هو حال الشيطان الخارج عن الطاعة المطرود من الرحمة. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة]، وقال ﷺ: «لا تأكلوا بالشمال فإن الشيطان يأكل بالشمال»[٣].

٤- نهى عن التشبه بالكفار والفساق والعصاة، لأنهم خارجون عن الفطرة فالإنسان مفطور على الإيمان بالله وعبادته، وعلى الاستسلام له وطاعته، وعلى الاعتراف له بالمنة والفضل.. وقد خلق الإنسان للعبادة، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات] فلا ينبغي لغافل أن يقلدهم أو أن يتشبه بهم، وإلا صار مثلهم وتدنى إلى مستوى الشاذ المنحط، قال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[٤]، وقال ﷺ: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»[٥]، وقد رأى النبي ﷺ على

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الحدود، باب فيمن أتى بهيمة، ص١٥٩، ج٤، رقم ٤٤٦٤.

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب التستر عند الجماع، ص٦١٨، ج١، رقم ١٩٢١.

(٣) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب، ص١٥٩٨، ج٣، رقم ٢٠١٩.

(٤) رواه أبو داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهوة، ص٤٤، ج٤، رقم ٤٠٣١.

(٥) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ص١٢٧٥، ج٣، رقم ٣٢٧٥.

عبد الله بن عمر ثوبين معصفرين فقال له: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»[1]، وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عتبة بن فرقد (إياك من أهل الشرك)[2].

---

(١) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، ص١٦٤٧، ج٣، رقم ٢٠٧٧.

(٢) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، ص١٦٤٢، رقم ٢٠٠٦٩.

المبحث الخامس

حكم زينة الذهب والفضة والحرير

يحرم على الرجال لبس الحرير والتختم بالذهب، ويحل للنساء، ويسير الذهب وكثيره سواء، ويحرم على الرجال لبس الحرير، وكذا التغطية به، والاستناد إليه وافتراشه والتدثر به، وكذا اتخاذه بطانة وستراً وسائر وجوه الاستعمال وحجة ذلك نهيه ﷺ عن ذلك، و«نهانا رسول الله ﷺ عن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه».

وعلة النهي أن فيه خيلاء وخنوثة لا تليق بشهامة الرجال، ولهذا لا يلبسه إلا الأراذل الذين يتشبهون بالنساء الملعونين على لسان رسول الله ﷺ، ويحل لبسه للنساء لقوله ﷺ: «أحل الذهب والحرير لإناث أمتي وحرم على ذكورها»[١].

وفيه لطيفة شرعية: وهو أن لبسه يميل الطبع إلى وطء النساء، فيؤدي إلى ما طلبه سيد الأولين والآخرين ﷺ وهو كثرة النسل، ويحل الثوب المطرز والمطرف الذي جعل طرفه حريراً كالطوق والفرج ورؤوس الأكمام والذيل، ظاهراً كان التطريف أم باطناً، والأصل في ذلك أحاديث منها:

ما رواه عمر رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير إلا في موضع إصبع أو إصبعين أو ثلاث أو أربع)[٢]، وهذا في التطريف والتطريز بالحرير، أما الذهب فإنه حرام لشدة الإسراف، وقد صرح بذلك البغوي وهي مسألة حسنة ينبغي أن يتنبه لها، فإن كثيراً من الأراذل من أبناء الدنيا يدفع إليه في وقت الوضوء أو الحمام شملة، أو منشفة مطرفة بالذهب فيستعملها، وربما جاء إلى المسجد ووضعها تحت جبهته في وقت الصلاة، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ

---

(١) مجتبى النسائي، كتاب الزينة، باب تحريم الذهب على الرجال، ص١٦١، ج٨، رقم ٥١٤٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب لبس الحرير وافتراشه للرجال، ص٣١٩٣، ج٥، رقم ٥٤٩١.

أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور].

إن رسول الله ﷺ سنَّ قانون الشهادة والشجاعة والاقتصاد للرجال فحرم عليهم لبس الحرير واستعمال أواني الذهب والتختم به وذلك ليتعود الرجال الخشونة ويتركوا الخنوثة وليقتصدوا في إنفاقهم، فيغني عن ثوب الحرير الغالي الثمن مثله في القطن أو الكتان أو العرف ما يستر العورة ويقي الحر والبرد.

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النحل]، ﴿سَكَنًا﴾ موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ تتخذون القباب من الأدم يخف حملها، ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ وقت ترحالكم، والصوف للضأن والوبر للإبل والشعر للمعز ﴿أَثَٰثًا﴾ ما يلبس ويفترش، ﴿وَمَتَٰعًا﴾ ما يتجر به لصلابتها تبقى مدة طويلة ﴿وَسَرَٰبِيلَ﴾ ثياباً من الصوف والكتان والقطن وغيرها ﴿تُسْلِمُونَ﴾ تنظرون في نعمة فتؤمنون به وتنقادون لحكمه. لقد ساق الله ذلك، ولم يذكر الحرير أو الذهب ليتمتع بها الرجال، وجاء نهي النبي ﷺ عن لبس الحرير والتختم بالذهب ليمشي المسلمون على هذا النبراس الوهاج والحكمة الخالدة، لقوله ﷺ: «كُلْ ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان، سرف ومخيلة»[1]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان].

وأما بالنسبة للأسنان من الذهب فقد ذهب أبو حنيفة إلى أنه يجوز شد الأسنان بالفضة عند الحاجة إلى ذلك، ومذهب صاحبه محمد وأبو يوسف أنه يجوز بالذهب أيضاً، وقد جعلا ذلك قياساً على الأنف، فقد ورد في السيرة أن صحابياً اسمه عرفجة أصيب أنفه في بعض المواقع، فاتخذ أنفاً من ذهب، وكان ذلك ضرورة ملحة فيجوز ويقاس على الأنف الأسنان، ولكن الإمام أبو حنيفة يقول: إن الضرورة في الأسنان تندفع باستعمال الفضة، ولا تندفع الضرورة في الأنف إلا بالذهب، فيجوز عنده بالذهب في الأنف، ولا يجوز في الأسنان.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، ص٢١٨١، ج٥.

أما آنية الذهب والفضة، خوفاً من الكبر، حرم الإسلام أواني الذهب والفضة ومفارش الحرير الخالص في البيت المسلم، وتهدد النبي ﷺ من ينحرف عن هذا الطريق بالوعيد الشديد، وعن حذيفة رضي الله عنه قال: (نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج، وأن نجلس عليه، وقال: «هو لهم - أي الكفار - في الدنيا ولنا في الآخرة»[1]، وما حرم استعماله حرم اتخاذه تحفة وزينة.

وهذا التحريم للأواني والمفارش ونحوها تحريم على الرجال والنساء جميعاً، فإن حكمة التشريع هنا هو تطهير البيت نفسه من مواد الترف الممقوت، وما أروع ما قاله ابن قدامة: (يستوي في ذلك الرجال والنساء لعموم الحديث).

ولأن علة تحريمها الإسراف والخيلاء وكسر قلوب الفقراء، وهذا معنى يشمل الفريقين، إنما أبيح للنساء التحلي للحاجة إلى التزين للأزواج، فتخصيص الإباحة به دون غيره، فإن قيل: لو كانت العلة ما ذكرتم لحرمت آنية الياقوت ونحوه مما هو أرفع من الأثمان (الذهب والفضة)، قلنا: تلك لا يعرفها الفقراء فلا تنكسر قلوبهم باتخاذ الأغنياء لها بعد معرفتهم بها، ولأن قلقها في نفسها تمنع اتخاذها فيستغني بذلك عن تحريمها بخلاف الأثمان).

على أن الاعتبار الاقتصادي الذي أشرنا إليه في حكمة تحريم الذهب على الرجال أشد وضوحاً هنا، وأكثر بروزاً، فإن الذهب والفضة هما الرصيد العالمي للنقود التي جعلها الله معياراً لقيمة الأموال، وحاكماً يتوسط بينهما بالعدل، وييسر تبادلهما للناس، وقد هدى الله الناس إلى استعمالها نعمة منه عليهم ليتداولوها بينهم، لا ليحبسوها في بيوتهم في صورة نقود مكنوزة، أو يعطوها في شكل أوانٍ وأدوات منزلية.

وما أجمل ما قاله الإمام الغزالي في هذا المعنى في كتاب الشكر من الإحياء: (كل من اتخذ الدراهم والدنانير آنية من ذهب أو فضة، فقد كفر بالنعمة، لأن مثالَ هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس والأعمال التي يقوم بها أخسَّاء الناس، والحبس أهون فيه، وذلك أن الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة

---

(١) سنن البيهقي، كتاب صلاة الخوف، باب ما ليس له لبسه وافتراشه، ص٣١، ج٥، رقم

في حفظ المائعات أن تتبدد، وإنما الأواني لحفظ المائعات.

ولا يظن ظان أن في هذا التحريم تضييقاً على المسلم في بيته، فإن في الحلال الطيب مندوحة واسعة، وما أجمل الأواني من القيشاني والزجاج والخزف والنحاس وسائر المعادن الكثيرة! وما أجمل المفارش والوسائد من القطن والكتان وغيرها من المواد..!

الباب الخامس
آثار الزينة

الفصل الأول

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول

أثر الزينة على سلوك المسلم

كما علمنا في الفصول السابقة إن الزينة باطنة وظاهرة، وإن الزينة الظاهرة هي التي تظهر على الإنسان من خلال تصرفاته، أو من خلال منظره ومظهره الخارجي، فإما أن تكون زينة الخلق أو زينة الخلق، فزينة الخَلْق في الصفات التي يعرف بها من طول أو قصر، ومن جمال الوجه أو دمامته، من لون الشعر أو لون البشرة، من جنس الناس واختلاف نوعياتهم وصفاتهم قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم].

وأما زينة الخُلُق فهي التي يكتسبها من خلال إيمانه بالله تعالى، فالخُلُق هيئة راسخة في النفس، تصدر عنها الأفعال الإرادية الاختيارية من حسنة وسيئة وجميلة وقبيحة، وهي قابلة بطبعها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها، فإذا ربيت هذه الهيئة على إيثار الفضيلة والحق وحب المعروف، والرغبة في الخير، وروضت على حب الجميل وكراهية القبيح، وأصبح ذلك طبعاً لها تصدر عنه الأفعال الجميلة بسهولة، ودون تكلف قيل فيه خلق حسن، ونعتت تلك الأفعال الجميلة الصادرة عنه بدون تكلف بالأخلاق الحسنة، وزينة المعاملة، وذلك كخلق الحياء والحلم والأناة، والصبر والتحمل، والكرم والشجاعة والعدل والإحسان، وما إلى ذلك من الفضائل الخلقية، والكمالات النفسية.

كما إنها إذا أهملت لم تهذب التهذيب اللائق بها، ولم يعن بتنمية عناصر الخير الكامنة فيها، إذا ربيت تربية سيئة حتى أصبح القبيح محبوباً لها، والجميل مكروهاً عندها، وصارت الرذائل والنقائص من الأقوال والأفعال تصدر عنها بدون تكلف فيها: خلق

سيء، وسميت تلك الأقوال والأفعال الذميمة التي تصدر عنها الأخلاق السيئة، وذلك كالخيانة والكذب والجزع والطمع والجفاء والغلظة والفحش والبذاء وما إليها.

ومن هنا نوه الإسلام بالخلق الحسن، ودعا إلى تنميته في المسلمين، وتنميته في نفوسهم، واعتبر إيمان العبد بفضائل نفسه وإسلامه بحسن خلقه، وأثنى الله تعالى على نبيه ﷺ بحسن خلقه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، وأمره بمحاسن الأخلاق فقال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾ [فصلت].

وجعل الأخلاق الفاضلة سبباً تنال به الجنة العالية، فقال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران]، وبعث رسوله ﷺ بإتمامها فقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1]، وبين ﷺ فضل محاسن الأخلاق في غير ما قولٍ، فقال ﷺ: «ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق»[2]، وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[3]، وقال ﷺ: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً»[4]، وسئل عن «أي الأعمال أفضل؟ فقال ﷺ: «حسن الخلق»[5].

وحُسْنُ الخلق: بَسطُ الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى، وفيه ثلاث خصال:

١- اجتناب المحارم.

٢- طلب الحلال.

---

(١) سنن البيهقي، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق، ص٢٥٢، ج١، رقم ٢١٣٧٩.

(٢) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، ص٣٦٣، ج٤، رقم ٢٠٠٣.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء في استكمال الإيمان، ص٩، ج٥، رقم ٢٦١٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود، ص١٣٧٢، ج٣، رقم ٣٥٤٩.

(٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تفسير البر والإثم، ص١٩٨٠، ج٤، رقم ٢٥٥٣.

٣- التوسعة على العيال.

وقيل إن حسن الخلق أن يكون من الناس قريباً، وفيما بينهم غريباً، وقالوا في علامة حسن الخلق: أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول براً وصولاً وقوراً صبوراً شكوراً رضياً حليماً وفياً عفيفاً، لا لعاناً ولا سباباً، ولا نماماً ولا مغتاباً ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشاشاً هشاشاً، يحب في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويسخط في الله.

والحياء مطلوب من المسلم، فالمسلم عفيف حيي، والحياء خلقه، لأنه يعلم أن الحياء من الإيمان، لقول الرسول ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(١).

ونقيض الحياء البذاء، والبذاء فحش في القول والفعل وجفاء في الكلام، والمسلم لا يكون فاحشاً ولا متفحشاً ولا غليظاً، ولا جافياً، إذ هذه صفات أهل النار، لقول الرسول ﷺ: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»(٢)، وأسوة المسلم في هذا الخلق الرسول ﷺ إذ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها.

ويجب على المسلم أن يكون قليل الأذى نافعاً للناس، فلا يؤذي الناس قولاً ولا عملاً، ولا يؤذي جيرانه لقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»(٣)، وقوله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، فقيل له: من هو يا رسول الله؟ فقال: الذي لا يأمن جاره بوائقه»(٤).

---

(١) سنن النسائي (المجتبى)، كتاب الإيمان وشرائعه، باب ذكر شعب الإيمان، ص١١٠، ج٨، رقم ٥٠٠٥.

(٢) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحياء، ص٣٦٥، ج٤، رقم ٢٠٠٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ص٢٢٤٠، ج٥، رقم ٥٦٧٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب أثم من لا يأمن جاره بوائقه، ص٢٢٤٠، ج٥، رقم ٥٦٧٠.

ويكون نافعاً للناس فيساعدهم إذا احتاجوا إليه، ويشفع لهم في قضاء حوائجهم إن كان يقدر على ذلك، لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۝٢﴾ [المائدة]، وقوله سبحانه: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۝٨٥﴾ [النساء]، وقول الرسول ﷺ: «من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر عن معسرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[(١)]، وقوله ﷺ: «اشفعوا تؤجروا»[(٢)].

وأما أن يكون كثير الصلاح، فيستقيم المسلم في جميع أقواله وأعماله، ويكون كالشامة بين الناس معروفاً بصلاحه وتقواه وورعه، وفي هذه الحياة نجد أن الإنسان يتنازع بين الخيرِ والشر، وكثيراً ما ينساق إلى أحدهما بدافع داخلي أو مؤثر خارجي، والدين الإسلامي من أهم أهدافه وقاية الإنسان من نزعات الشر ببيان ضرره، والتحذير منه ودعوة الذين تورطوا إلى الاستقامة تبعاً لما رسمه الله لعباده، فالاستقامة هي أقوى سبب للرقي الأدبي والأخلاقي، وما سيطرت هذه الرغبة في قوم إلا صلح حالهم واستقر الإسلام فيما بينهم.

والإنسان إذا لم تصاحبه الرغبة في الاستقامة ضعف إقباله على الخير، وأصبح هدفاً سهلاً للتورط في الآثام، لهذا نرى الإسلام أولى الاستقامةَ اهتماماً خاصاً، ودعا إليها بأسلوب شائق يستهوي الأنفس، ويؤثر في أعمق أعماقها بما وعد المستقيمين من الأجر والثواب العظيم، وحسن المثوبة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١﴾ [فصلت].

ويطمئنهم الله بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣﴾ [الأحقاف] أي: لا خوف عليهم من عذاب يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ص٢٥٧٤، ج٤، رقم ٢٦٩٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة، ص٥٢٠، ج٢، رقم ١٣٦٥.

وراءهم بعد مماتهم، وجاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: أوصني يا رسول الله فأجابه الرسول بهذه الكلمة الموجزة الوافية: «قل آمنت بالله ثم استقم»[1].

ومما يتوافق مع معنى الاستقامة إصلاح النفس، لأن التمادي في الشر يجر إلى أوخم العواقب على النفس الإنسانية، وعلى المجتمع ولهذا وعد الله الذين يصلحون أنفسهم، بالغفران والرضى، قال سبحانه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة].

ومما ينسجم مع الاستقامة ما عبر عنه القرآن الكريم بتزكية النفس، ومعناها: الطهر من الدنس، والسمو عن النقائص، ووضع النفس حيث يطيب موضعها، ويرتفع قدرها، لتأخذ عند الله حظها من الرضوان، وبين الناس نصيبها من الكرامة، ولقد حث القرآن الكريم على تزكية النفس، ووعد بالفلاح من أخذ بها، فقال سبحانه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ [الأعلى].

وقال سبحانه في النفس الإنسانية: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا[2] ١٠﴾ [الشمس]، وبين سبحانه أن تزكية النفس لا يعود نفعها إلا على صاحبها، فلهذا يجب الحرص عليها: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾ [فاطر].

ووصفهم الله بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ٦١﴾ [المؤمنون]، وقول الرسول ﷺ: «أَحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس»[3]، فيكون هذا المسلم نافع لنفسه ولغيره من المسلمين، محباً لهم ينصحهم ويعينهم ويرشدهم إلى ما فيه خير وصلاح لهم ولغيرهم.

وأن يكون صدوقاً، فليس هناك صفة تكفل استقرار المجتمع، وتضمن الثقة بين الأفراد مثل الصدق، لذلك اعتبر أساساً من أسس الأخلاق والفضائل التي تبنى عليها المجتمعات، وهي أيضاً عنوان لرقي الأمم، وما فقدت هذه الصفة إلا حل محلها عدم الثقة وفقدان التعاون، فالصدق من ضرورات المجتمع، وينبغي أن ينال حظاً عظيماً من العناية في الأسرة والمدرسة، لأنه يحصل منه الخير الكثير، فيه ترد الحقوق، وبه يحصل

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب الرقاق، باب الأدعية، ص٢٢١، ج٣، رقم ٩٤٢.

(٢) دساها: أي: دنسها وهبط بها إلى الحيوانية.

(٣) المعجم الصغير، كتاب باب الميم، باب من اسمه محمد، ص٣٦٠، ج١، رقم ٨٦٢.

الناس على الثقة فيما بينهم، لهذا دعا الله سبحانه المؤمنين للتخلق به فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة].

ويقول الرسول ﷺ في الدعوة إلى الصدق: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[1].

فالمسلم صادق، يحب الصدق ويتحراه ويلتزمه ظاهراً وباطناً في أقواله وأفعاله، ولعلمه أن الصدق طريق إلى الجنة، وهي أسمى غايات المسلم، وأقصى أمانيه، فهو لا ينظر إلى الصدق كخلق فاضل يجب التخلق به لا غير، بل يذهب إلى أنه أبعد من ذلك بكثير، فالصدق من متممات إيمانه ومكملات إسلامه، إذ أمر الله به في قوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر].

وللصدق ثمرات طيبة يجنيها الصادقون منها راحة الضمير وطمأنينة النفس، والبركة في الكسب وزيادة الخير، والفوز بمنزلة الشهادة لقوله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[2] والنجاة من المكروه.

وللصدق مظاهر يتجلى فيها منها:

١- في صدق الحديث، فالمسلم إذا حدث لا يحدث بغير الحق والصدق، وإذا أخبر فلا يخبر بغير ما هو واقع، ولأنه يعلم أن الكذب في الحديث من سمات المنافق لقول الرسول ﷺ: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»[3].

٢- صدق المعاملة، فالمسلم إذا عامل أحداً صدقه في معاملته فلا يغش ولا يخدع،

---

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصدق والكذب، ص٣٤٧، ج٤، رقم ١٩٧١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة، ص١٥١٧، ج٣، رقم ١٩٠٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ص٢١، ج١، رقم ٣٣.

ولا يزور، ولا يغرر بحال من الأحوال.

٣- صدق العزم، فالمسلم إذا عزم على فعل ما ينبغي فعله لا يتردد في ذلك، بل يمضي في عمله غير ملتفت إلى شيء، أو مبال بآخر حتى ينجز عمله.

٤- صدق الوعد، فالمسلم لا يظهر في غير مظهره، ولا يظهر خلاف ما يبطنه، فلا يلبس ثوب الزور، ولا يرائي، ولا يتكلف ما ليس له لقول الرسول ﷺ: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»(١) ومعنى هذا أن المتزين والمتجمل بما لا يملك ليرى أنه غني يكون كمن يلبس ثوبين خَلِقين ليتظاهر بالزهد وهو ليس بزاهد ولا متقشف.

وأما أن يكون قليل الكلام، فهذه من الصفات التي يتميز بها المسلم عن غيره من الناس، وإذا تتبعنا المشاكل الخطيرة التي تنشأ في محيط الأسرة والمجتمع، لرأينا مصدرها في كثير من الأحيان الكلام السيىء أو كثرة الكلام أو اللغو(٢)، والإسلام دعا إلى الإعراض عن الثرثرة، والباطل من القول والعمل، وهو ما سماه لغواً لقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون]، وقد تكرر في القرآن الكريم النهي عن اللغو بصور شتى، قال الله تعالى في وصف عباده المقربين: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ۝٥٥﴾ [القصص]، ويقول أيضاً: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان].

ويدخل في معنى اللغو ما استحدثه الناس من صنوف اللهو الفاجر الذي لا يهذب النفس ولا يرقي الشعور، وذلك لاشتماله على كل ما يثير الشهوات ويفسد الخلق الإنساني، وإن من أسباب رقي الشعوب: إعراضها عن اللغو، وانهماكها في العمل المفيد المثمر، بعكس الشعوب المتخلفة التي يكثر في أفرادها اللغو والكلام الفاحش في أحاديثهم، وإضاعة الوقت بدون فائدة مجدية.

فالكلام الحسن مصدر عظيم للنجاح، وسبب في تكوين مجتمع راق، لهذا عني به المربون والمصلحون، ودعوا إلى مخاطبة الغير ومراعاة اللهجة اللينة، فاختيار الكلام الحسن اللين يجعل الإنسان محبوباً في بيئته، وسبباً للترقي في مجال عمله، وللحصول

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، ص٢٠٠١، ج٥، رقم ٤٩٢١.

(٢) اللغو: السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ونفع.

على أصدقاء كثيرين يقدمون له كثيراً من المعونة في مجال هذه الحياة، لهذا دعا الله إلى الكلام الحسن بقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء] يأمر الله المؤمنين في هذه الآية بأن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الحسن، فإن لم يفعلوا ذلك، واختاروا الكلام السيىء، فإن الشيطان يفسد بينهم فيقع الشر والخصومة، ويقول الله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة].

ويأمر الله بخفض الصوت لأن ذلك من أمارات الكلام الحسن، ويُشَبِّهُ الصوت المرتفع بنهيق الحمير للتنفير منه بقوله تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان].

وأن يكون كثير العمل فالمسلم لا يعجز ولا يكسل، بل ينشط، ويعمل ويحرص، إذ العجز والكسل خلقان ذميمان استعاذ منهما رسول الله ﷺ فكثيراً ما كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل»(١). وأوصى ﷺ بالعمل والحرص فقال: «احرص على ما ينفعك، واستعذ بالله ولا تعجز، وإذا أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل قَدَّرَ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»(٢).

فلهذا لا يرى المسلم عاجزاً ولا كسولاً، كما لا يرى جباناً ولا بخيلاً، وكيف يقعد عن العمل، أو يترك الحرص على ما ينفعه، وهو يؤمن بنظام الأسباب، وقانون السنن في الكون؟ ولا يكسل المسلم وهو يؤمن بدعوة الله إلى المسابقة في قوله تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين].

ولن يجبن المسلم أو يحجم، وقد أيقن بالقضاء، وآمن بالقدر، وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه بحال من الأحوال؟ ولم يقعد المسلم عن العمل، وهو يسمع هاتف القرآن به: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران] ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن، ص١٠٣٩، ج٣، رقم ٢٦٦٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، ص٢٠٥٢، ج٤، رقم ٢٦٦٤.

والمسلم لا يمس المسلم بسوء، ولا يناله بمكروه، لقول الرسول ﷺ: «كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[1]، وقوله ﷺ: «إن الله يكره أذى المؤمنين»[2]، وقوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[3]، وقوله ﷺ: «المؤمن من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم»[4].

والمسلم متواضع غير متكبر لقوله ﷺ: «ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله تعالى إليه»[5]، وقوله ﷺ: «إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد»[6]، ولما عرف عنه ﷺ من تواضعه لكل مسلم وهو سيد المرسلين، ومن أنه كان لا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين، ويقضي حاجتهما، وإنه قال: «اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين»[7].

والمسلم لا يغتاب أخاه المسلم، ولا يحتقره، أو يسخر منه، أو ينبزه بلقب سوء، أو ينم عنه حديثاً للإفساد لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات].

ولا يكون المسلم سباباً ولا نماماً ولا مغتاباً ولا جهولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً، لأنه يعلم أن سباب المسلم منهي عنه بقوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلمين، ص١٩٨٦، ج٤، رقم ٢٥٦٤.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء: لا يتناجى اثنان دون ثالث، ج١٢٨، ج٥، رقم ٢٨٢٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون، ص١٣، ج١، رقم ١٠.

(٤) مسند أحمد، كتاب أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، ص٤١٨، ج٢، رقم ٦٨٨٦.

(٥) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التواضع، ص٣٧٦، ج٤، رقم ٢٠٢٩.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، ص٢١٩٨، ج٤، رقم ٢٨٦٥.

(٧) سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة، ص٥٧٧، ج٤، رقم ٢٣٥٢.

كفر»[1]، ولا يحسده أو يظن به السوء أو يبغضه أو يتجسس عليه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات]، وقوله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا»[2].

والمسلم يخالق الناس بخلق حسن فيبذل لهم المعروف، ويكف عنهم الأذى، ويوقر الإنسان إن كان كبيراً، ويرحمه إن كان صغيراً، ويعفو عن زلته، ويستر عورته، ويساعد محتاجه، وينصفه من نفسه، ويعامله بما يحب أن يُعامل به، وينصره ولا يخذله، ويحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وينصحه له إذا ما استنصحه في أمر من الأمور، فيبين له الصواب في الأمر ويجنبه الخطأ والزلل، ويبر بقسمه إذا أقسم عليه.

فهذه مجموعة من الصفات التي يتزين بها المسلم، ويُعرفُ بها من خلال تصرفاته وأفعاله وأقواله، فهذه من ضمن الزينة الظاهرة أو الزينة المكتسبة التي يكتسبها من خلال دخوله في الإسلام، لأن الإسلام يهذب النفوس ويعلمها، ويجعلها نفساً راضية خالصة لله سبحانه وتعالى تفعل ما يرضي الله حباً في خالقها، وطاعة لربها، وشكراً على ما وهبها من نعم لا تعد ولا تحصى، فهذه الصفات التي يتصف بها المسلم تكون زينة له في الحياة الدنيا تؤثر في سلوكياته، وتؤثر فيمن حوله من الناس سواء أكانوا مقربين منه كالأب أو الأم، أو الإخوة أو الأخوات، أو أبعد من ذلك مثل الأخوال والأعمام أو الأقارب أو الجيران، أو الأصحاب والأصدقاء من المسلمين وغيرهم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن منأن يحيط عمله، ص٢٧، ج١، رقم ٤٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، ص١٩٨٦، ج٤، رقم ٢٥٦٤.

المبحث الثاني

أثر الزينة على بيت المسلم

المسكن أو البيت: هو الذي يسكن المرء فيه، ويشعر فيه بالخصوصية والحرية من كثير من قيود المجتمع، فيستريح فيه الجسد، وتسكن إليه النفس، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا ﴿٨٠﴾﴾ [النحل] في معرض الامتنان على عباده. وكان النبي ﷺ يحب سعة الدار، ويعد ذلك من عناصر السعادة الدنيوية، فيقول: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء»[1].

وكان يدعو كثيراً بهذه الدعوات: «اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي في رزقي، فقيل له: ما أكثر ما تدعو بهذه الدعوات يا رسول الله؟ فقال: «وهل تَركنَ من شيء»[2].

كما حث ﷺ على نظافة البيوت لتكون مظهراً من مظاهر الإسلام، فالإسلام دين النظافة وعنوان يتميز به المسلم عن غيره، ممن جعل دينهم القذارة من وسائل القربة إلى الله، قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود»[3].

ولا حرج على المسلم أن يزين بيته ويجمله بألوان الزهور، وأنواع النقوش، والزينة الحلال، لقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف]، ولا حرج على المسلم في أن يعشق الجمال في بيته، وفي ثوبه، وفي نعله، وكل ما يتصل به، وقد قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، فقال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب النكاح، باب النكاح، ص٣٤٠، ج٩، رقم ٤٠٣٢.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، ص٥٢٧، ج٥، رقم ٣٥٠٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة، ص٧٠٣، ج٢، رقم ١٠١٥.

الحق[1] وغمط الناس[2]»[3].

وفي رواية: أن رجلاً جميلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني أحب الجمال، وقد أُعطيت منه ما ترى، حتى ما أحب أن يفوتني أحد بشراك نعل، أفمن الكبر ذلك يا رسول الله؟ قال: «لا ولكن الكبر بطر الحق وغمط الناس»[4].

بيد أن الإسلام يكره الغلو في كل شيء، والنبي ﷺ لم يرض للمسلم أن يشتمل بيته على مظاهر الترف والسرف التي نص عليها القرآن، أو مظاهر الوثنية التي حاربها دين التوحيد، بكل سلاح.

حرم الإسلام في البيت المسلم أن يشتمل على التماثيل، وأعني بها الصور المجسمة غير الممتهنة، وجعل وجود هذه التماثيل في بيت المسلم سبباً في أن تفر عنه الملائكة، وهم مظهر رحمة الله ورضاه تعالى، قال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل - أو تصاوير -»[5]، وقال العلماء: إنما لم تدخل الملائكة البيت الذي فيه الصورة، لأن متخذها قد تشبه بالكفار، لأنهم يتخذون الصور في بيوتهم ويعظمونها، فكرهت الملائكة ذلك فلم تدخل هجراً له.

وحرم الإسلام على المسلم أن يشتغل بصناعة التماثيل، وإن كان يعملها لغير المسلمين، قال ﷺ: «إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور»[6]، وفي رواية: «الذين يضاهئون بخلق الله»[7]، وأخبر ﷺ أن من صوَّر صورة

---

(١) بطر الحق: رده وعدم قبوله، ورفض الخضوع له.

(٢) غمط الناس: احتقارهم.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ص٩٣، ج١، رقم ٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ص٩٣، ج١، رقم ٩.

(٥) صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، باب الصور والمصورين، ص١٦٠، ج١٣، رقم ٥٨٤٩.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، ص٢٢٦٥، ج٥، رقم ٥٧٥٨.

(٧) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ما وطئ من التصاوير، ص٢٢٢١، ج٥، رقم ٥٦١٠.

كُلِّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخٍ فيها أبداً، ومعنى هذا أنه يطلب إليه أن يجعل فيها حياة حقيقية، وهذا التكليف هو للتعجيز والتقريع.

والحكمة من تحريم التماثيل:

١- من أسرار هذا التحريم، وليس هو العلة الوحيدة كما يظن بعض الناس حمايةُ التوحيد، والبعد عن مشابهة الوثنيين في تصاويرهم وأوثانهم، التي يصنعونها بأيديهم ثم يقدسونها ويقفون أمامها خاشعين.

إن حساسية الإسلام لصيانة التوحيد من كل شبهة للوثنية، قد بلغت أشدها، والإسلام على حق في هذا الاحتياط وتلك الحساسية، فقد انتهى الأمر بأمم اتخذوا لموتاهم وصالحيهم صوراً يذكرونهم بها، ثم طال عليهم الأمد فقدسوها شيئاً فشيئاً، حتى اتخذت آلهة تُعبد من دون الله، ترجى وتخشى وتلتمس من عندها البركات، كما حدث لقوم ودٍّ وسواع ويغوث ويعوق ونسرا.

ولا عجب في دين كان من قواعد شريعته سد الذرائع ودرء المفاسد، أن يسد كل المنافذ التي يتسرب منها إلى العقول والقلوب شرك جلي أو خفي أو مشابهة للوثنيين، وأصل الغلو في الأديان، ولا سيما أن لا يشرع لجيل أو جيلين، وإنما يشرع للبشرية كلها في شتى بقاعها، وإلى أن تقوم الساعة.

وما يُستبعد في بيئة قد يُقبلُ في أخرى، وما يعتبر مستحيلاً في عصر قد يصبح حقيقة واقعة في عصر آخر قريب أو بعيد.

٢- ومن أسرار التحريم بالنسبة للصانع (المثَّال) أن ذلك المصور الذي ينحت تمثالاً، يملؤه الغرور حتى لكأنما أنشأ خلقاً من عَدَم، أو أبدع كائناً حياً من تراب، وقد حدث أن أحدهم نحت تمثالاً مكث في نحته دهراً طويلاً، فلما أكمله وقف أمامه معجباً مشهوراً أمام تقاسيمه وتقاطيعه حتى إنه خاطبه في نشوة من الغرور والفخر: تكلم..! تكلم..!

ولهذا قال الرسول الكريم ﷺ: «إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»[1]، وفي الحديث القدسي عن الله تبارك وتعالى عن رسول الله

---

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، ص٢٢٢٠، ج٥، رقم =

ﷺ: «ومَنْ أظلمُ ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة»[1].

٣- ثم إن الذين ينطلقون في هذا الفن إلى مداه لا يقفون عند حد، فيصورون النساء عاريات أو شبه عاريات، ويصورون مظاهر الوثنيين، وشعائر الأديان الأخرى كالوثن وغير ذلك مما لا يجوز أن يقبله المسلم.

٤- وفضلاً عن ذلك، فقد كانت التماثيل - ولا تزال - من مظاهر أرباب الترف والتنعم، يملأون بها قصورهم، ويزينون بها حجراتهم، ويتفنَّنون في صنعها من معادن مختلفة، وليس بعيداً على دين يحارب الترف في كل مظاهره وألوانه من ذهب وفضة وحرير أن يحرم كذلك التماثيل في بيت المسلم.

وخوفاً من الكبر حرم الإسلام أواني الذهب والفضة ومفارش الحرير الخالص، في البيت المسلم، وتهدد النبي من ينحرف عن هذا الطريق بالوعيد الشديد، روي عن أم سلمة رضي الله عنها: (أن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة، إنما يجرجر في بطنه نار جهنم)[2].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: (نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج، وأن نجلس عليه، وقال: «هو لهم - أي الكفار - في الدنيا، ولنا في الآخرة»[3]، وما حرم استعماله حرم اتخاذه تحفة وزينة.

وهذا التحريم للأواني والمفارش ونحوها على الرجال والنساء جميعاً، فإن حكمة التشريع هنا هي تطهير البيت نفسه من مواد الترف الممقوت، وعلة تحريمها السرف والخيلاء وكسر قلوب الفقراء، وهذا معنى يشمل الفريقين، وكذلك التحريم كان للاعتبار الاقتصادي، فإن الذهب والفضة هما الرصيد العالمي للنقود التي جعلها الله معياراً لقيمة الأموال، وحاكماً يتوسط بينهما بالعدل، وييسر تبادلهما للناس، وقد هدى الله الناس إلى

= ٥٦٠٧.

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب نقض الصور، ص٢٢٢٠، ج٥، رقم ٥٦٠٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب آنية الفضة، ص٢١٣٣، ج٥، رقم ٥٣١٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب الشرب في آنية الذهب، ص٢١٣٣، ج٥، رقم ٥٣٠٩.

استعمالهما نعمة منه عليهم ليتداولوها بينهم لا ليحبسوها في بيوتهم في صورة نقود مكنوزة، أو يعطلوها في شكل أوان وأدوات للزينة.

المبحث الثالث

أثر الزينة على المجتمع الإسلامي

المسلم فرد في هذا المجتمع الكبير، ومجموع المسلمين يكونون هذا المجتمع الذي أراد الله له أن يكون خير مجتمع وأحسن مجتمع بقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران]. هذا المجتمع وهذه الأمة التي هذبها الله سبحانه وتعالى لتستحق أن تكون خير أمة أخرجت للناس، عن طريق تهذيب النفوس، وبعد ذلك تهذيب الأخلاق، ومن ثم يكون الفرد فرداً صالحاً نافعاً لنفسه ولغيره، وعرفنا كيف أن الإسلام هذب المسلم من خلال الصفات التي أوجب عليه أن يتصف بها ليعرف من خلالها بإسلامه وإيمانه بالله سبحانه وتعالى.

ومن بعد الفرد ينطلق ليهذب المجتمع ككل، ويوجههم إلى ما فيه كل خيرٍ وصلاح لهم لتكون أمتهم أفضل أمة أخرجت للبشرية جمعاء من حيث الرسالة ومن حيث الأوامر التي أمروا بها ومن حيث الأخلاق التي أوجبت عليهم أن يتخلقوا بها ليكونوا بحق خير أمة أخرجت للناس.

فأول هذه الخيرية التي منحت لأمة الإسلام حتى تكون أخير الأمم إرسال الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلمنا أن الله زين الأرض بالأنبياء وزين الأنبياء بالرسول ﷺ، وزين هذه الأمة بالإسلام، الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران].

هذا الدين الذي هذب النفوس والأفراد والمجتمع الإسلامي، وجاء بأفضل التعاليم التي تجعل من الأمة خير أمة أخرجت للناس، فأمر بالصدق والتعاون والنظافة، وجعل الطهارة مفتاح هذه الأمة، والإيثار وغيرها من الأخلاق الحميدة التي جعلها الله ميزة هذه الأمة، ولا شك أن الأخلاق هي الدعامة الأولى لحفظ كيان الأمم، والدعامة الأولى في بناء كل مجتمع سليم، والأخلاق هي أساس كل مجتمع، ومن أجل ذلك جاءت رسالة

الأنبياء جميعاً تدعو إلى الأخلاق الفاضلة، وجاء الإسلام وأكد على ذلك في كثير من الآيات القرآنية، ويكفي أن يشهد القرآن الكريم لرسول البشرية الذي أرسل للناس كافة بعظمة الخُلُق لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، وعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول الكريم قالت: (كان خلقه القرآن)(١).

ومن أبرز مميزات الحياة الروحية للمسلم التعاون على الخير للنهوض بالحياة الاجتماعية إلى المستوى الرفيع الذي يؤدي إلى رفاهية المجموع والتخفيف من آلام الغير، وقد أدركت المدنية الحديثة ميزة التعاون، فانتشرت فيها الجمعيات التعاونية حتى لا تكاد تخلو منها مدينة، وهي تعطينا الدليل القاطع على فوائد التعاون وضرورته لإسعاد الفرد والمجتمع.

ولقد كان لمبدأ التعاون حظه من العناية في القرآن الكريم، فدعا إليه بهذه الآية التي تشتمل على أروع المعاني الروحية، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۝٢﴾ [المائدة]، أمر القرآن الكريم بالتعاون على البر والتقوى، والبر في اللغة بمعنى: العطية والطاعة والصلاح والصدق.

فالبر كما تبين لنا كلمةٌ جامعة لكل معاني الخير والفضائل، والتقوى هي مخافة الله والعمل بطاعته، فالتعاون على البر والتقوى يتناول المؤازرة في كل عمل ينتج عنه الخير سواء أكان من وسائل السعادة في الآخرة، أو كان من وسائل سعادة الدنيا كالتعاون على بناء المدارس والمستشفيات وغير ذلك من أعمال الخير.

ثم يأتي الشطر الثاني من الآية وهو النهي عن الإثم والعدوان، فالإثم في اللغة: هو عمل ما لا يحل، وهذا يشمل كل الرذائل، والعدوان هو الظلم، ويدخل في الإثم والعدوان كل عمل يعود على النفس أو المجتمع بالفساد.

فالمتمعن في الآية القرآنية يرى أنها لم تكتف بالدعوة إلى التعاون وتخصيصه بالبر والتقوى بل انتقلت إلى التحذير من التعاون على معصية الله والإضرار بالغير، فالتعاون لا يدعو إليه الإسلام إلا إذا كانت غايته إسعاد النفس البشرية والغير، والذي إذا اتجهت إليه الجماعات حصلت على ما تطمح إليه من ازدهار وسلام.

---

(١) مسند أحمد، كتاب حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، ص١٣٣، ج٧، رقم ٢٤٠٨٠.

والإسلام دين النظافة والتجمل، وقبل أن يعنى الإسلام بالزينة وحُسن الهيئة، وجَّه عناية أكبر إلى النظافة، فإنها الأساس لكل زينة حسنة، وكل مظهر جميل، وحث ﷺ على نظافة الثياب، ونظافة الأبدان، ونظافة البيوت، ونظافة الطرق، وعني خاصة بنظافة الأسنان، ونظافة الأيدي ونظافة الرأس.

وليس هذا عجيباً في دين جعل الطهارة مفتاحاً لأولى عباداته وهي الصلاة، فلا تقبل صلاة مسلم حتى يكون بدنه نظيفاً وثوبه نظيفاً، والمكان الذي يصلي فيه نظيفاً، وذلك غير النظافة المفروضة على الجسد كله، أو على الأجزاء المتعرضة للأتربة منه، المعروفة في الإسلام بالغسل والوضوء.

وإذا كانت البيئة العربية بما يكتنفها من بداوة وصحراء، قد تغري أهلها أو الكثيرين منهم بإهمال شأن النظافة والتجمل، فإن النبي ﷺ ظل يتعهدهم بتوجيهاته اليقظة، ونصائحه الواعية، حتى ارتقى بهم من البداوة إلى الحضارة، ومن البذاذة المزرية إلى التجمل المعتدل.

جاء رجل إلى النبي ﷺ ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه الرسول كأنه يأمره بإصلاح شعره ففعل ثم رجع فقال ﷺ: «أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان»[1]، ورأى النبي ﷺ رجلاً رأسه أشعث فقال: «أما وجد هذا ما يسكن به شعره؟!»[2].

ورأى آخر عليه ثياب وسخة فقال: «أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه»[3]، وجاء إليه ﷺ رجل وعليه ثوب دون، فقال ﷺ: ألك مال؟ فقال: نعم، قال ﷺ: «من أي مال»، قال: من كل المال قد أعطاني الله تعالى، قال: «فإذا آتاك الله مالاً فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته»[4].

---

(١) الموطأ، كتاب الشعر، باب إصلاح الشعر، ص٩٤٩، ج٢، رقم ١٧٠٢٠.

(٢) أبو يعلى، كتاب مسند جابر، ص٢٣، ج٤، رقم ٢٠٢٦.

(٣) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في غسل الثوب وفي الخلقان، ص٥١، ج٤، رقم ٤٠٦٢.

(٤) سنن النسائي (المجتبى)، كتاب الزينة، باب الجلاجل، ص١٨٠، ج٨، رقم ٥٢٢٣.

وأكد الحث على النظافة والتجمل في مواطن الاجتماع، مثل الجمعة والعيدين فقال ﷺ: «ما على أحدكم إن وجد معه أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبي مهنته»[1].

كما حث الإسلام على الإحسان، وعرف الإحسان بمعنى الإنعام والتفضل أو فعل الحسن، والأفعال الحسنة تشمل كل خير، وكُلّ معاملةٍ ترقي وترفع من شأن الإنسانية، تُهذبُ نفسيةَ المرء وتقربه من خالقه، وعلى هذا المعنى جاءت وصايا القرآن الكريم في الدعوة إلى الإحسان والترغيب في إتيانه.

وإن تعاليم القرآن في الإحسان تشهد بأنه كتاب روحي يرتقي إلى أعظم مراقي السمو، ويعلو على أي مذهب أخلاقي أو ديني، فقد عالج الإحسان بما يؤثر في الشخصية الإنسانية من ناحية دوافع العمل، وشرح صفات المحسنين، ودعا إلى الإحسان الذي يحقق للإنسانية المثل العليا.

وبين القرآن الكريم منزلة الإحسان، وأنها الواجب الطبيعي للإنسان، وأن الله كما أحسن إليه بنعمه عليه أن يُحْسِنَ بهذه النعم إلى الخلق، لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۝٧٧﴾ [القصص]، وبين أن الإحسان تعود منفعته إلى المحسن لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۝٧﴾ [الإسراء] فإن المحسنين يشعرون بطمأنينة لا يشعر بها غيرهم، ويكفي ما يقابلون به من الذين يحسنون إليهم من الود والمحبة والتقدير مما يدخل السعادة إلى نفوسهم، بينما الإساءة تجعل صاحبها منبوذاً محتقراً لا يهنأ له عيش ولا يقر له قرار، ولهذا أمر الله بالإحسان بقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۝٩٠﴾ [النحل].

وجعل القرآن فئات من الناس أحق بالإحسان من غيرهم:

أولاً: الوالدان: لما لهما من فضل كبير على الإنسان في تربيته وتعليمه، وحدد القرآن كيفية معاملتهما وقرن الله سبحانه وتعالى عبادته بالإحسان إليهما بقوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ۝٢٤﴾ [الإسراء]، فمن خلال الآية الكريمة بين الله طريق المعاملة للوالدين فلا يجوز

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب اللبس للجمعة، ص٢٨٢، ج١، رقم ١٠٧٨.

للإنسان أن يتأفف من شيء يراه منهما، ولا ينغص عليهما بكلام يزجرهما به، وأن يقول لهما قولاً حسناً، وأن يحترمهما، ويتواضع لهما، ويدعو لهما بالرحمة.

ثانياً: الأقارب والجار القريب اليتامى والمساكين: وقد جاء ذلك محدداً بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء] جمعت هذه الآية من أنواع الإحسان ما لو عمل به الناس لساد الخير فيهم.

من ذلك عبادة الله وحده والإحسان إلى الوالدين وذي القربى من أخ وأخت وعم وعمة وخال وخالة وأولاد هؤلاء وسائر الأقربين، وبذلك تصلح الأمة لأنها تتكون من مجموعة أسر، ثم أمر الله بالإحسان إلى اليتامى لأنهم فقدوا المعين وهو الأب، وقلما تستطيع الأم لوحدها أن تقوم بتربيتهم وإعالتهم، وإذا أهمل اليتيم أصبح وجوده ضاراً على الأمة لجهله وفساد أخلاقه، وكذلك أمر الله بالإحسان إلى الجار ذي القربى أي: القريب الجوار، والبعيد الجوار، وبذلك تتوثق المحبة بين أهل الحي الواحد فيتعاونون على الخير، ثم أوصى الله بالإحسان إلى الصاحب بالجنب وهو الرفيق في سفر أو مدرسة أو صناعة أو عمل، والإحسان إليه يؤدي إلى صداقة متينة تنتج أبرك الثمرات، ثم أوصى الله بالإحسان إلى ابن السبيل وهو المسافر الذي فقد ماله في الطريق قبل أن يبلغ بلده.

ثالثاً: الخادم وابن السبيل: وهو لابن السبيل بقضاء حاجته وسد خلته، ورعاية ماله، وصيانة كرامته، وبإرشاده إن استرشد، وهدايته إن ضل.

وهو للخادم بإيتائه أجره قبل أن يجف عرقه، وبعدم إلزامه ما لا يلزمه أو تكليفه بما لا يطيق، وبصون كرامته، واحترام شخصيته، وإطعامه مما يطعم أهله، وكسوته مما يكسوهم، وهو لعموم الناس بالتلطف في القول لهم، ومجاملتهم في المعاملة والمخاطبة بعد أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وبإرشاد ضالهم، وتعليم جاهلهم وبإنصافهم من النفس، والاعتراف بحقوقهم، وبكف الأذى عنهم بعدم ارتكاب ما يضرهم أو فعل ما يؤذيهم.

رابعاً: الحيوان: بإطعامه إنْ جاع، ومداواته إن مرض، وبعدم تكليفه ما لا يطيق وحمله على ما لا يقدر، وبالرفق به إن عمل، وإراحته إن تعب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن امرأة دخلت النار في هرة ربطتها فلم تدعها تصيب من خشاش الأرض، ولم تطعمها ولم تسقها، حتى ماتت»(١)، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء فسقى الكلب، فشكر الله فغفر له، قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجراً؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر»(٢).

وصفة الإحسان خير يعم على جميع فئات الناس، وبها يحققون المجتمع الفاضل والخيرية التي أرادها الله لهذه الأمة بأن تكون خير أمة أخرجت للناس.

وكذلك صفة الإصلاح بين الناس فهي صفة من أرفع الصفات الإنسانية التي لا تصدر إلا من قلوب نبيلة أحبت الغير، فالإصلاح بين الناس يؤتي الخير والنفع للمجتمع، ويجعل الناس وحدة مترابطة لهذا أمر الله بالإصلاح بين المؤمنين الذين تجمع بينهم الأخوة الدينية لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۝١٠﴾ [الحجرات]، ودعا إلى الإصلاح بين طوائف المؤمنين إذا حصل بينها خلاف وبَيَّن الطريقةَ المثلى في ذلك بقوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۝٩﴾ [الحجرات].

ومن الصفات الكريمة التي يتصف بها المجتمع المسلم والتي تميزه عن غيره من المجتمعات صفة الإيثار وهو تفضيل الغير على النفس وهو ضد الإنسانية، وهو شعار النفوس لكبيرة لخدمة الإنسانية، ويعكس الأثرة وهو تفضيل النفس على الغير.

والإيثار له أكبر الأثر في تحقيق المحبة بين الناس وتوثيق عراها بين المجتمع وأفراده، إذ يجعلهم متعاطفين متعاونين، يعكس الأثرة التي تجعل صاحبها مكروهاً منبوذاً من المجتمع لأنه لا يرغب أن يؤدي حقه فيه، ولهذا دعا الإسلام إلى الإيثار ومدح الذين

(١) مسند أحمد بن حنبل، تتمة مسند أبي هريرة، ص٣٠٤، ج٣، رقم ١٠٢٠٦.
(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الأبار على الطريق إذا لم يتأذ بها، ص٨٧٠، ج٢، رقم ٢٣٣٤، وفي صحيح مسلم، كتاب السلام، باب فضل ما في البهائم المحترمة وإطعامها، ص١٧٦١، ج٤، رقم ٢٢٤٤.

تخلقوا به بقوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ ﴾ [الحشر].

هذه مجموعة من الصفات التي تزين المجتمع الإسلامي الذي أخذ القرآن له منهجاً وسبيلاً، وتخلق بالأخلاق الفاضلة التي تجعل منه مجتمعاً خيراً كما أراد الله تعالى له أن يكون.

المبحث الرابع
أثر الزينة على المجتمع غير الإسلامي

أعطى الإسلام لأصحاب الديانات السماوية الأخرى من الحرية الدينية ما لم تُعط في غيره، فنجد أن الإسلام سار على مبادىء حددها ورسمها الإسلام:

١- فأول هذه الحدود أن لا يكره أحد على الدخول في الدين الإسلامي، لأن الإسلام دين عقيدة وعمل، فلا بد لمن يدخله أن يدخله عن اقتناع تام؛ حتى ينفذ الأوامر التي تطلب منه للعبادة، ويكون بحق مسلماً طائعاً لله في جميع ما أمر، أما إذا دخل الإسلام مكرهاً فسوف يكون إيمانه وإسلامه ظاهراً وليس يقيناً، فقد قال الله تعالى في ذلك: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة].

٢- أزال الإسلام الأحقاد الدينية لعلمهم أن اختلاف الأديان أمر إلهي وإرادة الله أن يكون هناك أمم غير أمة الإسلام، لها حريتها، وذلك لقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴿١١٩﴾ ﴾ [هود].

٣- أباح الإسلام لهم حرية في دينهم، فالإسلام حرم شرب الخمر على المسلمين وأقام الحد على شاربها، وأباح لهم أن يشربوها وحرم على المسلمين أكل لحم الخنزير، وأباح لهم أكله، ولقد بالغ الإسلام في حماية حرية المخالفين إلى حد إذا أراق خمراً لذمي يعيش تحت راية الإسلام أو قتل خنزيراً له، وجب عليه أن يدفع قيمة ما أتلف.

٤- أعطاهم الأمان فلا تمس عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم وهذا ما قطعه عمر بن الخطاب على نفسه لأهل القدس (أعطاهم الأمان لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها: أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم..).

٥- ومن آثار الحرية الدينية ما رسمه الإسلام من أدب المناقشة الدينية ومجادلة أهل

الكتاب مجادلة أساسها العقل والمنطق وعماده الإقناع بالتي هي أحسن، لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت].

٦- وأباح للمسلمين التعامل معهم، ومن هذا التعامل إباحته طعام أهل الكتاب، وتحليله لذبائحهم، وإباحته للمسلم أن يتزوج من نسائهم لقوله تعالى: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ ﴿٥﴾ ﴾ [المائدة]، والمؤاكلة والمصاهرة تدعو للمحبة وحسن المعاشرة والإخلاص في المعاملة.

وأعطى النبي ﷺ مثلاً أعلى في تعامل أهل الكتاب، فقد روي أنه كان يحضر ولائمهم ويشيع جنائزهم، ويعود مرضاهم، ويزورهم ويكرمهم، حتى روي: أنه لما زاره وفد نجران فرش لهم عباءته ودعاهم إلى الجلوس عليها.

وروي ﷺ أنه كان يقترض من أهل الكتاب نقوداً ويرهنهم أمتعته، حتى إنه ﷺ توفي ودرعه مرهونة عند بعض يهود المدينة في دَيْنٍ عليه، ولم يخلص درعه إلا خلفاؤه بعد وفاته، كان يفعل ذلك لا عجزاً من أصحابه عن إقراضه، ولكنه كان يفعل ذلك تعليماً وإرشاداً لأمته.

وقد سار المسلمون على سيرة نبيهم ﷺ، فعاشروا غيرهم من أهلل الملل والنحل الأخرى بصفاء ووئام، فكان اليهودي والنصراني يجاوران المسلم فيتزاورون ويتهادون لا يفصلهم إلا المسجد والكنيسة والبيعة.

هذا غيض من فيض من المعاملات التي سنها الإسلام للتعامل مع أهل الكتاب الذين هم في دار المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وكله من زينة المعاملة التي أمر بها المسلم في سلوكه مع الناس في المجتمع غير المسلم.

الفصل الثاني
التبرج وآثاره
المبحث الأول
الفرق بين الزينة الحسنة والزينة السيئة

إن الجمال منبث في الكون كله، في السماء وفي الأرض، وفي الإنسان والحيوان، وفي النبات والجماد، وفي سائر المخلوقات التي خلقها الله تعالى، وجمال المخلوقات دال على جمال الخالق الموصوف بجميع صفات الكمال والجمال، والمنزه عن جميع صفات القبح والنقص.

والإنسان بقدر ما يتفكر ويتدبر في جمال الكون وعظمته، بقدر ما يستشعر جمال بارئه وعظمة خالقه جل وعلا، إن الله تعالى جميل يحب الجمال ولا يقبل إلا جميلاً، وإن الله تعالى طيب يحب الطيب ولا يقبل إلا طيباً، وإنه لا يرضى لعباده، ولا يشرع لهم إلا ما كان طيباً وجميلاً.

والإنسان بقدر ما يمثل أمر الله، وينتهي بنهيه ويعبده ويخلص له في عبادته بقدر ما يكون طيباً وجميلاً، فجمال الخالق بذاته وأسمائه وصفاته، وجمال المخلوق بإيمانه وعمله وعبادته. فقال ﷺ: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال»[1]، وقال أيضاً: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً»[2]، ومن هذا المنطلق الحكيم، وعلى هذا الأساس السليم، وبهذا الأسلوب الرزين يمكننا أن نقرر جمال الأشياء أو قبحها، وأن نحكم بحسنها أو دمامتها، وأن نعرف الجمال على حقيقته وجوهره دونما شائبة.

أما أن ننظر إلى جمال الأشياء بالمنظار الضيق المعوج للمنحرفين والشاذين، أو

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة، ص٧٠٣، ج٢، رقم ١٠١٥.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة، ص٧٠٣، ج٢، رقم ١٠١٥.

بالمنظار الكليل الباهت للمرضى أو السقماء، ثم نحكم على أساس ذلك بجمالها أو قبحها، فذلك جهل وبطلان وظلم وعدوان، لأنه الذي لا يرى الأشياء على حقيقتها يكون جاهلاً بها، والجاهل بالشيء لا يحتكم إليه، ومثال ذلك:

مريض البصر: يرى الألوان غير الألوان والأبعاد غير الأبعاد.

مريض الفم: يتذوق الحلو مراً والعذب مالحاً.

مريض الأنف: يشم الطيب كريهاً والعطر نتناً.

مريض المعدة: يقرف الشهي من الطعام، واللذيذ من الشراب.

مريض العقل: يحكم بغياب الشمس وهي طالعة في كبد السماء.

مريض النفس: يسره ما يحزن، ويحزنه ما يسر.

وهؤلاء المرضى جميعاً لا يحتكم إليهم بشيءو ولا يحكمون على شيء، وإذا حكموا فحكمهم باطل، وما أولئك الذين يجدون جمال المرأة بتهتكها وتبرجها وخلاعتها وميوعتها وتبذلها وتكشفها واختلاطها ووقاحتها، إلا مرضى يحتاجون إلى علاج، أو جهلة يحتاجون إلى توعية، أو مشبوقون تحت مطارق شهواتهم العارمة، ومقارع غرائزهم الهائمة، أو غرقى يحتاجون إلى إنقاذ وإسعاف، ومن الحمق والغباء والسفاهة والجنون أن يلجأ إلى المريض أو الجاهل أو الغريق ليؤخذ منه الحكم السليم على الأشياء.

إن نظرة الإسلام إلى جمال المرأة ليست محصورة بزاوية معينة منها، ولا بجانب من حياتها، ولا بطرف من كيانها، بل تشمل المرأة ظاهراً وباطناً وجسماً وروحاً وعملاً وإيماناً وفكراً وعقلاً وأخلاقاً وسلوكاً، وكذلك بالنسبة للرجل فلكل منهما طريقة في التزين، فينبغي للمرأة أن تتزين وتتجمل وتتحسن وتتطيب في بيتها لزوجها، وأبيح لها أن تستعمل ما شاءت من أدوات الزينة والتجميل من ثياب وحلي وحلل وطيب وخضاب وكحل وأصبغة مؤقتة، وغير ذلك مما ليس فيه تغيير أصلي أو تشويه فطري في خلق الله كتفليج الأسنان (أي التفريج بينهما) أو تقصيرها، وكالوشم وغير ذلك لأنه إسراف في التزين وإمعان في التجميل، وإفراط في التحسين، وهو غير جائز لقوله تعالى - على لسان إبليس اللعين -: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾

[النساء].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله)[1]، وبالتالي يشغل المرأة عن مهامها تجاه ربها وزوجها وأولادها ويجعلها أسيرة بدنها وثيابها وزينتها، والمهم في الأمر مراعاة القاعدة الفقهية العامة - لا إفراط ولا تفريط - وينبغي للرجل أن يتزين لزوجته بالجسم النظيف، والثوب الجميل والرداء الأنيق والبسمة اللطيفة، مما يزيد في الحسن والجمال ولا يتنافى مع رجولة الرجال، فالجمال بهذا المعنى، والتجمل بهذه الحدود، وإظهار الجمال بهذه الضوابط هو الذي يقرره الإسلام، وهو الذي تتصف به المرأة المسلمة، وواجبٌ التقيد والالتزام بعدم الخروج بالإفراط والتفريط.

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب المتفلجات للحسن، ص٢٢١٦، ج٥، رقم ٥٥٨٧.

المبحث الثاني

أثر التبرج على سلوك المسلم

تعريف التبرج: التبرج هو أن تظهر المرأة للرجال الأجانب - غير محارمها - ما يوجب عليها الشرع أن تستره من زينتها ومحاسنها وبدنها، والتبرج: هو أن تستعمل المرأة الطلاء والمساحيق والأصبغة وما يعرف بوسائل الزينة لإقناع الذين يرونها بأنها جميلة، دونما نظر لهؤلاء الذين يرونها، إن كانوا محارمها أو غير ذلك.. وهو محرم.. والأمر بالحجاب يعتبر نهياً عن التبرج.

وأما الاختلاط: فهو اجتماع الرجل والمرأة التي ليست بمحرم - أي التي يباح زواجها - اجتماعاً يؤدي إلى ريبة، أو هو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر أو الإشارة أو الكلام أو البدن من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد.. وهو محرم كذلك.

فخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية على أي حال من الأحوال تُعتبر من الاختلاط.. والأمر بالقرار في البيوت يعتبر من النهي عن الاختلاط، والنهي عن ذلك ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۝٣٣﴾ [الأحزاب]، وأما السنة النبوية فقد قال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»[1]، وقوله ﷺ: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية»[2].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات، ص١٦٨٠، ج٣، رقم ٢١٢٨.

(٢) سنن النسائي (المجتبى)، كتاب الزينة، باب ما يكره للنساء من الطيب، ص١٥٣، ج٨، رقم ٥١٢٦.

أمر بستر العورات، ونهى عن هتكها وكشفها أو إشاعته بوصفها، أو لبس ما يشف عنها بجسمها إلا لضرورة شرعية كالنكاح والتداوي وغيرها.. والضرورة تقدر بقدرها، وذلك حتى لا تتواصفها الألسن أو تفتتن بها النفوس أو تتهيج لها الشهوات.. فحرم التبرج وأمر بالحجاب، وذلك لتصان أخلاق النساء من التهتك وحياؤهن من السقوط، وكرامتهن من الابتذال، وليحفظ عفافهن من الدنس وطهرهن من الرجس وشرفهن من الامتهان.

إن الإسلام حين أمر النساء بالاحتجاب عن الرجال الأجانب، لأن منهم البَرَّ والفاجر، ومنهم الطاهر والعاهر، والحجاب يمنع الفتنة ويحجز عن دواعيها، ويدعو إلى الحياء والعفة، ويبعد عن مظان التهمة، ويحفظ النساء من تعرض الفساق لهن بالأذى والكلام القبيح والطعن البذيء، والنظر السيىء وغير ذلك من المفاسد والمساوىء.

وخير حجاب المرأة بيتها، لكن إذا خرجت منه لضرورة شرعية وجب عليها أن تستر جميع بدنها، وألا تظهر منه شيئاً إلا لضرورة شرعية، وأن يكون حجابها سميكاً لا يشف وفضفاضاً لا يجسم، وأن يكون خالياً من الزينة والعطر، وألا يشبه لباس الرجال أو لباس الكافرات أو الفاسقات المستهترات.

وعن عائشة رضي الله عنها قال: (بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد دخلت امرأة من مزينة ترفل في زينة لها في المسجد، فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد، فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا في المسجد»[(١)].

ونهى الإسلام عن الاختلاط وأمر بالقرار في البيوت لقول الرسول ﷺ: «إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون بروضة ربها وهي في قعر بيتها»[(٢)]، وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يخلونَّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا ومعها ذو محرم» فقال رجل: يا رسول الله إن

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب فتنة النساء، ص١٣٢٦، ج٢، رقم ٤٠٠١.

(٢) صحيح ابن خزيمة، كتاب الصلاة، باب اختيار صلاة المرأة في بيتها، ص٩٣، ج٣، رقم ١٦٨٥.

امرأتي خرجت حاجة، وإني كنت في غزوة كذا وكذا؟ فقال ﷺ: «انطلق فحج مع امرأتك»[1].

فحرم الاختلاط المشبوه، وأمر بالقرار في البيت، ولقد حرم الإسلام على المرأة مخالطة الرجال الأجانب وذلك للمحافظة على الثقة والمودة بينها وبين زوجها من أن يتدخل بينها وبينه أفاك أثيم، يشعل الخصومة ويثير الشكوك، ويرمي بالتهم والأكاذيب، ويفكك الأسر، ويهدم البيوت فوق أصحابها الآمنين الوادعين، وبنفس الوقت حتى لا تعرض المرأة نفسها لأن تفتن أحداً أو تفتتن بأحد، أو أن تتعرض لوسائل الإغراء وحبائل المكر والدهاء، فتتعثر وقد تقع أو تهوي في لوثة الإثم ناقضة للعهد ناكثة للوعد، وخائنة للأمانة التي بينها وبين زوجها، وبينها وبين الله عز وجل، أو أن يتعرض لها بالأذى لصوص الأعراض من الفسقة والفاجرين، وقد ينزلون بها وبزوجها مصيبة لا تحمد عقباها، إلى غير ذلك من العواقب السيئة الناتجة عن المخالطة.

إن الإسلام أمر المرأة بالقرار في البيوت وعدم الخروج منه إلا لضرورة شرعية، وبالصورة الشرعية. . إن البيت بالنسبة للمرأة في نظر الإسلام كالقوقعة بالنسبة لجوهرتها، وكالصدفة بالنسبة للؤلؤتها، تزداد فيه نضارة وحسناً، بهاء وضياء وجمالاً ودلالاً، حين تخرج منه يخبو نورها ويتضاءل ضياؤها، يذهب جلاؤها وتخسر حسنها وجمالها.

فالبيت حصن المرأة الحصين وملجؤها الأمين، ومراحها النظيف، وظلها الوريف، ولقد سمى الله تعالى مكث المرأة في بيتها في القرآن الكريم قراراً فقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب] لأنه يرافقه الاستقرار في النفس، والراحة في الضمير والطمأنينة في القلب. .

ونهى عن الخلوة بالمرأة الأجنبية إلا مع ذي محرم لها، وكذلك نهى المرأة من السفر وحدها دون محرم.

والخلوة: هي اجتماع الرجل بالمرأة الأجنبية - التي يباح له زواجها - في مكان لا يطلع عليها فيه أحد، ولا يتوصل إليهما فيه أحد بغير إذنهما. وذلك سداً لذريعة الفساد،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من اكتتب في جيش، ص١٠٩٤، ج٣، رقم ٢٨٤٤.

وإغلاقاً لباب الإثم، وحسماً لأسباب الشر وقطعاً لدابر الشيطان.

فالإنسان الذي يحمل نفساً أمارة بالسوء والفحشاء، وتركبه شهوة متشوفة متلهفة للقضاء حين يغيب عنه الرقيب والحسيب، ويزول الزاجر والرادع، ويجد أمامه اللقمة سائغة والغنيمة معروضة، يهون عليه اقتراف الإثم، ويسهل عليه ارتكاب الجرم، ويضعف عن المقاومة إن لم يعصمه الله، وفي هذه الحال يجد الشيطان الفرصة سانحة والوقت حائناً، لأن يغري ويغوي ويضل ويطغي، فلا يزال يجتهد بالإنسان حتى يوقعه في الإثم ويرميه في الجرم.

والخلوة فوق أنها مزلق خطير وموبق كبير، فهي موضع تهمة وريبة، ومكان شك ومظنة.. إن علم بها الناس أساؤوا الظن بصاحبها، ولو كان من الأتقياء والصالحين، وقد يتحول الظن عند بعضهم إلى حقيقة، تتناقلها الألسن والأسماع، يشهر بها ويذاع، ويترتب عليها عواقب ومشاكل لا تعود إلا بالحسرة والندم والغصة والألم، فكم خطر الخلوة عظيم، وكم فعلها ذميم، وكم تجر من المشاكل، وكم تحدث من غوائل، فالإنسان الواعي العاقل والشريف الطاهر، والمؤمن التقي أسمى من أن يضَعَ نفسه موضع التهمة، ويقحمها في الإثم والجريمة، ويعرض شرفه وسمعته للطعن والإساءة.

وفيما يتعلق بغض البصر فقد أمر الإسلام المسلمين بغض البصر سواء الرجال أو النساء، لأنها طريق إلى الحرام، وكل ما يؤدي إلى محرم فهو محرم، ولأن النظر سهم من سهام إبليس كما بين ذلك الرسول الكريم بقوله ﷺ في الحديث القدسي فيما يرويه عن ربه: «النظرة سهم من سهام إبليس، من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «العينان تزنيان واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، والفرج يزني»[٢]، وقوله ﷺ: «إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنى، أدرك ذلك لا محالة، فزنى العينين النظر، وزنى اللسان المنطق، والنفس تمنى

---

(١) مستدرك الحاكم، كتاب الرقاق، باب كتاب الرقاق، ص٣٤٩، ج٤، رقم ٧٨٧٥.

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب الحدود، باب الزنى وحده، ص٢٦٧، ج١٠، رقم ٤٤١٩.

وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»[1].

وقال ﷺ: «إياكم والجلوس في الطرقات، فإن أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها: غض البصر، وكف الأذى ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[2].

أمر الرجال والنساء عموماً بغض البصر حتى عند السؤال عن الحاجة فلا بد من وجود حجاب بينهما، ذلك أطهر لقلوب الرجال والنساء على السواء، حيث أن النظر من المرأة إلى الرجال الأجانب، ومن الرجل إلى الأجنبيات يقوي ميل الإنسان الجنسي، ويثير الشهوة الغريزية لديه، حتى يصل الإنسان إلى حالة لا يستطيع معها كبح جماح هذا الميل، ولا يقدر على الإمساك بزمام غريزته، فيرتمي فريسة ضعيفة لميله العاتي، ولقمة سائغة لشهوته العارمة، فيقع في جريمة الزنى الذي يعتبر من أكبر المفاسد وأخطرها على الفرد والأسرة والمجتمع.

فالنظر أصل لكثير من الحوادث النكراء، وهي بريد الزنى، إنها تولد الخطرة، ثم الخطرة تولد الفكرة، ثم الفكرة تولد الشهوة، ثم الشهوة تولد إرادة ثم تقوى الإرادة فتصير عزيمة جازمة تسوق الإنسان إلى الفعل القبيح والعمل المشين ما لم يمنع منه مانع.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره، ص٢٠٤٦، ج٤، رقم ٢٦٥٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات، ص١٦٧٥، ج٣، رقم ٢١٢١.

المبحث الثالث

أثر التبرج على المجتمع الإسلامي

وللتبرج عواقب وخيمة تهدد الفرد والأسرة والمجتمع والإنسانية جميعاً فمن هذه العواقب:

١- حلول الزنى والسفاح محل الزواج الشرعي، وذلك لأن البضاعة معروضة وسهلة المتناول، ورخيصة الثمن، ومغرية المظهر فتانة المنظر، والنفس أمارة بالسوء غرارة، والشيطان مريد عنيد، والشهوة هائجة.. وجريمة الزنى من أخطر الجرائم البشرية على الإنسان، أقوى من القنابل الذرية والهزات الأرضية تصبح في نظر المجتمع المتبرج المختلط أمراً مباحاً وترتكب في أي وقت، وفي أي مكان.

٢- فساد الأسرة وانهدام الحياة العائلية وتفشي وكثرة حالات الطلاق، وذلك لاستغناء كل من الزوجين عن الآخر بغيره، وانعدام الثقة الزوجية بينهما، وكذلك انعدام الثقة بين الآباء والأبناء وبالعكس، فتنحل الروابط الأسرية، وتنعدم المودة والسكينة والأمن والقرار والتضحية والإيثار، وتتفكك الأسرة التي هي الركن الأساسي لبناء المجتمع المتراص المتماسك.

وبتفكك الأسرة وانحلالها تفقد البشرية حنان الأمومة، وعطف الأبوة، وحب البنوة، تلك العواطف التي هي أشرف وأسمى العواطف الإنسانية، والبشرية على الإطلاق، وهذا يؤثر بالتالي على نفسية الجيل المختلط المتبرج، وعقليته وخلقه وجسمه، فينشأ جيل مريض في نفسه وعقله وخلقه وجسمه، جيل يهدم ولا يبني، يفسد ولا يصلح، يؤخر ولا يقدم، فقد قال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ ﴾ [مريم].

٣- شيوع الفواحش وسيطرة الشهوات، وذلك لازدياد عدد النساء اللاتي يحترفن البغاء، ويتخذنه مهنة يرتزقن بها، ويكن مطية لكل راكب، مع العلم أن الأمر ربما أفضى

إلى غير ذلك إذ ربما سيطرت الشهوة على النساء فعملن على شرائها من أصحابها.

وكذلك لانتشار دور الخنا والسفاح سراً وجهراً، ورواج تجارة الشهوات والغرائز لدى أصحاب المواخير والحانات والمراقص والسينمات، ولدى تجار الشرف والأعراض من القوادين والقوادات والديوثين والديوثات، فتغطى الشهوات، وتنتشر المفاسد وتتبدد الأموال وتتعطل الأعمال، وتكثر الجرائم وتنتشر الأمراض، وتضعف القوى وينهار الإنتاج، وبالتالي ينهدم المجتمع وينهار، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء].

٤- انهيار الاقتصاد: وذلك لضعف القوى وقلة الإنتاج وفساد التجارة.

أ- أما ضعف القوى: فبسبب الأمراض العقلية والنفسية والخلقية والجسمية التي يصاب بها الإنسان في المجتمع المختلط المتبرج.

ب- وأما قلة الإنتاج: فبسبب ضعف القوى وبسبب تبدد الأموال وضياعها في طريق الترف والشهوات في أدوات الزينة والأزياء، وبسبب عدم الإخلاص في العمل لانعدام الرادع الإيماني، والزاجر الخلقي لدى الإنسان في المجتمع المختلط المتبرج المنحل.

جـ- وأما فساد التجارة: فللأسباب السابقة وكذلك بسبب انتشار التجارة القائمة على استغلال الشهوة وهياج الغريزة، وسفه العقل، وتعقد النفس وفساد الخلق، وانهدار القيم، كتجارة الزنا والميسر، وتجارة اللهو والترف، وتجارة البغاء والسفاح، وتجارة المصورات العارية، والمحلات الفاسدة، والأفلام الخليعة، وتجارة المسكرات والمخدرات إلى غير ذلك من التجارات التي لا تعود على المجتمع إلا بالخسارة والضرر والبطالة والفقر، إذ بها تهدر الطاقات المنتجة، وتضيع الأموال الداعمة، وتتعطل التجارات النافعة، ويعيش المجتمع أسير الاستغلال واللصوصية، وسجين الأنانية والمحسوبية، وعبد الشهوات الغريزية.

٥- القضاء على النسل البشري للنوع الإنساني.

إن النسل البشري في المجتمعات المختلطة المتبرجة مهدد بأخطار جسيمة، تنذره

البلى والفناء، فهو مهدد بزوال الأسرة الزوجية، وحلول الزنى محل الزواج، علماً بأن الزانية لا ترغب بالحمل الذي يهدد جسمها وقوامها، ومن ثم إذا ولدته كلفها أشياء وأشياء، لذلك فهي تحاول الخلاص منه بكل وسيلة.

وهو مهدد بعدم رغبة الزوجين بالولد لاعتباره في نظرهما مصيبة نزلت عليهما، من جهة لعدم ثقة أبيه به في أنه من نطفته لمخالطة زوجته الرجال، ومن جهة أخرى لمسؤولية النفقة على الولد المترتبة على الأب والأم على السواء في تلك المجتمعات.

وهو مهدد بفقدان الضابط القانوني والأخلاقي السليم القويم الذي يحدد علاقة الذكر بالأنثى، وعلاقة الزوجين فيما بينهما وعلاقتهما بأولادهما، وهو مهدد بالأمراض التناسلية والجنسية الخطيرة التي تنتشر في ذلك المجتمع انتشار النار في الهشيم إلى غير ذلك من الأخطار التي تهدد النسل في المجتمع المختلط المتبرج، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة].

٦- انتشار العادات السيئة كعملية الاستمناء واللواط والسحاق والزنى - خصوصاً بين المراهقين والمراهقات - بسبب التهيج الشهواني، والتأجج الغريزي، الناتجان عن المشاهدة والمخالطة بين الجنسين مع التبرج والزينة والخلاعة والميوعة، والناتج أيضاً عن مشاهدة الأفلام الخليعة والإباحية، والمراقص الماجنة، والصور العارية الفاتنة، وعن قراءة القصص والمسرحيات والكتب والمجلات التي تغرق وتتمادى وتشتط في البحث في أمور الشهوة والغريزة والجنس.

جميع هذه العوامل تتضافر لتنمي في الجيل الناشىء النزعات الجنسية قبل أوانها، ولتهييج الشهوات الغريزية قبل اكتمالها، وخصوصاً عند الأولاد الذين هم دون البلوغ مما يصيب النمو الجسدي، والتطور العقلي، والتكامل النفسي بالنقص والانحراف والشذوذ والتشويه، وتعرض الإنسان لأمراض سيئة المصير.

٧- ظلم المواليد والأطفال: فالمولود محروم الثقة من أبيه ومحروم من عطف الأمومة وحنانها، ومحروم من حياة الأسرة المترابطة إلى جانب أنه يعيش في مجتمع مملوء بالأمراض الموبوءة الوراثية فهو محروم من الحياة الصحية الهانئة اللائقة إلى غير ذلك من

أنواع الحرمان والظلم.

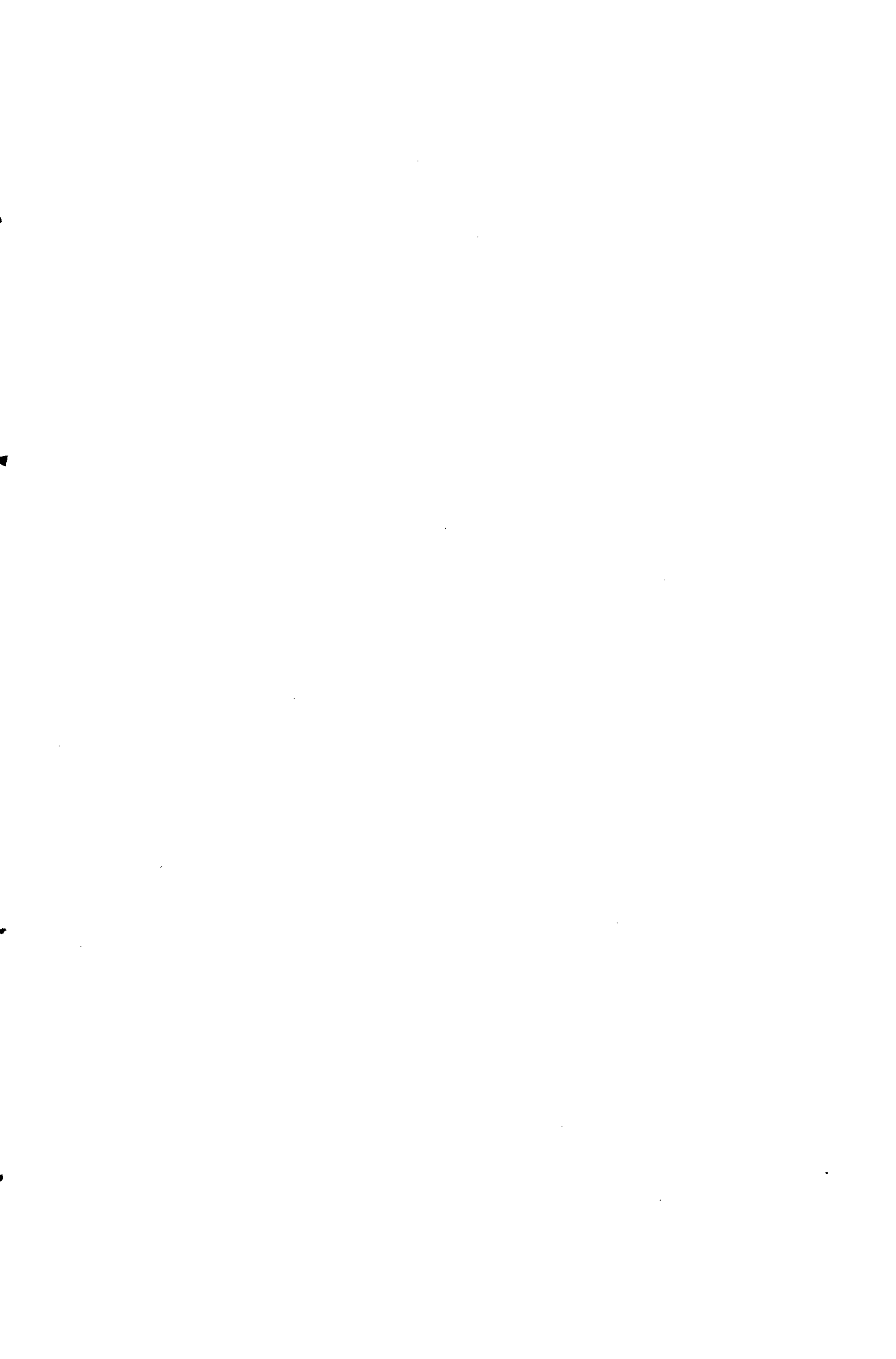
٨- شقاء الرجل والمرأة لعدم وجود الحياة الهانئة السعيدة التي يسعيان إليها.

بسبب هذه الأخطار والأمراض والمساوىء جميعاً ينتشر الكذب والخداع والغش والخيانة، وتتفشى العادات الخبيثة والمعاملات السيئة، وتتعاطى المخدرات والمحرمات، وينعدم الحياء والحشمة ويموت الإحساس والنخوة.

ويخيم على المجتمع الخمول الفكري، ويصاب بالانحراف النفسي، والضعف البدني، وتسيطر عليه الشهوات والأهواء، وتنهشه الأنانيات وتسوء حاله، ويثقل وباله، وينحدر إلى هاوية الشقاء وداهية الفناء.

لذا فإن الإسلام قد حرم الاختلاط، والتبرج بين الرجال والنساء الأجانب، وجعل لكل منهما بيئته الخاصة وأوضاعه وحياته ومجتمعاته، وتكاليفه ومهماته لتأمن الإنسانية، وتسلم البشرية، ويحتفظ الإنسان بكرامته كإنسان.

الباب السادس
زينة الله وزينة الشيطان



الفصل الأول

زينة الله

المبحث الأول

الأمور التي تظهر فيها زينة الله

إن حقيقة وجود الله لا شك فيها، ولا مجال لإنكارها، وكل ما في الكون من آثار ومخلوقات شاهدٌ على هذا الوجود الإلهي، ومواد الطبيعة وعناصرها، تؤكد أن لها خالقاً مدبراً، وأن كل ما في الكون يؤكد زينة الله التي أوجدها لعباده.

والقرآن الكريم مشحون بالآيات القرآنية التي تدعو إلى التأمل في مخلوقات الله، من أرض وسماء ليتوصل الإنسان من هذا التأمل إلى القناعة بوجود الله وعظمته وقدرته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس]، فمن خلال النظر إلى السموات والأرض، وما خلق فيها، يستدل الإنسان على وجود الخالق، فزينة السماء في زرقتها، وفي الكواكب والنجوم ذات الألوان وانتثارها وانتظامها وحركاتها الهندسية، والقمر ساعة طلوعه يكون بدراً أو هلالاً، أو ساعة توسطه قبة الفلك، وفي الشمس وقت غروبها أو شروقها، والفجر الأصيل، وروعة الظهر، وساعة الأصيل عند الغروب وظهور الشفق الأحمر.

وزينة الأرض في زرعها ونباتها وكل ورقة من أوراق الشجر، وكل لون من ألوان الأزهار، وأنواعها المختلفة التي تبهر العقول بجمال منظرها وعبيرها الفواح، ورشاقتها وتصميماتها الرائعة، وأنهارها وجبالها وسهولها ووديانها الخضراء وأنهارها وجداولها وبحارها.

وزينة البحار في سفنها وموجها ومدها وجزرها، وما يستخرج منها من لؤلؤ وأسماك وغيرها، وزينة الجبال في قممها العالية وألوانها الجميلة وصخورها ورمالها وسفوحها، وزينة الحيوانات في أصوافها وأوبارها ومن جلودها، وفي أنواعها واختلاف ألوانها وفي

اقتنائها وغير ذلك، والطيور بألوانها المتناسقة الجميلة، وأشكالها الزاهية وأصواتها العذبة.

وأما زينة الإنسان ففي مظهره الخارجي المتناسق وانسجام أعضائه مع بعضها البعض، وانسجام اللون مع الأعضاء، ومخبره الداخلي الذي يعبر عنه من خلال صفاته وأخلاقه وعقله التي يتزين بها، ويسمو على جميع المخلوقات.

وزينة الله تجعل الإنسان يعرف الله سبحانه وتعالى ويشكره عليها، ويعبده بحب وعشق، يحس الإنسان بهذا الجمال في كل شيء، ويشعر بهذا الإبداع في كل مخلوق، ويعشق الجمال في كل نظرة هنا وهناك يرى آثار يد الله في هذا الخلق، مزينة بأجمل الزينة ويراها الإنسان ويزداد بها إيماناً بالواحد الأحد، خالق السموات بدون عمد، جاعل الجمال والزينة في كل ما خلق وأوجد.

لقد أعطي الإنسان الفكر والتصور والشعور والإحساس، فصار يتذوق الجمال ويشعر به، ويسرح بخياله في الآفاق بسرعة البرق، يتذكر لوحات أبدعها الخالق في طي السماء، ويخترق بخياله حجبها، ويدرك بتصوره مبدعها، يتفاعل معها في معرفة الجمال، ويحاول أن يجعل لحياته مع هذا الجمال زينة لنفسه يتخذها في بيته وفي لبسه وفي نطقه يمشي في جمال ويتكلم في جمال، فيرى الكون جميلاً لأنه يحب خالق هذا الكون، الذي وصف نفسه بالجمال بقول الرسول الكريم: «إن الله جميل يحب الجمال»[(١)]، فالجمال صنعه وخلقه وإبداعه.

ومن خلال ما نرى من آيات خلق الله تعالى وإبداعه، ومن خلال ما تبين لنا من مظاهر زينته ومن خلال إرساله للرسالات، يتبين لنا أن زينة الله تظهر للمسلم في أمور عدة منها:

١- زينة العقيدة. ٢- زينة العبادات. ٣- زينة المعاملات. ٤- زينة الأخلاق.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ص٩٣، ج١، رقم ٩١، وورد في: مسند أحمد، مستدرك الحاكم، وسنن الترمذي.

المبحث الثاني

زينة العقيدة

وفيه ثمانية أقسام:

والعقيدة: هي الاعتقاد الجازم بأن الله هو رب العالمين، والإقرار اليقيني والإيمان بأن الله واحد أحد فرد صمد، الخالق لكل شيء في هذا الكون، هو المستحق للعبادة.

والعبادة تقوم على الحب الخالص لله مع الذل الكامل له، ومظهر ذلك تَوجُّه العبدِ إلى الله تعالى بالتوكل عليه، والثقة به والخوف منه والإنابة إليه والطلب منه، والأنس بذكره والفرار إليه، ونشاط الجوارح بتنفيذ شرعه وإقامة دينه، والانصباغ بصبغته، وإيثار محبته وطاعته، وجعل السلوك والأقوال والأفعال وسائر الأحوال على الوجه المرضي عند الله، وبهذا كله يحقق المسلم معنى: أشهد أن لا إله إلا الله بالقول والعمل فيكون صادقاً في شهادته.

وتزداد معاني العبودية، ويرسخ أصلها ويعظم أثرها بقدر علم العبد بمدى فقره وحاجته إلى الله تعالى، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، ويزداد حب العبد لله وخضوعه له بقدر معرفته بكمال الله وعظيم نفعه ونعمه عليه، وتفكره في آلائه التي لا تعد ولا تحصى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۝٥٣﴾ [النحل] وفي تفكره في صفاته ومعاني أسمائه الحسنى.

وبقدر امتلاء القلب بمعاني العبودية يحترز من عبودية غير الله تعالى، حتى يصبح عبداً خالصاً لله وهذه أسمى درجة ينالها الإنسان.

ومن مظاهر زينة العقيدة في العبد المؤمن هي:

القسم الأول: الإيمان بالله: لا ريب أن العاقل الذي يتجرد من الهوى ويستعمل عقله وفكره، ويتأمل في هذا الكون العجيب من نظام وإبداع يتوصل لا محالة إلى الإيمان بوجود الله، ومن هذا قوله سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ [الطور]، فيه دليل إلزامي يجعل الإنسان العاقل منساقاً إلى الإيمان بوجود الله، لأنه إذا استعمل عقله، واستدل بما يشاهد في هذا الكون من أن كل موجود يحتاج إلى من يوجده، وكل مسبب يحتاج إلى سبب، فالعمارة لا بد لها من موجد يوجدها، والشجر والنبات لا يظهر ولا يوجد إلا بعد غرس النبتة الأولى التي تنمو وتكثر.

والإيمان في اللغة التصديق ومحله القلب، وهو تصديقٌ بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان، لما روى ابن عباس رضي الله عنه: (أمرهم النبي ﷺ بالإيمان وحده فقال ﷺ: «هل تدرون ما الإيمان وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمساً من المغنم»[1]، وقال جماعة من الفقهاء منهم الأئمة مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث، وأهل السنة وأهل الظاهر: أن الإيمان التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان.

ولا بد لصحة الإيمان من توافر التصديق القلب والإقرار باللسان وعمل بالجوارح، مثل تأدية الصلوات المفروضة وسائر الفرائض.

والتصديق القلبي: هو التصديق الجازم ومحله القلب.

والنطق باللسان: هو ركن لتحقيق معنى الإسلام، والنطق بالشهادتين لا بد منه لصحة الإيمان، وأما العمل بالأركان فهو من متممات الإيمان.

وللإيمان مراتب ودرجات بها يُعرف إيمان العبد، فيكون بمرتبة المجاهدين، أو العابدين أو الصادقين أو المخلصين أو المتهجدين، أو المضحين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أو المحافظين على الصلوات والفرائض، أو الممتنعين عن الكبائر أو غيرهم ممن مدحهم الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز. قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، ص٣٦، ج١، رقم ٥٢، ورواه السبعة ومالك في الموطأ والبيهقي في السنن والحاكم في المستدرك.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٩٦﴾ [النساء].

وذكر الإمام ابن القيم أن الإيمان يزيد وينقص وهو من حيث الزيادة والنقصان ثلاث مراتب:

١- إيمان يزيد ولا ينقص وهو إيمان الأنبياء.

٢- إيمان لا يزيد ولا ينقص وهو إيمان الملائكة.

٣- إيمان يزيد وينقص وهو إيمان المؤمن.

وفي قسم رابع وهو إيمان ينقص ولا يزيد وهو إيمان الفساق.

وقد ذكر العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه ثلاثة أقوال:

١- إن الإيمان يزيد وينقص، بسبب زيادة الطاعة والأعمال الصالحة، أو نقص ذلك، وقد نقل عن الإمام البخاري أنه قال: لقد لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء في الأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

٢- إن الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان، لأنه اسم للتصديق البالغ حد الجزم والإذعان، والمؤمن إذا ضم إلى تصديقه طاعة أو ارتكب معصية فتصديقه بحاله لم يتغير، ونسبه صاحب الجوهرة إلى جماعة من العلماء أعظمهم أبو حنيفة النعمان، وأصحابه وكثير من العلماء.

ويترتب على هذا أن إيمان أي إنسان كإيمان أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بل كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبرائيل وميكائيل عليهم السلام، وهذا غلو غير مقبول، فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولا شك أن البصراء يختلفون في قوة البصر فمنهم الأخفش[١] والأعشى[٢]، ومن يرى الخط الثخين دون الدقيق، إلا بزجاجة أو نحوها، ومن يرى عن قرب زائد على العادة، وآخر بضده.

---

(١) الخفش: هو ضعف في البصر خلقة، وقيل: هو الذي يبصر في يوم غيم ولا يبصر في يوم صاح.

(٢) الأعشى: هو ضعف في البصر، وهو الذي يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار.

٣- والخلاف بين الفريقين لفظي لا حقيقي، فمن قال: أنه لا يزيد ولا ينقص أراد أصل الإيمان وهو التصديق، ومن قال غير ذلك أراد ما به من كمال الإيمان من الأعمال، ونقله شارح الجوهرة عن جماعة منهم الفخر الرازي.

والأصح من أن التصديق القلبي يزيد وينقص، بكثرة النظر ووضوح الأدلة وعدم ذلك، ولهذا كان إيمان الصدِّيقين أقوى من إيمان غيرهم، ويؤيده أن كل إنسان يعلم أن ما في قلبه يتفاضل، حتى يكون في بعض الأحيان أعظم يقيناً وإخلاصاً منه في بعضها، فكذلك التصديق والمعرفة، بحسب ظهور البراهين وكثرتها، فالخلاف بين الفريقين حقيقي لا صوري ولا لفظي[1].

والأدلة على زيادة الإيمان ونقصه من الكتاب، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ۝٢﴾ [الأنفال]، وقوله تعالى: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا ۝٣١﴾ [المدثر] وغيرها من النصوص القرآنية التي تؤكد زيادة الإيمان ونقصه.

وأما من السنة فقوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»[2]، وقوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[3]، وكان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه: (تعالوا نزدد إيماناً)[4]، فيذكرون الله تعالى عز وجل.

وإذا رجعنا إلى أنفسنا، وقد قرأنا القرآن مرات عديدة في خشوع وتدبر، علمنا علماً لا يخالجه الشك، أنه كلما تليت علينا الآيات القرآنية ازددنا يقيناً إلى يقين، وهداية إلى هداية، فدل ذلك على أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالتفكير في الله وآياته، وفي الطاعة والأعمال الصالحة وهو الحق الذي ندين به الله سبحانه وتعالى، أكد على ذلك بقوله

---

(١) عبد الحميد السائح، عقيدة المسلم وما يتصل بها، ص١١٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، ص٦٣، ج١، رقم ٣٥، وجاء عند البخاري وأصحاب السنن ومسند أحمد.

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ص٢٢٠، ج٤، رقم ٤٦٨٢، وورد في سنن الترمذي والبيهقي ومسند أحمد ومستدرك الحاكم وصحيح ابن حبان.

(٤) شعب الإيمان، كتاب باب ذكر الحديث الذي ورد في شعب الإيمان، باب القول في زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهل الإيمان في إيمانهم، ص٦٩، ج١، رقم ٣٧.

تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال].

وإن تفاوت درجات الإيمان بحسب أعمالهم قال الله تعالى: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ ﴿٨﴾ ﴾ [التحريم] فالتفاوت يكون في درجات نور لا إله إلا الله، في قلوب أهلها لا يحصيها إلا الله سبحانه وتعالى، فمن الناس من نور لا إله إلا الله في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري، وآخر كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج الوهاج، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة، بإيمانهم بين أيديهم على هذا المقدار بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علماً وعملاً، ولا يدرك هذا ولا يحصيه إلا المؤمنون الصادقون.

القسم الثاني: اتباع الصراط المستقيم: أمرنا الله سبحانه وتعالى باتباع صراطه المستقيم، ونهانا عن اتباع السبل فقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام]، وسبيل الله وصراطه المستقيم هو الذي كان عليه رسوله ﷺ وصحابته بدليل قوله تعالى: ﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [يس]، وقال أيضاً: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى].

والصراط المستقيم المقصود فيه هنا هو الدين الإسلامي الذي جاء به الرسول الكريم، ومن قبله الأنبياء جميعهم، جاؤوا بدعوة واحدة في توحيد الله سبحانه بالعبودية ووحدة الدين، وهو أقوى جامعة بين رسالات الله إلى خلقه.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء]، أن وحدة الدين جاء بها جميع الرسل، واتفقوا على أصول العقيدة، وعلى أن هناك يوماً آخر يحاسب فيه الإنسان، وأن الله يبعث الناس من قبورهم ليحاسبوا.

يتبين من هذا أن الإسلام هو دين الرسل جميعاً، وهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، ومنذ أقدم الأزمان إلى أن يرث الأرض ومن عليها، وهو الذي يدعو إلى عبادة الله وحده، وإلى أصول العقيدة التي لا اختلاف عليها، وإلى الفضائل والأخلاق، التي أمر الله تعالى بها، في كتابه، وحض عليها رسوله ﷺ في سنته، وإلى الشرائع التي تتعلق بأحكام

العبادات والمعاملات وما يتعلق بمصالح العباد، في هذه الدنيا، على أنواعها من مالية وغيرها، وإن اختلفت هذه الأمة بين أمة وأخرى، حسب ظروفها وأعرافها واستعدادها.

والدين هو الصراط المستقيم، وهو الطريق القويم الذي يؤدي بنهايته إلى الجنة، ومن اتبع رسوله ﷺ في قوله وفعله فهو على صراط مستقيم، وهو ممن يحبه الله ويغفر له ذنوبه، ومن خالفه في قوله وعمله أو فعله فهو مبتدع متبع لسبل الشيطان غير داخل فيمن وعد الله بالجنة والمغفرة والإحسان.

القسم الثالث: اتباع السنة النبوية الشريفة: وإذا أيقن الإنسان بأن الله واحد أحد لا شريك له، حمله على أن يكون معتزاً بالله، ولا يذل لغير الله، وأن يتجرد في تصرفاته وأعماله لإرضاء الله تعالى، فلا يقيم وزناً لعصبية ولا لحزب ولا لغرض ولا لهوى، فيتكون المجتمع الصالح الذي يعف عن الشر والفساد، ويكون اتجاهه منحصراً في تنفيذ تعالٰيم الله.

وإذا علم أن محمداً رسول الله أيقن أنه في كل ما يبلغه من شريعة وأحكام، إنما يبلغ ما أُمر بتبليغه، وما أوحي إليه به، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم] فيؤثر ذلك في نفسه أن يقيد بأعماله وتصرفاته، بما ورد على لسان رسول الله ﷺ ويكون مرآة لتعاليم رسول الله ﷺ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۝٧﴾ [الحشر] فيؤدي ذلك إلى تحري حكم الله وحكم رسول الله ﷺ، والمبادرة إلى طاعتهما، وطمس معالم المنكرات والمعاصي، والشر والفساد بجميع أنواعها وضروبها، أما أولئك الذين لا يأبهون بتحري ذلك، أو لا يتقيدون بما ذكر، ويمعنون في ارتكاب المعاصي والآثام فقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء].

القسم الرابع: التوكل على الله: التوكل على الله أثر من آثار الإيمان، فالذي يؤمن بأن الله تعالى بيده تصاريفُ الحياة، وبيده النفع والضر، يترك الأمر إليه ويرضى بمشيته، فلا يفزعه المستقبل وما يخبئه له من مفاجآت، ويستعيض عن الخوف بسكينة واطمئنان إلى عدل الله ورحمته، ولهذا يقر الإسلام بأن الإيمان يجب أن يصاحبه التوكل، قال الله

تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ ١٢٣﴾ [هود]، وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة].

والإسلام يحمل البشرى للمتوكلين، ويعدهم الفضلَ من الله ونيل البركات، ويعدهم بالمعونة والتأييد لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ٣﴾ [الطلاق]، فالتوكل على الله هو زاد روحي للتغلب على الخوف والقلق، وهو الذي يعطي المؤمن بسمة أمام أحلك الساعات التي تمر به ويهبه سكينة النفس التي حُرمَ منها كثير من سكان الأرض.

القسم الخامس: **الخوف** من الله: إن الإسلام بجانب ما شرعه من العقوبات والزواجر التي تردع الإنسان عن اقتراف الشر لم يهمل تذكيره بخشية الله **والخوف** من عقابه، لأن ذلك أدعى إلى طاعته سبحانه وتعالى، وسلوك الطريق المؤدي إلى رضاه والفوز بجنته ونعيمه، قال الله تعالى: ﴿وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾ [النور] وخشية الله تهب الشجاعة الأدبية للإنسان وهي من محاسن الصفات التي يتحلى بها وقوامها:

أن يبدي الإنسان رأيه وما يعتقد أنه الحق، مهما ظن الناس به أو تَقوّلُوا عليه، ولو جرَّ عليه غضب الحاكم، ويرفض العمل بما لا يراه صواباً ولو لم يقع رفضه موقعاً حسناً عند الناس، والله سبحانه يرشد المؤمنين إلى التحلي بهذه الصفة بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران].

والقرآن يقرن خشية الله تعالى بالرجاء، لأن المذنب الذي لا يرجو ربه في قبول التوبة ينقلب إلى قوة يائسة خطرة لا يرجى لها صلاح ولا ينتظر منها نفع، وانقطاع الصلة بين المرء وربه هو أقصى غايات الفساد، وتخويف المرء من ربه له حدود ولا ينبغي أن يصل الخوف إلى اليأس لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف].

والخوف يؤدي إلى صلة العبد بالله عن طريق الرجوع إليه ودعوته في كل وقت وكل حين، فقد قال تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف] فخشية الله تعالى تربي الضمير الإنساني لدى الإنسان المسلم، وتجعله فرداً صالحاً نافعاً لنفسه ولغيره من الناس.

القسم السادس: **الطلب من الله تعالى**: والطلب يكون عن طريق الدعاء، والدعاء من

مستلزمات العبادة إذ هو الصلة التي تربط الإنسان بخالقه، والدعاء فطري في الإنسان فهو يشعر بحنين إلى الله يفزع إليه عند الشدائد، ويتضرع إليه في كشف السوء عنه، فالإنسان ضعيف أمام أحداث الحياة لا يجد سنداً لضعفه غير الدعاء قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر]، ففي هذه الآية بين الله أن الدعاء بأنه عبادة يستحق من يتكبر عنها غضب الله ودخول جهنم، والدعاء كما وصفه الرسول الكريم هو مخ العبادة.

والإنسان بطبيعته محتاج إلى من يلجأ إليه عند وقوع الحوادث والمصائب، فنجده يلجأ إلى الله وهو موقن تمام الإيقان أن الله منجيه مستجيب لدعواه، فيشعر بطمأنينة في نفسه، ويجعله يتقرب إلى الله، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة].

ويستحب للدعاء أن يكون في السراء وفي الضراء، وفي السر وفي الجهر، وأن يكون على الدوام، ويجعل الدعاء الإنسان موصولاً دائماً بربه، يمحو الخوف عن نفسه، ويهبه الله الطمأنينية النفسية التي ينشدها كل إنسان.

القسم الرابع: الأنس بذكر الله تعالى: ذكر الله تعالى هو الوسيلة للوصول إلى الطمأنينة المنشودة لدى البشر، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد] والقلق أعدى أعدائها، ويكون بالتفكير في هموم الدنيا ووساوس الشيطان التي تعصف به، تجعله يفكر في مستقبله أو غير ذلك، تجعل الإنسان عاجزاً عن القيام بواجباته، أما ذكر الله فهو غذاء روحي للنفس الإنسانية، وهو مظهر من مظاهر معرفة الإنسان لربه والثناء عليه، ووسيلة لشكر الله على ما أنعم على عباده، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة].

وحسبك أنك بذكر الله تعالى تكون جليساً لملك الملوك الذي يقول في حديث قدسي: (أنا جليس من ذكرني)[1]، وأنك تفوز بخير عظيم مع ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ

---

(١) شعب الإيمان للبخاري، كتاب العاشر من شعب الإيمان وهو باب محبة الله عز وجل، باب الفصل الثاني في ذكر وآثار وأخبار وردت في محبة الله عز وجل، ص٤٥٨، ج١، رقم ٧٠٩، وجاء في مسند أحمد ومستدرك الحاكم وسنن الترمذي.

كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب] الذين ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب].

ولذكر الله آداب وهي أن يكون حاضر القلب طاهراً مستقبلاً القبلة متطيباً، وأن يكون بكل الجوارح، وكما بين الله فضائل الذكر بين آثار الإعراض عن ذكر الله، منها ضلال الإنسان وشقائه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزخرف] والمعنى: من يعرض عن ذكر الله أو هديه يسلط الله عليه شيطاناً يلازمه ويغويه ويزين له المعاصي، كذلك يؤدي الإعراض عن ذكر الله النسيان قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر].

وذكر الله له أثر كبير في تربية النفس الإنسانية، فالذي يذكر ربه ويتصور عظمته يخشع له ويلين، فلا يصدر عنه من الأقوال إلا كل خير، لأنه يعلم أن الله مطّلع عليه فيشعر بمراقبة الله له في كل وقت وكل حين.

القسم الثامن: إيثار محبته: المؤمن الحق هو الذي يؤثر محبة الله على كل شيء في الوجود، وهو الذي يدرك جمال الله وجلاله، ويعرف أن الله هو المنعم عليه في كل شيء، فمظاهر حبه لله هو انشغاله به عملاً وعلماً، وعدم مخالفته وطاعته في كل ما أمر، يتحمل ذلك راضياً طائعاً.

فحب الله هو الإيمان الحق، وليس مجرد المعرفة والإذعان، بل الإيمان الحق هو إيمان المحب لله الذي يؤثره على النفس، وتبدو آثار حبه له في جميع أقواله وأفعاله، وحب الله هو علامة المؤمنين الحقيقية الذين تذوقوا الإيمان ووجدوا حلاوة في حب الله ورسوله قال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[1].

فحب الله يحول الإنسان إلى خير كله، في قوله وفعله، ولا يصدر عنه إلا ما يرضى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ص١٤، ج١، رقم ١٦، وورد عند الإمام مسلم وأصحاب السنن وأحمد والبيهقي وموطأ مالك ومستدرك الحاكم.

حبيبه، ويصل بالإنسان إلى حب كل شيء في الوجود، فينسى البغض والحقد والحسد وسائر الدسائس الصغيرة التي تفسد جمال الحياة.

المبحث الثالث

زينة العبادات

وفيه خمسة أقسام:

القسم الأول: زينة الصلاة: الصلاة عبادة فرضها الله سبحانه على عباده لتكون الصلة بين الإنسان وخالقه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء]، ولو نظرنا إلى جميع الديانات كل له صلاة بطريقة خاصة معينة يتقرب بها العبد إلى ربه، وجميع المخلوقات التي خلقها الله تعبد الله بطريقتها، قال الله تعالى في ذلك: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴿٤١﴾﴾ [النور]، فالصلاة أفعال مخصوصة في أوقات مخصوصة، يشترط لصحتها الطهارة للبدن والثوب والمكان من النجاسة والأقذار، وستر العورة، واستقبال القبلة والدخول في الوقت.

والإنسان بطبيعته بحاجة إلى مؤنس لوحشته واكتئابه، مجيب لدعائه إذا دعا، فلا يجد الإنسان المؤنس لهذه الوحشة إلا الله في صلاته، ولا يجد مجيباً لدعواته إلا الله لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر] فإذا اتصل الإنسان بخالقه عن طريق الصلاة تحقق له كل ذلك.

فيجد الإنسان لذة العبادة في الصلاة، ويتصل بربه في لحظات هي أقرب ما تكون لحظات مودة ومحبة بين العبد وخالقه، فنجد الإنسان يسكن ويخشع ويخضع ويترك كل أمور الدنيا، ويتجه إلى الله سبحانه وتعالى بكليته،فزينة الله في الصلاة يجدها المسلم بالراحة النفسية. إن في الصلاة الراحة النفسية التي يطلبها الإنسان في كل وقت وكل حين.

وزينة الصلاة تكون في الطهارة التي هي من أسس الإسلام وتبدأ بالوضوء، فلا بد للمصلي من أن يكون على طهارة، وزينة الصلاة تكون أيضاً في قراءة الفاتحة لقوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[١] ففي قراءتها نشيد رباني يناجي بها الإنسان

(١) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات، =

خالقه في جميع صلواته، وبكل ركعة من ركعات الصلاة، وهو من أنبل الأناشيد، ففي هذه الآيات شكر وحمد على كل ما وهب الله تعالى للإنسان، وبيان لصفات الله سبحانه وتعالى منها الرحمن الرحيم، ومالك يوم الدين فيها وعد ووعيد، وعدٌ للمؤمن والأمة والأفراد بنعيم الدنيا والآخرة، ووعيد للكافر بالشقاء والخزي في الدنيا ونار الجحيم في الآخرة، وفيها توحيد وعبادة، فالتوحيد بعبادته وحده وأنه المستحق للعبادة، والاستقامة والاستعانة به في قضاء جميع الحوائج الدنيوية والأخروية، وفيها الاستقامة والثبات على الطريق القويم، والاقتداء بالمثل الصالحة، واجتناب سبل الضلال من المغضوب عليهم والضالين.

وزينة الصلاة تكون أيضاً في تغيير الأعمال القبيحة إلى أعمال حسنة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت] ففي الصلاة توجه إلى الله وخشوع وخضوع حقيقي يحول بين الإنسان وبين الفواحش والمنكرات.

ومن زينة الصلاة غرس الأخلاق الحسنة في نفوس المصلين لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة] أي: استعينوا على مصائب الدنيا بالصبر والصلاة التي تزيد الثقة بالله سبحانه وتعالى، وتعلم الإنسان الخشوع لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون] فالخاشون هم الخاضعون لله الخائفون منه، وأيضاً تقوي النفس الإنسانية وتعلمه الصبر والجلد على العبادة.

القسم الثاني: زينة الصيام: الصيام لغة: الامتناع والإمساك والكف.

واصطلاحاً: هو الامتناع والإمساك والكف عن الطعام والشراب والاتصال الجنسي من الفجر إلى غروب الشمس، ابتغاء مرضاة الله.

والصيام كان مفروضاً على الأمم السابقة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة]، ولكن كلٌّ له طريقة في صيامه تختلف عن الآخرين، والصوم فرضه الله على المسلمين شهراً في السنة لقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة] وفرض تعويداً للنفس على الصبر

= ص٢٦٣، ج١، رقم ٧٢٣، وورد في سنن أبي داود ومسند أحمد وسنن البيهقي وصحيح ابن حبان.

والتحمل، والصوم وقاية للنفس من الوقوع في الزلل والمنكرات والفواحش لنفسه ولغيره من الناس.

وزينة الصوم هي أن الصوم عبادة ربانية، تكون بين الإنسان وخالقه، وليس هناك من أحد مطلع على صيامه إلا الله تعالى، فالصيام أمر موكول إلى نفس الإنسان الصائم لا رقيب عليه إلا الله، لذلك قال الله في الحديث القدسي: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)[١].

فزينة الصيام في القدرة على ترك الملذات والشعور الدائم بمراقبة الله له، وترك كل الأعمال التي تخدش الصيام مثل الخداع والغش والظلم وقول الزور والكذب والفساد في الأرض.

وزينة الصيام في تخفيف شهوة الإنسان عن حيوانيته، فلذلك قال الرسول ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[٢]، ومن زينة الصيام الشعور مع الفقراء والمساكين، فهو بعد ذلك يرحم المسكين ويعطف على الفقير، والشعور بالمساواة مع إخوانه المسلمين والتي هي من أسس الإسلام.

ومن زينة الصيام أيضاً أنه يضعف سلطان العادة لدى الإنسان في الطعام والشراب، التي يعتادها إلى درجة السلطان عليه، وتقوى الإرادة في العبادة لديه، والصوم زكاة للجسد فقد قال ﷺ: «لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم، والصوم نصف الصبر»[٣].

القسم الثالث: زينة الزكاة: الزكاة: هي الطهارة، وقد قال الله في ذلك: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة] فبين الله أن الزكاة طهرة للنفس وزكاة، فزينة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ما يذكر في المسك، ص٢٢١٥، ج٥، رقم ٥٥٨٣، وجاء في السنن الأربعة وسنن البيهقي ومسند أحمد ومستدرك الحاكم وصحيح ابن حبان.

(٢) متفق عليه واللفظ لصحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ص١٩٥٠، ج٥، رقم ٤٧٧٨.

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب الصيام، باب في الصوم زكاة الجسد، ص٥٥٥، ج١، رقم ١٧٤٥، وجاء في السنن الأربعة وموطأ مالك ومستدرك الحاكم ومصنف عبد الرزاق.

الزكاة تطهير النفوس من الشح والبخل والحقد والحسد.

والإنسان جُبلَ على حب المال قال الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر] ومع ذلك نجده يدفع المال زكاة كانت أو صدقة عن رضى نفس وطواعية، طلباً لرضى الله سبحانه وتعالى وطمعاً في جنته، وتكمن زينة الزكاة في إعطاء المال من الإنسان إلى أخيه الإنسان لا يشعر بذلك تكبراً ولا حقداً ولا حسداً بل يشعر بحنان الأخوة، وألفة التكافل، وقوة المحبة بين الناس، فيشعرون كأنما هم أسرة واحدة سواسية لا فرق بين مسلم ومسلم، فهي تهذيب للنفوس والأخلاق وزيادة ونماء للمال لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۝٧﴾ [إبراهيم] فشكر الله على هذا المال عن طريق الزكاة والصدقة.

وزينة الزكاة تكون في إصلاح فئات المجتمع، الفقراء يبتعدون عن الوقوع في الفواحش والمنكرات، والابتعاد عن صنوف الجرائم، لأنهم لا يجدون ما يحتاجون، أما إذا وجدوا ما يريدون من المال الذي يأتيهم عن طريق الزكاة فيكون المجتمع خالياً من هذه العيوب، من الجرائم والفواحش والمنكرات، وأما الأغنياء فهي تزكي نفوسهم وتنميها وتربيها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية، حتى تكون أهلاً للسعادة الدنيوية والأخروية.

والزكاة ضمان اجتماعي يحفظ التوازن بين فئات المجتمع، فهي نوع من أنواع التقارب بين الناس لقوله ﷺ: «السخيُّ قريبٌ من الله قريب من الجنة بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار»[1].

وقال ﷺ: «إن تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطرق صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة»[2]، وقال ﷺ: «بكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة»[3]، وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة والكلمة الطيبة

---

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في السخاء، ص٣٤٣، ج٤، رقم ١٩٦١، وجاء عند البخاري وفي السنن الأربعة والبيهقي ومسند أحمد.

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب الجار، ص٢٨٦، ج٢، رقم ٥٢٩، وورد عند الترمذي في سننه.

(٣) متفق عليه واللفظ من صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ذكر كتابة الصدقة بالمشي إلى =

صدقة.

القسم الرابع: زينة الحج: الحج: هو قصد البيت الحرام في مكة المكرمة بنية التقرب إلى الله بالعبادة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۝٩٧﴾ [آل عمران] والحج من العبادات الدينية التي عرفت قبل الإسلام، لكن مناسك الحج في الإسلام مختلفة عن سائر الأديان، فزينة الحج تكون في التحمل والصبر والجلد على العبادة، وهي أيضاً وسيلة لتحقيق الفوائد الروحية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية.

فالفوائد الروحية: تحقق للإنسان العبادة التي يزداد بها تقرباً إلى الله، وتسمو بها روحه، وأما الفوائد الأدبية: فهي تحقق للإنسان أن يتأدب بالآداب التي أمره الله بها في أداء مناسك الحج فلا يرفث ولا يفسق ولا يسب ولا يشتم، ويصبر على أذى الغير وعن رد الإساءة بمثلها فتُمحى ذنوبه، ويرجع كيوم ولدته أمه لقول الرسول ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»(١).

أما الفوائد الاجتماعية: فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ [الحج] فهو مؤتمر عام شامل لجميع الناس من شتى بقاع الأرض في وقت واحد وفي مكان واحد، وفي الاجتماع تَوحُّدٌ في الغايات والثقافات والأجناس والأنواع، فلا فرق بين غني وفقير ولا أسود ولا أبيض ولا أحمر وأصفر، ولا ملك ولا وزير ولا فقير، كلهم سواء في لباسهم وفي عبادتهم وفي لفظهم ونطقهم.

أما الفوائد الاقتصادية: فإن لكل شعب من الشعوب الإسلامية صناعات ومنتوجات، ففي اجتماعهم هذا يتناولون هذه الصناعات ويفيدون غيرهم، ويستفيدون من إخوانهم المسلمين، ويسهل عليهم اجتماعهم هذا الالتقاء وتبادل الأفكار والآراء ويذلل لهم العقبات.

ولا تقف الزينة في الحج عند هذا الحد، وإنما تكون في لباسهم فنجد أن توحد

= الصلاة، ص٣٧٥، ج٢، رقم ١٤٩٤.

(١) ورد في الصحيحين، وعند الترمذي والنسائي وابن ماجة ومسند أحمد وسنن البيهقي، واللفظ للبخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ص٥٥٢، ج٢، رقم ١٤٤٩.

لباسهم في الثياب الأبيض ثياب الإحرام يوحي للإنسان بالتقشف والزهد والسمو والارتقاء فوق المادة، وتجعل الإنسان يشعر بمعنى السواسية مع غيره من الناس، تعلمه التواضع والتهذيب والأخلاق الحسنة، وهو رياضة للنفس على التحمل والمشقة في أداء العبادات مثل الطواف والسعي والوقوف بعرفة، فالحج مدرسة للمسلمين يتعلمون منه في هذه الأيام القليلة الكثير من أمور دينهم.

المبحث الرابع

زينة المعاملات

وفيه قسمان:

القسم الأول: زينة النظافة: حرص الإسلام على النظافة، وجعلها عنواناً للمسلم، وعني بها عناية فائقة، فقال النبي ﷺ: «النظافة من الإيمان»[1]، وجعلها شرطاً لصحة الإيمان والإسلام، فنجد أن الإسلام عني بنظافة الأبدان، لأن المسلم الصحيح الجسم النظيف قادر على أداء العبادات التي تطلب منه، والأعمال التي تساعده على الحياة في هذه الحياة الدنيا.

أكد على ذلك الرسول ﷺ بقوله: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»[2]، ولذلك فرض على المسلمين كل السبل التي تؤدي إلى صحة الأبدان، لأن صحة الأبدان تؤدي إلى صحة النفوس، وصحة النفوس تجعلها طائعة ملبية لأوامر الله، تقبل على الطاعات والعبادات بهمة ونشاط.

فجعل الطهارة شرطاً لصحة الصلاة، وجعل الطهارة إما بالوضوء أو بالاغتسال، والوضوء يكون من الحدث الأصغر مثل البول أو الغائط، أما الاغتسال فيكون من الحدث الأكبر، فالوضوء هو غسل أعضاء مخصوصة بطريقة مخصوصة مثل اليدين والرجلين وغسل الوجه ومسح الرأس والمضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين، وتدليك ما بين أجزاء الجسم والتخليل بين الأصابع، والتثليث، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ ﴿٦﴾﴾ [المائدة].

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب الزينة والتطيب، باب كتاب الزينة والتطيب، ص٢٩٤، ج١٢.

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، باب ما يكره من الكلام وما يكره، ص٢٩، ج١٣، رقم ٥٧٢٢، وجاء في صحيح مسلم وسنن ابن ماجة ومسند أحمد وسنن البيهقي.

والغاية من ذلك غسل جميع الأدران التي يصاب بها الإنسان ليأتي إلى الصلاة طاهر النفس والبدن والثوب، وفي كل هذا فالوضوء هو وقاية للإنسان من الإصابة بالأمراض التي قد تأتي بها الجراثيم.

ثم الاغتسال أو الاستحمام، لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ﴾ [المائدة]، وهو غسل جميع البدن بالماء من الحدث الأكبر مثل الحيض أو النفاس أو الجماع، فهي تعطي للإنسان القوة بعد التعب، وتزيل عنه هموم النفس والكآبة والشعور بالكسل والخمول والخذلان، فبعد أن يغسل الإنسان بدنه يزول عنه كل هذا، ويشعر بنشاط تتجدد معه حيويته.

ولم تقتصر النظافة على الوضوء والاغتسال، بل أكثر من ذلك، فقد تطرق الإسلام إلى تنظيف الشعر وتسريحه والعناية به، وقد بينا أن من سنن الفطرة أن يهذب الإنسان شعره، فيحرص على تنظيفه وتمشيطه وتسريحه، وكيف حث الرسول الكريم ﷺ على إزالة الشعر الزائد الذي يؤدي إلى قذارة فحثَّ على نتف الإبط وحلق شعر العانة، لما يؤدي بقاء ذلك إلى مخالفة للنظافة والطهارة.

وكذلك تقليم الأظافر التي يمكن أن يكون تحتها مجمع للجراثيم، فحرص الإسلام على تقليم الأظافر لأنها نوع من النظافة (نظافة اليدين) إلى جانب غسلهما قبل الأكل وبعده، وبعد الانتهاء من العمل إذا كان العمل يؤدي إلى قذارة اليدين.

وكذلك عني الإسلام بتنظيف الأسنان، واعتبرها من أنواع العبادات، فقد حث الرسول الكريم على ذلك بقوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[1]، فالسواك عود من خشب الأراك له ألياف دقيقة، وهو فرشاة طبيعية زودت بأملاح معدنية ومواد عطرية، والرسول ﷺ كان خير مثال وقدوة لنا في هذا الأمر، ولأن ترك الأسنان دون تنظيف قد يؤدي إلى تسوس الأسنان، وإفراز سموم تسبب أمراضاً كثيرة.

وإلى جانب ذلك نجد أن الإسلام حرص على التطهر من النجاسة سواء كان من بول

---

(١) متفق عليه، واللفظ من صحيح مسلم، كتاب الطهارة باب السواك، ص٢٢٠، ج١، رقم ٢٥٢.

أو غائط، فأمر المسلمين بغسل الفرج والاستنجاء بالماء الطاهر باليد اليسرى لأن اليمنى للتشهد في الصلاة والطعام والذكر وغيرها.

ومن الطهارة والنظافة التي حرص الإسلام عليها عدم البول في الماء الراكد، لأن البول في الماء الراكد قد يسبب الأمراض الفتاكة ونقل الأمراض المعدية، لأن الماء الراكد يكون مستنقعاً ومكاناً لتوالد الجراثيم والفطريات.

ومن النظافة التي حرص الإسلام عليها نظافة البيئة والبيت المسلم وحتى فناء داره لقول الرسول ﷺ: «نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود»[1]، وكذلك حرص الإسلام على نظافة الأواني التي يستخدمها الإنسان قال الرسول ﷺ: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فاغسلوه سبعاً إحداهن بالتراب»[2] لأن في لعاب الكلب جرثومة لا يقتلها إلا التراب، وهذا دلالة على نجاسة لعاب الكلب.

فنجد أن الإسلام حرص على نظافة المسلم، وجعله شامة بين الناس يعرف بنظافته وطهارته، فالمسلم جزء من المجتمع، وإذا حرص كل مسلم على نظافته الشخصية ونظافة بيته وفناء داره لكان المجتمع مجتمعاً نظيفاً طاهراً يحبه الله ورسوله.

والنظافة والطهارة لا تشمل المظهر الخارجي للإنسان، بل يؤثر ذلك في نفوسهم، فنجد أن نفوسهم طاهرة نقية، وتكون بذلك أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس كما أراد الله ورسوله.

القسم الثاني التوسط بين مطالب الروح والجسد: امتاز الإسلام عن غيره من الديانات، بأن أوامره جاءت تلبي حاجات الإنسان الروحية والجسدية، فلكل إنسان متطلبات ومطالب روحية هي الحب والكره والتمتع بالحياة المادية والملذات الجسدية. فالإسلام لا يأمر المسلم أن يحرم نفسه من متعة مادية، ولا ملذة جسدية ما دام يتناولها من طريقتها المشروعة التي أباحها الله له، في حدود الاعتدال دون التجاوز أو

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء في النظافة، ص١١١، ج٥، رقم ٢٧٩٩، وورد في صحيح البخاري وموطأ مالك ومسند أحمد.

(٢) متفق عليه، واللفظ في سنن النسائي (المجتبى)، كتاب المياه، باب تعفير الإناء بالتراب من ولوغ الكلب فيه، ص١٧٧، ج١، رقم ٣٣٨.

الحرمان منه.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص].

وأباح الإسلام للمسلمين التجمل بأنواع الزينة والتمتع بالمشتهيات المشروعة في حدود الاعتدال، قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف]، وبين الله للمسلمين وأرشدهم إلى الجمع بين مطالب الروح ومطالب الدنيا والآخرة.

فمن الزينة التي أباحها الله، والتي فيها تحقيق لمطالب الجسد ومطالب الروح الزواج، فأباح الله للإنسان الزواج والابتعاد عن الزنا، لأن الزنا يؤدي إلى تفشي الأمراض والفواحش وغيرها من الآفات، فأبدلهم الله عن ذلك بالزواج الذي يحقق للإنسان مطالب نفسية منها التمتع بالملذات الدنيوية وتحقيق رغبة حب البقاء عن طريق النسل الذي يأتي به، وتوثيق العرى بين الناس وصلاتهم عن طريق النسب، والابتعاد عن الرهبانية وهو الامتناع عن الزواج، لقوله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحديد].

ومن المطالب المادية حب المال، فقد جبل الإنسان على حب المال والاستكثار منه، فأباح الإسلام للإنسان حق التملك وحق التصرف، وأباح العمل المشروع لجني الإنسان ثمار عمله بالطريق الحلال، وحرم الله الربا والسرقة والسلب والنهب، وبين للإنسان الطرق المشروعة في كسب المال وطرق إنفاقه.

ومع كل هذا نجد أن الإسلام بيّن وحذر من الاغترار في متع الحياة الدنيا من التفاخر والتكاثر بقوله تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾ [التكاثر]، وقوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد]، وبين أن الحياة الدنيا إنما هي لعب ولهو وزينة وتفاخر بتكاثر الأموال والأولاد وكل ذلك متاع زائل، وقوله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف] فشبه الله نظرة الحياة الدنيا بزينة المال والبنين اللذين هما زينة فانية، وأما الأعمال الصالحة فباقية خالدة عند ربها، وبها ينال الجزاء الأوفى.

فنجد أن الإسلام أباح للإنسان أن يحقق ما يريد من مطالب روحه ومطالب جسده، ولكن في الحدود التي أباحها الإسلام، ليعدل بين مطالب الروح وحاجتها ومطالب

الجسد ومتطلباته، فلا يطغى مطلب على آخر يؤدي بالإنسان إلى غضب الله وسخطه والوقوع في النار.

القسم الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم واجبات الإسلام، والتهاون في القيام بهذا الواجب أدى إلى نشر المفاسد، وشيوع المنكرات، واستحلال المحرمات والأعراض.

واتفق الإمام أبو حنيفة وغيره من الفقهاء: (على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة من الله تعالى، وقال ابن حزم في «المحلى»: والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضان على كل أحد على قدر طاقته، باليد، فمن لم يقدر فبلسانه، فمن لم يقدر فبقلبه وذلك أضعف الإيمان، وليس وراء ذلك من الإيمان شيء».

وفي إحياء علوم الدين للغزالي قال: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النَّبيِّين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وفشت الضلالة واستشرى الفساد، واتسع الخرق وهلك العماد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد).

وقد كان الذي خفنا أن يكون فإنا لله وإنا إليه راجعون، فاستولى على القلوب مداهنة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات، وعز على الأرض مؤمن صادق، لا تأخذه في الله لومة لائم، قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران]، وقوله سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران]. وقد سبق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله تعالى في الآية الثانية، مع أنه هو الأصل، الذي تبنى عليه أعمال الخير، تشريفاً لتلك الفريضة وإعلاء لمنزلتها بين الفرائض.

وقد تضمنت الآية الكريمة تعليق الحكم بأن هذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس على:

١- الأمر بالمعروف. ٢- النهي عن المنكر. ٣- الإيمان بالله تعالى.

فإذا فقدت هذه الصفات، فقد فقدت أسباب خيريتها، وقد روى أحمد ومسلم

والأربعة عن أبي سعيد أنه ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1]، وقوله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[2].

وبعد أن يقوم الإنسان بواجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يلتزم نفسه فقد روي أن أبا بكر رضي الله عنه قام خطيباً وقال: (يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [المائدة] وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروا أوشك أن يعمهم الله بعقاب»[3].

ولا ينبغي للمسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يكون فيه خصال ثلاثة:

١- رفيق بما يأمر وعالم بما يأمر. ٢- رفيق بما ينهى وعالم بما ينهى. ٣- عدل فيما ينهى.

وإنما يجب إنكار ما يرى من المنكرات، كما هو ظاهر من الحديث: من رأى، أما إذا اختفى عن الأعين، ولا يتعرض له ويترك أمره إلى الله، والمنكر الذي يجب إنكاره ما كان مجمعاً عليه، أما ما كان موضع الخلاف، واجتهاد بين الأئمة فلا ينبغي الإنكار على من فعله مجتهداً، أو مقلداً لمجتهد تقليداً سائغاً.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ص٦٩، ج١، رقم ٤٩، وورد في صحيح البخاري وسنن ابن ماجة وأبي داود والترمذي ومستدرك الحاكم ومسند أحمد.

(٢) متفق عليه، واللفظ من صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ص٦٩، ج١، رقم ٥٠.

(٣) مسند الإمام أحمد، كتاب مسند أبي بكر الصديق، باب مسند أبي بكر الصديق، ص١٠، ج١، رقم ١٧، وورد في موطأ مالك وسنن أبي داود والبيهقي.

الفصل الثاني
زينة الشيطان

وفيه ثلاثة مباحث:

التمهيد:

أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن الشيطان، والسبب في كيده للإنسان، وذلك لما سأله عن سبب امتناعه عن السجود لآدم، فأبى واستكبر وكان من الكافرين، فقال الله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ [البقرة]، وبدأ بكيده للإنسان، واتخذ في ذلك عدة سبل وطرق، ومن هذا ما يبينه الله تعالى بكتابه العزيز: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ۝١٧﴾ [الأعرف]، وبين رسول الله ﷺ ذلك فقال: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه كلها»[1].

والسبل التي يسلكها الشيطان لإضلال الإنسان هي سبل الإنسان الأربعة، فإنه تارة يأخذ على جهة يمينه، وتارة على شماله، وتارة أمامه، وتارة يرجع خلفه، فأي سبيل سلكها من هذه وجد الشيطان عليها رصداً، فإن سلكها في طاعة وجده عليها يبعده عنها ويقطعه، أو يعوقه ويبطئه، وإن سلكها بمعصية وجده عليها حاملاً له خادماً ومعيناً وممنيّاً، ولو اتفق له الهبوط إلى أسفل لأتاه من هنا، ومما يشهد لصحة لك قوله تعالى: ﴿۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ۝٢٥﴾ [فصلت]، قال الكلبي: (ألزمناهم قرناء من الشياطين)، وقال مقاتل: (هيأنا لهم قرناء من الشياطين)، وقال ابن عباس: (ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة).

والمقصود أنهم زينوا لهم الدنيا حتى آثروها، ودعوهم إلى التكذيب بالآخرة

---

(١) سنن النسائي (المجتبى)، كتاب الجهاد، باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد، ص٢١، ج٦، رقم ٣١٣٤.

والإعراض عنها، وزينوا لهم أنه لا جنة ولا نار، وقال سبحانه: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص]، وقال أيضاً: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء].

فمن خلال الآيات تبين لنا أن الشيطان اتخذ سبلاً لإضلال الإنسان وتزيينه للإنسان ومنها:

أولاً: زينة العقيدة.

ثانياً: زينة العبادات.

ثالثاً: زينة المعاملات والأخلاق.

المبحث الأول

زينة الشيطان في العقيدة

إن أول ما يحاول الشيطان أن يمسه لإضلال الإنسان هو العقيدة، لأنها أساس الإيمان فإذا استطاع أن يبعده عن عبادة الحق سبحانه فقد فاز الشيطان، لأنه يعلم أن عدوه الأول هو الإنسان المؤمن بالله فيحاول إضلاله بكل الوسائل والطرق ومنها:

القسم الأول: الغواية: من خلال الآيات تبين لنا أن الشيطان يحاول غواية الإنسان بكل الطرق والسبل ومن هذه السبل غوايته عن الطريق القويم إلى سبل متفرقة تبعد الإنسان عن طريق الحق الذي يؤدي بنهايته إلى الجنة، قال الله تعالى محدثاً عن إبليس: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص].

لما علم الشيطان أن الله معذبه يوم القيامة أظهر خبثه لله سبحانه وتعالى بشدة العداوة لربه ولآدم وذريته، وأقسم بعزة الله ليغوينهم كلهم أجمعين عن الطريق المستقيم، وطرق الغواية التي يتبعها أنه يمنيهم أنه لا جنة ولا نار، قال ابن عباس: (يريد تعويق التوبة وتأخيرها)، وقال الزجاج: (اجمع لهم مع الإضلال أنه أوهمهم أنهم ينالون مع ذلك حظهم من الآخرة، وقيل لأُمنِّيَنَّهُمْ ركوب الأهواء الداعية إلى العصيان والبدع، ولأمنينَّهم طول البقاء في نعيم الدنيا، فأطيل لهم الأمل ليؤثروها على الآخرة، قال الله تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [النساء].

القسم الثاني: زينة القلب: إن الشيطان هو عدو للإنسان، وإن أشرف ما في الإنسان قلبه، فالشيطان لا يقنع من الإنسان بفساد ظاهره، بل لا مقصد له بطريق الذات إلا فساد ذلك الأشرف، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ ﴾ [الناس]، والمقصود من الصدر هو القلب، وهو محل الإيمان والتقوى لقول الرسول ﷺ: «التقوى

هاهنا التقوى هاهنا وأشار إلى صدره ثلاث مرات»[١]، وقوله ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب»[٢]، فلذلك وجب وجوباً عينياً على كل مكلف حماية قلبه عن فساد الشيطان، لكن لا يتوصل لذلك إلا بمعرفة مداخله.

وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب، فحينئذ تجب معرفة مداخله، وهي صفات العبد، وهي كثيرة من أعظمها الحسد والحرص، مهما كان العبد حريصاً على شيء أعماه حرصه وأصمه، فنور البصيرة هو الذي يدرك تلك المداخل، فإذا أعماه الحرص والحسد لم يبصر، فحينئذ يجد الشيطان فرصة ومداخل منها الغضب، والخلوة بالمرأة والحسد والحقد..

ومن أعظمها حبُّ القلب زينةَ الحياة الدنيا وما يرجع إليها، فيبيض الشيطان فيه، حينئذ ويفرخ ويفتح له من الملاهي والقواطع عن الله وآياته ورسوله وسنته، ما يزين له البقاء عليه إلى أن يأتيه الموت، وهو على نقصه وغفلته وإنفاق نفائس أوقاته في البطالات، فربما ختم الله له بسوء والعياذ بالله تعالى، ومن أعظمها محبة الأكل والشرب، إذ الشبع ولو من حلال طيب يقوي الشهوات[٣].

القسم الثالث: يعدهم ويمنِّيهم: فوعد الشيطان ما يصل إلى قلب الإنسان نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا لذتك، وستعلو على أقرانك، وتظفر بأعدائك، والدنيا دول، ستكون لك كما كانت لغيرك، ويطول أمله، ويعده بالحسنى على شِرْكه ومعاصيه، ويمنيه الأماني الكاذبة على اختلاف وجوهها.

والفرق بين وعده وتمنيه، أنه يعده بالباطل، ويمنيه المحال، والنفس المهينة التي لا قدر لها تغتر بوعده وتمنيه، والنفس المبطلة الخسيسة تلتذ بالأماني الباطلة والوعود الكاذبة، وتفرح بها كما يفرح بها النساء والصبيان، ويتحركون لها، فالأقوال الباطلة

---

(١) أبو يعلى، كتاب قتادة عن أنس، باب قتادة عن أنس، ص٣٠١، ج٥، رقم ٣٩٢٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ص٢٨، ج١، رقم ٥٢، وورد في صحيح مسلم وسنن ابن ماجة وموطأ مالك وسنن البيهقي ومسند أحمد ومستدرك الحاكم.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ص٩١.

مصدرها وعد الشيطان وتمنيه، فإن الشيطان يمني أصحابها بالظفر بالحق وإدراكه، ويعدهم الوصول إليه من غير طريقة، فكل مبطل له نصيب من قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران].

القسم الرابع: التخويف من جند الله وتثبيط العزائم: ومن كيد الشيطان أنه يخوف المؤمنين وأولياء الله من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنه بقوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

والمعنى عند جميع المفسرين أنه (الشيطان) يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: (يعظمهم في صدوركم) ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران] فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف الإيمان قوي خوفه منهم.

القسم الخامس: يسحر العقل فيزين له فعل الشر: ومن مكايد الشيطان للإنسان أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيده، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له العقل الذي يضره حتى يخيل له أنه من أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيل له أنه يضره فلا إله إلا الله.. كم فتن بهذا السحر من إنسان! وكم حال بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان..! وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة، وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة..! فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة، والآراء المتشعبة، وسلك بهم سبل الضلال كل مسلك! وألقاهم في المهالك، في مهلك بعد مهلك، وزين لهم عبادة الأصنام وقطيعة الأرحام، ووأد البنات ونكاح الأمهات، ووعدهم بالفوز بالجنة مع الكفر والفسوق والعصيان، وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه في قالب التنزيه، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس، وحسن الخلق معهم والإعراض عما جاء به الرسول ﷺ في قالب التقليد، والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم؟

والنفاق والإدهان في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس، فهو صاحب الأبوين حين أخرجهما من الجنة، وصاحب قابيل حين قتل أخاه هابيل، وصاحب قوم نوح حين أغرقوا، وقوم عاد حين أهلكوا بالريح العقيم، وصاحب

قوم صالح حين أهلكوا بالصيحة، وصاحب الأمة اللوطية حين خسف بهم وأتبعوا بالرجم بالحجارة، وصاحب فرعون وقومه حين أُخذوا الأخذة الرابية، وصاحب عُبَّاد العجل حين جرى عليهم ما جرى، وصاحب قريش حين دعوا يوم بدر، وصاحب كل هالك ومفتون.

القسم السادس: إيعاد الإنسان بالأيمان الكاذبة: وهذه من أوائل كيده ومكره بالإنسان، وذلك أنه كاد للأبوين آدم وحواء في الجنة، وأقسم لهما بالأيمان الكاذبة أنه ناصح لهما، وأنه إنما يريد الخلوة لهما في الجنة، أو أن يكونا ملكين من الملائكة، ولما لم يكن من شك في القسم أو اليمين صدقا أيمانه الكاذبة، فقال الله سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأعراف].

فالوسوسة: حديث النفس والصوت الخفي، قال الله تعالى: ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق] وعلم عدو الله أنهما إذا أكلا من الشجرة بدت لهما عوراتهما، فإنها معصية، والمعصية تهتك ستر ما بين الله وبين العبد، فلما عصيا انهتك ذلك الستر فبدت لهما سوءاتهما، فالمعصية تبدي السوأة الباطنة والظاهرة، فإن الله سبحانه وتعالى أنزل لباسين:

١- لباساً ظاهراً يواري العورة ويسترها.

٢- لباساً باطناً من التقوى يجمل به العبد ويستره، فإذا زال عنه هذا اللباس انكشفت عورته الباطنة، كما تنكشف عورته الظاهرة بنزع ما يسترها.

وورَّثَ عدو الله هذا المكر لأوليائه وحزبه عند خداعهم للمؤمنين كما كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا جاؤوه: ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون] فأكدوا خبرهم بالشهادة، وبإنْ وبلام التأكيد، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴿٥٦﴾ ﴾ [التوبة][1].

القسم السابع: إعزاز النفس وإهانتها: من مكايده للإنسان أنه يأمر بإعزاز النفس وصونها حيث يكون رضى الرب تعالى في إذلالها وابتذالها كجهاد الكفار والمنافقين،

---

(١) ابن قيم الجوزية، مصائد الشيطان، ج١، ص١١-١١٥.

وأمرِ الفجار الظلمة بالمعروفِ ونهيهم عن المنكر. فيخيل للإنسان أن في ذلك تعريضاً لنفس الإنسان إلى مواطن البذل وتسليط الأعداء وطعنهم في الإنسان، فيزول جاهه فلا يقبل منه بعد ذلك ولا يسمع منه.

ويأمر بإذلالها وامتهانها حيث يكون مصلحتها في إعزازها وصيانتها، كما يأمر بالابتذال لذوي الرياسات وإهانة النفس لهم، ويخيل للإنسان في ذلك أنه يضرها بهم، ويرفع من قدرها بالذل لهم.

القسم الثامن: اتخاذ الأنصاب والأزلام: ومن أعظم مكايده ما نصبه للناس من الأنصاب والأزلام التي هي من عمله، وقد أمر الله تعالى باجتناب ذلك، وعلق الفلاح باجتنابه فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة].

فالأنصاب: كل ما نصب ليعبدَ من دون الله من حجر أو شجر أو وثن أو قبر، وهي جمع واحدها نصب، وأصل اللفظة الشيء المنصوب الذي يقصده من رآه ومنه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المعارج]، قال ابن عباس: (إلى غاية أو علم يسرعون)، وقال الزجاج: (وهذا على من قراءة (نُصُب) بضمتين كقوله تعالى: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة]، وقال: (ومعناه: أصنام لهم)، والمقصود أن النصب كل شيء نصب من خشبة أو حجر أو علم، و﴿ يُوفِضُونَ ﴾ من الإيفاض وهو الإسراع.

وأما الأزلام: فقال ابن عباس رضي الله عنهما هي قداح (كانوا يستقسمون بها) أي: يطلبون بها علم ما قسم لهم. قال سعيد بن جبير: (كانت لهم حصبات إذا أراد أحدهم أن يغزو، أو أن يجلس استقسم بها، وقال: (هي القدحان اللذان كان يستقسم بهما أهل الجاهلية في أمورهم أحدهما مكتوب عليه: أمرني ربي، والآخر: نهاني ربي، فإذا أرادوا أمراً ضربوه بها، فإن خرج الذي عليه (أمرني) فعلوا ما هَمُّوا به، وإن خرج الذي عليه (نهاني) تركوه.

ولا فرق بين ذلك وبين قول المنجم: لا تخرج من أجل نجم كذا، واخرج من أجل طلوع كذا، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان]، وذلك دخول في علم الله عز وجل الذي هو من علم الغيب عنا، فهو حرام كالأزلام التي ذكرها

الله تعالى.

قال القاضي الإمام أبو بكر العربي: (معناه: أن تطلبوا ما قسم لكم، وجعل من حظوظكم وآمالكم ومنافعكم، وهو محرم فسق، فمن فعله، فإنه تعرض لعلم الغيب، ولا يجوز لأحد من خلق الله تعالى أن يتعرض للغيب ويطلبه، فإن الله سبحانه وتعالى قد رفعه بعد نبيه إلا في الرؤيا. فإن قيل: فهل يجوز طلب ذلك في المصحف؟ قلنا: لا يجوز فإنه لم يبين المصحف ليعلم به الغيب، إنما بُيِّنتْ آياته ورسمت كلماته ليمنع عن الغيب فلا تشتغلوا به، ولا يتعرض أحدكم له، وقوله: ورسمت كلماته ليمنع عن الغيب فلا تشتغلوا به، ولا يتعرض أحدكم له، وقوله: الرؤيا ليس معناه ما يدعيه بعض الدجالين من أن في استطاعته أن يرى في كل وقت ومتى شاء ما شاء، ولكل من يطلب معرفة حظه والمقدر له في الأمر يريده، هذا غلو في الجهل والدجل ودعوى باطلة)[1].

وقال الإمام القرطبي: (بعد ما بين معنى الأزلام عن السلف: فالاستقسام بهذا كله هو طلب القسم والنصب، وهو من أكل المال الباطل وهو حرام، وكل مقامرة بحمام أو نردٍ أو شطرنج أو غير ذلك من الألعاب فهو استقسام بما هو في معنى الأزلام حرام كله، وهو ضرب من التكهن والتعرض لدعوى علم الغيب)[2].

وكذلك ما يسميه العامة استخارة بالسبحة وأخذ الفأل من الفنجان ومن الكف ونحوه، كل ذلك استقسام بالأزلام حرام، والمقصود: إن الناس قد ابتلوا بالأنصاب والأزلام، فالأنصاب للشرك والعبادة، والأزلام للتكهن وطلب علم ما استأثر الله به، هذا للعلم وتلك للعمل، ودين الله سبحانه وتعالى مضاد لهذا وهذا، والذي جاء به الرسول ﷺ إبطالهما وكسر الأنصاب والأزلام.

ومن الأنصاب ما قد نصبه الشيطان للمشركين من شجرة أو عمود أو وثن أو قبر أو خشبة أو عين ونحو ذلك، والواجب هدم ذلك كله، ومحو أثره كما أمر النبي ﷺ علياً رضي الله عنه بهدم القبور المشرفة وتسويتها بالأرض.

ومن تزيينه للعامة تخليق الحيطان والعمد، وإسراج مواضع مخصوصة من كل بلد،

---

(١) أبو بكر العربي، آيات الأحكام، ج١، ص٢٢٥.

(٢) الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لآيات الأحكام، ج٦، ص٥٩.

ومن أعظم كيده أنه يُنصبُ لأهل الشرك قبر معظم يعظمه الناس ثم يجعله وثناً يعبد من دون الله، ثم يوحي إلى أوليائه أن ينهى عن عبادته واتخاذه عيداً، وجعله وثناً فقط تنقصه وتهضم حقه، فيسعى الجاهلون المشركون في قتله وعقوبته ويكفرون، وذنبه عند أهل الإشراك، أمره بما أمر الله به ورسوله ﷺ ونهيه عما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، من جعله وثناً وعيداً وإيقاد السراج عليه، وبناء المساجد والقباب عليها وتخصيصها، وإشارته وتقبيله واستلامه ودعائه، أو الدعاء به أو السفر إليه أو الاستعانة والاستغاثة به من دون الله، مما قد علم بالاضطرار من دين الله أنه مضادٌّ لما بعث به رسوله ﷺ: من تجريد التوحيد لله، وأن لا يعبد إلا الله، فإذا نهى الموحد عن ذلك غضب المشركون واشمأزت نفوسهم وقلوبهم، وقالوا: قد تنقَّصَ أهل الرتب العالية، وزعم أن لا حرمة لهم ولا قدر، وسرى ذلك في نفوس الجهال والعظام، وكثير ممن ينسب إلى العلم والدين، حتى تمادوا وعادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم هم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك، فما كانوا أولياءه، إنْ أولياؤه إلا المتبعون له الموافقون له، العارفون بما جاء به، الداعون إليه، لا المتشبعون بما لم يعطوا لابسو ثياب الوزر، والذين يصدون الناس عن سنة نبيهم، ويبغونها عوجاً وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً[١].

(١) مصائد الشيطان.

المبحث الثاني

زينة الشيطان في العبادات

ولا يكتفي الشيطان أن يزين للإنسان في عقيدته، بل يسعى إلى سبيل آخر وهو عبادة الإنسان لخالقه، فيدخل من هذا المجال عله يجد من مجيب، فيبعده عن عبادة الله ويضله، وذلك بأن يصور له أمر العبادة بأنها ثقيلة على النفس، فنجد الإنسان لا يقوم إلى صلاة إلا بعد جهد جهيد، وينساها أحياناً كثيرة، أو لا يعطيها حقها في الأداء، فيفوت بعض أركانها، أو يسرع في أدائها، فينقرها كنقر الديكة.

ويستحي بعض الناس من أدائها أمام الغير ظناً منهم أن هذا من التخلف، وما هو إلا استجابة لأمر الشيطان، ولا يكفي بالصلاة، بل في الصيام أيضاً نجده يصوم خوفاً من الناس وليس طلباً لرضى الله سبحانه، وينظر بفارغ الصبر انتهاء شهر رمضان حتى يفعل ما يريد، وكأن شهر رمضان هو الذي يمنعه عن فعل المنكرات أو المحرمات فقط، وباقي الأشهر يحل له، وكذلك بالنسبة للزكاة فهو لا يدفعها، لأن الشيطان يزين له أن في دفع الزكاة إنقاصاً للمال الذي جمعه بعد جهد، وأما الحج فيعتذر بأوهن الأعذار لعدم قدرته على الذهاب، ويتخذ في إضلال الإنسان بالنسبة لعبادات سبلاً وطُرقاً لإبعاده عن ذلك منها:

القسم الأول: تغيير خلق الله: ومن سبله في التزيين للإنسان تغيير الخلقة التي خلق الإنسان عليها، فقال الله تعالى: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء]، إن الله سبحانه وتعالى فطر عباده على الفطرة السليمة، وهي ملة الإسلام فقال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم] ولهذا قال ﷺ: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، فهل تحسون فيها من جدعاء،

حتى تكونوا أنتم تجدعونها»[1]، ثم قرأ أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۝٣٠﴾ [الروم] فجمع عليه الصلاة والسلام بين الأمرين: تغيير الفطرة بالتهويد والتنصير وتغيير الخلقة بالخداع، وهما الأمران اللذان أخبر إبليس أنه لا بد أن يغيرهما، فغير فطرة الله بالكفر، وهو تغيير الخلقة التي خلقوا عليها، وغير الصورة بالجدع والبتك، فغير الفطرة إلى الشرك، والخلقة إلى البتك والقطع، فهذه تغيير خلقة الروح، وهذه تغيير خلقة الصورة.

القسم الثاني: التخويف من الفقر: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ ۝٢٦٨﴾ [البقرة]، والوعد بالفقر: هو التخويف به فيقول: إن أنفقتم أموالكم افتقرتم ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ وهي البخل في هذا الموضع خاصة، ويذكر عن مقاتل والكلبي: (كل فحشاء في القرآن فهي الزنا إلا في هذا الموضع فإنها البخل).

فذكر سبحانه وتعالى وعده الشيطان وأمره: أمرهم بالشر ويخوفهم من فعل الخير، وهذان الأمران هما جماع ما يطلبه الشيطان من الإنسان فإنه إذا خوفه من فعل الخير تركه، وإذا أمره بالفحشاء وزينها له ارتكبها.

وسمى سبحانه وتعالى تخويفه وعد بالانتظار، الذي خوفه إياه كما ينتظر الموعود مما وعد به، ثم ذكر سبحانه وتعالى وعده على طاعته، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وهي المغفرة والفضل.

فالمغفرة: وقاية من الشر، والفضل: إعطاء الخير، وفي الحديث المشهور عنه ﷺ: «إن للملك لمةً وللشيطان لمة، فلمة الملك إيعاد بالخير، وتصديق بالوعد، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيبه بالوعد»[2]، ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۝٢٦٨﴾ [البقرة]، فالملك والشيطان يتعاقبان على القلب تعاقبَ الليل والنهار،

(١) ورد عند الشيخين والحاكم وأحمد والبيهقي، واللفظ للبخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، ص٤٥٦، ج١، رقم ١٢٩٢.

(٢) البحر الزخار في مسند البزار، مسند عبد الله بن مسعود، باب مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود، ص٣٩٤، ج٥، رقم ٢٠٢٧.

فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره، وآخر بضده، ومنهم من يكون زمنه نهاراً كله، وآخره بضده.

القسم الثالث: تثبيط العزائم وإضعاف الهمم: ومن كيد الشيطان وتزيينه للإنسان أنه يشأم النفس، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها، قوة الإقدام والشجاعة أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة.

فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تثبيطه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به، وثقله عليه، فهوّن عليه تركه حتى يتركه جملة أو يقصر فيه ويتهاون عليه.

وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة، أخذ يقلل عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة فيقصر بالأول ويتجاوز بالثاني، كما قال بعض السلف: ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان:

إما إلى تفريط وتقصير.

وإما إلى مجاوزة وعلو.

ولا يبالي بأيهما ظفر، قد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين: وادي التقصير ووادي المجاوزة والتعدي، والقليل منهم جداً الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه: فقوم قصر بهم الإتيان بواجبات الطهارة، وقوم تجاوز بهم إلى مجاوزة الحد بالوسواس، وقوم قصر بهم عن إخراج الواجب من المال، وقوم تجاوز بهم حتى أخرجوا ما في أيديهم وقعدوا كلاً على الناس، مستشرفين إلى ما بأيديهم، وقوم قصر بهم عن تناول ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب واللباس حتى أضروا بأبدانهم وقلوبهم، وقوم تجاوزوا حتى أخذوا فوق الحاجة فأضروا بقلوبهم وأبدانهم.

وكذلك قصر بقوم في حق الأنبياء وورثتهم حتى قتلوهم، وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم، وقصر بقوم في خلطة الناس حتى اعتزلوهم في الطاعات كالجمعة والجماعات والجهاد وتعلم العلم، وتجاوز بقوم حتى خالطوهم في الظلم والمعاصي والآثام.

وقصر بقوم حتى امتنعوا عن ذبح عصفور أو شاة ليأكله، وتجاوز بآخرين حتى جرأهم على الدماء المعصومة، وقصر بقوم حتى منعهم من الاشتغال بالعلم الذي ينفعهم،

وتجاوز بآخرين حتى جعلوا العلم وحده هو غايتهم دون العمل به، وقصر بقوم حتى زين لهم ترك سنة رسول الله ﷺ من النكاح فرغبوا عنه بالكلية، وتجاوز بآخرين حتى ارتكبوا ما وصلوا إليه من الحرام، وقصر بقوم حتى أطعمهم من العشب ونبات البرية، دون غذاء بني آدم، وتجاوز بآخرين حتى أطعمهم الحرام الخالص، وقصر بقوم حتى جفوا الشيوخ من أهل الدين والصلاح، وأعرضوا عنهم، ولم يقوموا بحقهم، وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم مع الله تعالى.

وكذلك قصر بقوم حتى منعهم قبول أقوال أهل العلم والالتفات إليها بالكلية، وتجاوز بآخرين حتى جعلوا الحلال ما حللوه والحرام ما حرموه، وقدموا أقوالهم على سنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة، وقصر بقوم حتى تزينوا للناس وأظهروا لهم من الأعمال والعبادات ما يحمدونهم عليه، وتجاوز بقوم حتى أظهروا لهم من القبائح ومن الأعمال السيئة ما يسقطون به جاههم عندهم، وقصر بقوم حتى أهملوا أعمال القلوب، ولم يلتفتوا إليها وعدوها فضلاً أو فضولاً، وتجاوز بآخرين حتى قصروا نظرهم وعملهم عليها، ولم يلتفتوا إلى كثير من أعمال الجوارح[1].

القسم الرابع: التزيين للإنسان بالانقطاع عن المسجد: ومن كيده وخداعه أنه يأمر الرجل بانقطاعه في مسجد أو رباط أو زاوية أو قرية ويحبسه هناك، وينهاه عن الخروج ويقول له: متى خرجت تبذلت للناس وسقطت في أعينهم، وذهبت هيبتك من قلوبهم، وربما ترى في طريقك منكراً، وللعدو في ذلك مقاصد خفية يريدها منه: منها الكبر واحتقار الناس وحفظ الناموس وقيام الرياسة، ومخالطة الناس تُذهب ذلك، وهو يريد أن يزار ولا يزور، ويقصده الناس ولا يقصدهم، ويفرح بمجيء الأمراء إليه، واحتاج الناس عنده، وتقبيل يده فيترك من الواجبات والمستحبات والقربات ما يقربه إلى الله، ويتعوض عنه بما يقرب الناس إليه.

القسم الخامس: اتخاذ القبور وكثرة الأعياد والموالد: العيد: ما يعتاد مجيئه وقصده من مكان وزمان. فأما الزمان فكقوله ﷺ: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق هي عيدنا أهل الإسلام»[2]، وأما المكان فلما روي أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني نذرت أن

---

(١) ابن قيم الجوزية، مصائد الشيطان، ج١، ص١١٥-١١٨.

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب الصوم، باب الصوم المنهي عنه، ص٣٦٨، ج٨، رقم ٣٦٠٣.

أنحر إبلاً ببوانة، فقال: أفيها وثن من أوثان المشركين، أوعيد من أعيادهم، قال: لا. قال فأوف بنذرك»[١]، وكقوله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيدا»[٢].

والعيد مأخوذ من المعاودة، والاعتياد فإن كان اسماً للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر، جعلها الله عيداً للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام التعبد فيها عيدا.

وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الإسلام أبطلها، وعوّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر، وأيام منى، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة المشرفة (البيت الحرام) وعرفة ومنى والمشاعر.

واتخاذ القبور عيداً من أعياد المشركين التي كانوا عليها قبل الإسلام، وقد نهى رسول الله ﷺ بقوله: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[٣].

وكثرة الأعياد غير هذين العيدين اللذان حددهما الإسلام عيد الفطر وعيد النحر، هي وسيلة من وسائل إضلال الشيطان والتزيين للإنسان وهو خروج عن طاعة الله.

القسم السادس: الاشتغال بالبدع: إن القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن، فنجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن طريق من فيها وهديه وسنته، مشتغلين بقبره عما أمر به ودعا إليه، وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هي باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم وسلوك طريقتهم دون عبادة قبورهم والعكوف عليها واتخاذها عيداً.

فإن من اقتفى آثارهم كان متسبباً إلى تكثير أجورهم باتباعه لهم، ودعوة الناس إلى

---

(١) ورد في سنن أبي داود وابن ماجة، والبيهقي، واللفظ لأبي داود، كتاب الإيمان، باب ما يؤمر من الوفاء بالنذر، ص٣٣٨، ج٣، رقم ٣٣١٣.

(٢) جاء في صحيح مسلم ومستدرك الحاكم ومسند أحمد وسنن البيهقي، واللفظ لأبي داود، كتاب أول كتاب المناسك، باب زيارة القبور، ص٢١٨، ج٢، رقم ٢٠٤٢.

(٣) جاء في صحيح مسلم ومستدرك الحاكم ومسند أحمد وسنن البيهقي، واللفظ لأبي داود، كتاب أول كتاب المناسك، باب زيارة القبور، ص٢١٨، ج٢، رقم ٢٠٤٢.

اتباعهم، فإذا أعرض عما دعوا إليه، واشتغل بضده حرم نفسه وحرمهم ذلك الأجر فأي تعظيم لهم واحترام في هذا؟

وإنما اشتغل كثير من الناس بأنواع من العبادات المبتدعة التي يكرهها الله ورسوله، لإعراضهم عن المشروع أو بعضه، وإن قالوا بصورته الظاهرة فقد هجروا حقيقته المقصودة منه، وإلا فمن أقبل على الصلوات الخمس بوجهه وقلبه عارفاً بما اشتملت عليه من الكلم الطيب والعمل الصالح، مهتماً بها كل الاهتمام، أغنته عن الشرك، وكل من قصر فيها أو في بعضها تجد فيها من الشرك بحسب ذلك.

ومن أصغى إلى كلام الله بقلبه وتدبره وتفهمه أغناه عن السماع الشيطاني الذي يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وينبت النفاق في القلب، وكذلك من أصغى إليه وإلى حديث الرسول ﷺ بكليته، وحدث نفسه باقتباس الهدى والعلم منه، لا من غيره ،أغناه عن البدع والآراء والتخرصات والشطحات والخيالات التي هي وساوس النفوس وتخيلاتها،كما أن من غمر قلبه بمحبة الله تعالى وذكره وخشيته والتوكل عليه والإنابة إليه أغناه ذلك عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه، وأغناه عن عشق الصور، وإذا خلا من ذلك صار عند هواه، أي شيء استحسنه ملكه واستعبده.

فالمعرض عن التوحيد شاكٌّ شاء أم أبى، والمعرض عن السنة مبتدع ضال شاء أو أبى، والمعرض عن محبة الله وذكره عند الصور شاء أو أبى[1].

---

(١) ابن قيم الجوزية، مصائد الشيطان، ج١، ص٢٠٧-٢١٤.

المبحث الثالث

زينة الشيطان في المعاملات والأخلاق

وللشيطان في المعاملات والأخلاق زينة يحاول بها إضلال الإنسان، وإبعاده عن كل ما يقرب الإنسان من ربه، حتى يكون الإنسان والشيطان في مكان واحد في الآخرة وهو النار، يجمعهم الكفر وعدم الطاعة، وعمل الفواحش والمنكرات، ولم يكتف بسبيل واحد، بل اتبع كل الطرق وكل السبل غايته الإضلال ونهايته النار، ومن جملة ما يضل به الإنسان ويغويه ويزين له هذه الأمور:

القسم الأول: التزيين للإنسان بالأفعال المشينة: فالشيطان يورد الإنسان الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعة، ثم يصدره المصادر التي فيها عطبهُ، ويتخلى عنه ويسلمه ويقف يشمت به، ويضحك منه، فيأمره بالسرقة والزنا والقتل ويدل عليه ويفضحه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنفال]، فإنه تراءى للمشركين عند خروجهم إلى بدر في صورة سراقة بن مالك، وقال: أنا جار لكم من بني كنانة أن يقصدوا أهلكم وذراريكم بسوء، فلما رأى عدو الله جنود الله تعالى من الملائكة نزلت لنصر الله ورسوله فَرَّ عنهم وأسلمهم.

وكذلك فعل بالراهب الذي قتل المرأة وولدها، أمره بالزنا ثم بقتلها، ثم دل أهلها عليه، وكشف أمره لهم، ثم أمره بالسجود له، فلما فعل فر عنه وتركه، وفيه أنزل قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحشر].

وهو عام في كل من أطاع الشيطان في أمره له بالكفر، لينصره ويقضي حاجته، فإنه يتبرأ منه ويسلمه كما يتبرأ من أوليائه جملة في النار ويقول لهم: ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم] فأوردهم شر الموارد وتبرأ منهم كل

البراءة[1].

القسم الثاني: العبوس في وجه الفقراء والمساكين: ومن مكايده أنه يأمر الإنسان أن يلقى المساكين وذوي الحاجات بوجه عبوس ولا يريهم الإنسان بشراً ولا طلاقة، فيطمعوا في الإنسان ويتجرأوا عليه وتسقط هيبته من قلوبهم، فيحرم صاع أوعيتهم، ومثل قلوبهم إليه، ومحبتهم إليه، فيأمر بسوء الخلق ومنع البِشْر والطلاقة مع هؤلاء، وبحسن الخلق والبشر مع غيرهم ليفتح على الإنسان باب الشر ويغلق عنه باب الخير.

القسم الثالث: المحلل والمحلل له: ومن مكايده التي بلغ بِها مراده، مكيدة التحليل الذي لعن رسول الله ﷺ فاعله وشبهه بالتيس المستعار، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له)[2]، وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له»[3]. ومعنى ذلك أن الزوجة تطلق من زوجها الطلقة الثالثة، أي: أن تكون بائنة بينونة كبرى، فلا يحق لها أن ترجع إلى زوجها حتى تتزوج من غيره فيطلقها الثاني وترجع إلى الأول، ويكون زواجها من الثاني وطلاقها باتفاق بين الزوج الأول والزوج الثاني، وهذا ما نهى عنه، وشبهه الرسول الكريم ﷺ - بالتيس المستعار.

ومن الإسلام أن لا يتفق الزوج الأول مع الزوج الثاني في هذا الأمر لقوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ ﴿٢٣٠﴾ ﴾ [البقرة].

القسم الرابع: الحيل والمكر والخداع: ومن مكايد الشيطان التي كاد بها للإسلام وأهله الحيل والمكر والخداع، الذي يتضمن تحليل ما حرم، وإسقاط ما فرضه الله تعالى، ومضادته في أمره ونهيه فإن الرأي رأيان:

---

(١) ابن قيم الجوزية، مصائد الشيطان، ج١، ص١٠٨-١١٠.

(٢) ورد في السنن الأربعة، وفي مسند أحمد، واللفظ عند أبي داود، كتاب النكاح، باب في التحليل، ص٢٢٧، ج٢، رقم ٢٠٧٦.

(٣) ورد في سنن ابن ماجة، ومستدرك الحاكم، وسنن البيهقي، والقرطبي، والدارقطني، واللفظ من سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب المحلل والمحلل له، ص٦٢٣، ج١، رقم ١٩٣٦.

١- رأي يوافق النصوص، وتشهد له بالصحة والاعتبار، وهو الذي اعتبره السلف وعملوا به.

٢- رأي يخالف النصوص، وتشهد له بالإبطال والإهدار، فهو الذي ذموه وأنكروه.

وكذلك الحيل نوعان:

١- نوع يتوصل به إلى معرفة ما أمر الله تعالى به، وترك ما نهى عنه، والتخلص من الحرام، وتخليص الحق من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد الظالم الباغي، فهذا النوع محمود يثاب فاعله ومعلمه.

٢- نوع يتضمن إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب المظلوم ظالماً والظالم مظلوماً والحق باطلاً والباطل حقاً، فهذا النوع الذي اتفق السلف على ذمه، وصاحبوا بأهله من أقطار الأرض.

أما النوع الأول فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: (فالدليل على تحريم هذا النوع وإبطاله من وجوه:

١- الوجه الأول: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ۝١٤٢﴾ [النساء]، وقال في أهل العهد: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۝٦٢﴾ [الأنفال]، فأخبر الله سبحانه وتعالى أن هؤلاء المخادعين مخدوعون وهم لا يشعرون، إن الله تعالى خادع من خدعه، وأنه يكفي المخدوع شَرَّ مَنْ خدعه.

والمخادعة: هي الاحتيال، والمراوغة: بإظهار الخير مع إبطال خلافه ليحصل مقصود المخادع، ومنه قوله ﷺ: «الحرب خدعة»[2]، وقال أهل اللغة: المدالسة والمخادعة.

إن المنافق لما أظهر الإسلام ومراده غيره سُمي مخادعاً لله تعالى، وكذلك المرائي،

---

(١) ابن تيمية، كتاب إقامة الدليل على إبطال التحليل.

(٢) ورد في صحيح البخاري ومسلم، ومسند أحمد وسنن أبي وداود والترمذي وسنن البيهقي، واللفظ للبخاري، كتاب السير، باب الحرب خدعة، ص١١٠٢، ج٣، رقم ٢٨٦٥.

والنفاق والرياء من باب واحد، فإذا كان هذا الذي أظهر قولاً غير معتقد ولا مريد لا لما يفهم منه، وهذا الذي أظهر فعلاً غير معتقد ولا مريد لما شرع له: مخادعاً، فالمحتال لا يخرج عن أحد القسمين:

١- إما إظهار فعل لغير مقصوده الذي شرع له.

٢- أو إظهار قول لغير مقصوده الذي شرع له.

وإذا كان مشاركاً لهما في المعنى الذي سميا به مخادعين، وجب أن يشركهما في اسم الخداع، وعلم أن الخداع اسم لعموم الحيل لا لخصوص هذا النفاق.

٢- الوجه الثاني: أن الله تعالى ذم المستهزئين بآياته، والمتكلم بالأقوال التي جعل الشارع لها حقائق ومقاصد، مثل كلمة الإيمان، وكلمة الله تعالى التي تستحل بها الفروج، ومثل العهود والمواثيق التي بين المتعاقدين - وهو لا يريد بها الحقائق المقدمة لها - ولا مقاصدها التي جعلت هذه الألفاظ محصلة لها، بل يريد أن يرجع المرأة لمطلقها، ولا حاجة له في نكاحها، أو ينكحها ليحلها لمطلقها لا ليتخذها زوجاً، ومقصوده بذلك ما حرمه الله تعالى ورسوله، فهو ممن اتخذ آيات الله تعالى هزؤاً، وقد أخبر ﷺ، أن طائفة من أمته تستحل الربا باسم البيع، كما أخبر عن استحلالهم الخمر باسم آخر.

والرأي الذي اشتقت منه الحيل المتضمنة لإسقاط ما أوجب الله تعالى، وإباحة ما حرم الله، هو الذي اتفق السلف على ذمه وعيبه، وإذا تدبرت الشريعة وجدتها قد أتت بسد الذرائع إلى المحرمات، وذلك عكس باب الحيل الموصلة إليه، فالحيل لها وسائل وأبواب إلى المحرمات، وسد الذرائع عكس ذلك.

فنهى عن سب آلهة المشركين لكونه ذريعة إلى أن يسبوا الله عدواً وكفراً على وجه المقابلة.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأنعام]، وأخبر النبي ﷺ: «إن من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: وهل يشتم

الرجل والديه؟ قال: نعم يَسبُّ أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»[1].

وحرم الخلوة بالمرأة الأجنبية، والسفر بها، والنظر إليها لغير حاجة حسماً للمادة وسداً للذريعة، ومنع النساء إذا خرجن إلى المسجد من الطيب والبخور، ومنعهن من التسبيح في الصلاة لنائبة تنوب بل جعل لهن التصفيق، ومنع المعتدَّة من الوفاة من الزينة والطيب والحلي..

القسم الخامس: تزيين الأمر على غير ما هو (فتنة الصوت): ذكرنا فيما سبق عن زينة اللسان وما ينتج عنها من فتنة للصوت، والفتن التي يبعثها اللسان وينشرها، منها: الصوت الرخيم، واللهجة المشرقة والحديث العذب، وأشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب] وبين الله السبب في ذلك حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض أو شك أو ريبة، أو زيَّنَ له الشيطان هذا الصوت بأمور على غير ما هي، ومن فتنة الصوت عدم وصف المرأة غيرها لزوجها، وعدم ذكر ما يكون بين الرجل وزوجته وغيرها.

ولربما سكت اللسان وقامت حركات أخرى تؤثر في سمع السامع بصوتها، وهذا أيضاً من باب فساد النية، وهو الضرب بالأرجل ليظهر رنين الخلاخل، فيعلم أن التي تسير امرأة، وهذا أمر منهي عنه في الإسلام بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

القسم السادس: الكلام الباطل: ومن حيل الشيطان ومكايده وتزيينه للإنسان الكلام الباطل، والآراء المتهافتة، والخيالات المتناقضة التي هي ذبالة الأذهان ونحاتة الأفكار، والزبد الذي يقذف به القلوبَ المظلمة المتحيرة التي قد تقاذفت بها أمواج الشبهات، ورانت عليها غيوم الخيالات، فمركبها القِيلُ والقال، والشك والتشكيك وكثرة الجدال، ليس لها حاصل من اليقين يعول عليه، ولا معتقد مطابق للحق يرجع إليه، قال الله تعالى: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك، وسنن أبي داود والترمذي، واللفظ للبخاري، كتاب الأدب، باب الرجل يسب والديه، ص٢٢٢٨، ج٥، رقم ٥٦٢٨.

فقد اتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجوراً، وقالوا من عند أنفسهم فقالوا منكراً من القول وزوراً، فهم في شكهم يعمهون، وفي حيرتهم يترددون، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تلته الشياطين على ألسنة أسلافهم من أهل الضلال، فهم إليه يحاكمون، وبه يتخاصمون، فارقوا الدليل واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل.

القسم السابع: سماع الأغاني وغيرها: ومن مكايد الشيطان وتزيينه للإنسان التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، صاد به قلوب الجاهلين والمبطلين، بسماع المكاء والتصدية والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن ذكر الله وعن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، كاد به الشيطان النفوس المبطلة وحَسَّنه لها مكراً منه وغروراً، وأوحى إليهم الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجورا.

فلو رأيتهم عند ذياك السماع، وقد خشعت منهم الأصوات وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة، فتمايلوا له ولا كتمايل النشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، وقد خالط خمارة النفوس، ففعل فيها ما تفعله حميا الكؤوس، فلغيرِ الله، بل للشيطان، قلوبٌ هناك تمزق وأثواب تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق، حتى إذا عمل السكر فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزهم بصوته وحيله، فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالذباب ترقص وسط الديار.

مزامير الشيطان أَحبُّ إليهم من استماع سور القرآن، لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك له ساكناً، ولا أزعج له قاطناً، ولا أثار فيه وجداً، ولا قدح فيه من لواعج الشوق إلى الله زنداً، حتى إذا تلي عليه قرآن الشيطان وولج مزمور سمعه، تفجرت ينابيع الوجد في قلبه، وعلى عينيه فجرت، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يده فصفقت، وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زفراته فتزايدت، وعلى ميزان أشواقه فاشتعلت[1].

---

(١) مصائد الشيطان، ج١، ص٢٠٧-٢١٤.

قال الله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠﴾ [الكهف] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»[1].

إن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق، ونباته فيه كنبات الزرع بالماء فمن خواصه: أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبداً لما بينهما من التضاد، فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفوس، وأسباب الغي، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان.

والغناء يأمر بضد ذلك كله، وبحسنه ويهيج النفوس إلى شهوات الغي فيثير كامنها، ويزعج قاطنها، ويحركها إلى كل قبيح، ويسوقها إلى وصل كل مليحة ومليح، فهو والخمر رضيعا لبان، وفي تهييجهما على القبائح فرسا رهان، فإنه صنو الخمر ورضيعه ونائبه الذي لا ينفسخ، وأحكم بينهما شريعة الوفاء التي لا تنسخ، وهو جاموس القلب وسارق المروءة ووسواس العقل يتغلغل في مكامن القلوب، ويطلع على أسرار الأفئدة، ويدب إلى محل التخييل، فيثير ما فيه من الهوى والشهوة والسخافة والرقاعة والرعونة والحماقة.

القسم الثامن: فتنة الطيب: والطيب أيضاً رسول من نفس شريرة إلى نفس شريرة أخرى، وهو من ألطف وسائل المخابرة والمراسلة مما تتهاون به النظم الأخلاقية عامة، ولكن الحياء الإسلامي يبلغ من رقة الإحساس أن لا يحتمل هذا العامل اللطيف من عوامل الإغراء، فلا يسمح للمرأة المسلمة أن تمر بالطرق أو تغشى المجالس مستعطرة، لأنها وإن استتر جمالها وزينتها ينتشر عطرها في الجو ويحرك العواطف، قال النبي ﷺ: «المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس، فهي كذا، يعني زانية»[2].

---

(١) جاء في الصحيحين وسنن أبي داود والبيهقي ومصنف عبد الرزاق ومسند أحمد ومستدرك الحاكم، واللفظ من سنن البيهقي، كتاب الشهادات، باب الرجل يغني فيتخذ الغناء صناعة، ص٣٢٧، رقم ٢١٦١٠.

(٢) متفق عليه عند الستة، وأحمد واللفظ للترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية خروج المرأة المتعطرة، ص١٠٦، ج٥، رقم ٢٧٨٦.

وقال ﷺ: «إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً»[1]، فَطِيبُ الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه[2].

---

(١) جاء في صحيح مسلم ومجتبى النسائي ومستدرك الحاكم، ومسند أحمد وسنن البيهقي، واللفظ للنسائي، كتاب الزينة، باب النهي للمرأة أن تشهد، ص١٥٤، ج٨، رقم ٥١٢٩.

(٢) أبو الأعلى المودودي، الحجاب، ص٢٦١.

الخاتمة

في هذه الرسالة تناولت موضوع (الزينة ومفهومها وأحكامها الدنيوية في القرآن الكريم) التي قسمتها إلى ستة أبواب، خصصت الباب الأول في (الزينة ومعانيها) فجعلته في فصلين، وكل فصل في ثلاثة مباحث.

الفصل الأول منها: في توضيح معناها في اللغة العربية، ثم في القرآن الكريم فاستخرجت الآيات الخاصة بكلمة (زين) ووجدت أنها ما يقارب ستاً وأربعين آية، ثم معناها في السنة النبوية الشريفة من خلال استخراج بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تتعلق بالزينة.

ثم في الفصل الثاني فسرت الآيات التي وردت في موضوع الزينة من تفاسير عدة، فوجدت اختلاف أنواعها من خلال التفاسير، وبينت أنواعها من خلال الآيات، وبعدها أدرجت الخلاصة مما يؤخذ من أقوال المفسرين.

فمن الزينة ما يختص بالكون مثل السماء والأرض والبحر والجبال، ومنها ما يختص بالمخلوقات كزينة الإنسان وزينة الحيوان والنبات، ووجدت أن الزينة مكملة بعضها بعضاً، فزينة الإنسان مستمدة من النبات والحيوان، وزينة الأرض من النبات والجبال والأنهار..

وأما في الباب الثاني فعنونته (أنواع الزينة)، وفيه تمهيد وفصلان، الفصل الأول فيه ثلاثة مباحث، وجدت أن الزينة، منها الظاهرة ومنها الباطنة، فمن الزينة الظاهرة العين، ومن الزينة الباطنة القلب، وفرقت بين قلب المؤمن وقلب الكافر، ومن ثم أوضحت الزينة الباطنة الظاهرة منها زينة العقل واللسان.

وفي الفصل الثاني بينت صور الزينة في ستة مباحث: منها: زينة السماء، فمن زينة السماء الشمس والقمر والنجوم والكواكب، التي جعلها الله زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين، وهداية يهتدي بها الساري في الليالي الظلماء، أما زينة الأرض ففي زرعها وخضرتها في جبالها وقممها، وفي أنهارها وجداولها، في كل ما على الأرض زينة أوجدها الله لا يلحظها إلا من آمن بالله حق الإيمان وتفكر في آلائه ومخلوقاته، وفي البحر زينة في زرقتها وفي السفن التي تجري عليها، وفي ما يستخرج منها وغيرها من زينة البحر.

وللحيوان زينة جمال في اقتنائها وفي أصوافها وأوبارها وفي حلها وترحالها، وللنبات

زينة في نبتها وحركة ورقتها وتنوع ألوانها وأزهارها وأريجها.

وللإنسان زينة في كل ما خلق الله وأبدع من تشكيل خلقه وتقويم جسده، وجعله خير مخلوقات الأرض قاطبة، وكلها مكملة بعضها البعض.

فاستخلصت أن الزينة شاملة لكل شيء في هذا الكون، فما من شيء إلا وله زينة في خلقه، وفي إبداعه، وفي تناسقه، وكلها تدل على خالقها وبارئها ومصورها، الذي أحسن كل شيء خلقه.

أما الباب الثالث فعنوانه (زينة الإنسان) فقد قسمته إلى ثلاثة فصول: الفصل الأول فيه خمسة مباحث وهذا الفصل خصصته بزينة الإنسان، استنتجت من خلال هذا الفصل أن الزينة لها غايات عدة منها ستر العورة والزينة والطاعة والعبادة عن طريق إظهار نعمة الله على الإنسان، وأن الزينة نشأت مع الإنسان منذ خلق مع سيدنا آدم، وأن الإنسان مأمور بها في كل وقت وكل حين وكل مكان، فزينة الحج تختلف عن زينة العيد وعن زينة الجمعة، وزينة الرجل تختلف عن زينة المرأة، وزينة الخلق تختلف عن زينة التخلق، ووجدت أن العورة جزء من الزينة لا يتجزأ عنه لأنها الأساس في اللباس ومن ثم الزينة التي يقصد بها طاعة الله وعدم عصيانه.

والباب الرابع جعلته (لأحكام الزينة) الخاصة بالإنسان وجعلته ثلاثة فصول، الفصل الأول قسمان: الزينة الباطنة والزينة الظاهرة للإنسان، ثم أحكام الزينة فوجدت أن للزينة أحكاماً مختلفة منها ما هو مفروض من الكتب والسنة النبوية الشريفة، ومنها ما هو واجب ومنها ما هو مباح التزين به، ومنها ما هو مكروه أو محرم يجب الابتعاد عنه، حتى لا يؤدي التزين به إلى معصية الله، ولكل حكم منها ما يؤكده من الآيات القرآنية الكريمة أو من السنة النبوية الشريفة أو آراء الفقهاء المختلفة والمتعددة، وما كانت آراء الفقهاء واختلافاتهم إلا رحمة للعباد.

أما الفصل الثالث منها فقد خصصته لآداب اللباس الخاصة بالرجل والمرأة وما المباح، وما المنهي عنه حتى لا تختلط الأمور على الناس فيتشبهون في لباسهم بالصنف الآخر، ثم أدرجت بعدها بيان حكم الذهب والفضة والحرير لباساً واستخداماً وزينة للرجل والمرأة، وما يباح منه وما يحرم،واعتمدت على الحكم ما كان منها حلالاً أو حراماً بدلائل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وآراء الفقهاء واختلافاتهم.

ومن ثم في الباب الخامس خصصته (لآثار الزينة)، وجعلته فيه فصلين: الفصل الأول لأثر الزينة، فوجدت أن الزينة لها أثر يظهر في سلوك المسلم وتصرفاته، وفي أثاث بيته وزخارفه، وفي المجتمع المسلم بعاداته وتقاليده الإسلامية وضبطه ومعاييره الربانية، فنجد المجتمع يحرص على النظافة لأنها من سلوكيات المسلم فتؤدي إلى مجتمع نظيف، وغيرها من السلوكيات التي تؤدي به إلى أن يكون خير مجتمع وخير أمة أخرجت للناس كما أمر الله سبحانه وتعالى، وفي المجتمع غير المسلم وما لهم من حقوق وواجبات في ظل الحكم الإسلامي.

وأما الفصل الثاني فخصصته لآثار التبرج والاختلاط، وبينت الفرق بين الزينة الحسنة والزينة السيئة وأثر ذلك على سلوك الفرد والمجتمع، وخطر التبرج والاختلاط ولماذا نهي عنهما في المجتمع المسلم، لما لهما من آثار سلبية في المجتمع.

وأما الباب السادس فجعلته خاصاً (بزينة الله وزينة الشيطان)، وفيه فصلان: الفصل الأول (زينة الله)، وزينة الله لها مطالب منها مطالب في العقائد، ومنها في العبادات، ومنها في الأخلاق، ومنها في المعاملات، وكل منها زينة يؤديها الإنسان طاعة لله سبحانه وتعالى، ومن خلالها يحاول الشيطان إضلال الناس عن طرئق عقائدهم وعبادتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم، فيزين لهم أعمالهم وأقوالهم، وهذا ما جعلته في الفصل الثاني وهو (زينة الشيطان).

وموضوع الزينة ليس مخصصاً بجزء معين من الدين الإسلامي، فهو موضوع شامل للدين، فهو من العقائد ومن العبادات ومن الأخلاق ومن المعاملات، لذلك كان من الصعب إيجاد المواضيع الخاصة فيه، لذلك تحتم عليَّ البحث طويلاً لأجد بعض الموضوعات فآخذ من هذا المرجع ومن ذاك المصدر، لأجمع المعلومات الخاصة بالرسالة، وما قدمت هو القليل الذي استطعت البحث والخوض فيه، جمعته في هذه الورقات لتكون موضوعاً للرسالة، ولو أردت أن أوفيه حقه لاحتاج الأمر إلى زيادة في عدد الصفحات والمواضيع لشمول الموضوع وتشعبه وتعدده، وحسبي أني لا أريد الإطالة.

أسأل الله التوفيق والرضا وجزاكم الله عنا خير الجزاء

وفاء الشريف

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (أبو زكريا، توفي ٣٧٠هـ)، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، مطبعة الأوقاف في دار الخلافة العلية، سنة ١٣٢٠هـ.

٣- إحكام الأحكام، محمد بن علي بن مطيع القشيري لقبه: تقي الدين المعروف (ابن دقيق العيد ٦٢٥- ٧٠٢هـ).

٤- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي.

٥- الاختيار شرح المختار المسمى بالاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي، مطبعة حجازي - القاهرة، المطبعة العثمانية المصرية، الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ- ١٩٣٣م.

٦- ٤٤ وصية من وصايا الرسول ﷺ للنساء، عكاشة عبد المنان الطيبي، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٧- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، بإشراف محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الأجزاء من ١-٨، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٨- أدب المسلم في عاداته ومعاملاته، خالد محمد الشيبة، الطبعة الثالثة، إدارة الشؤون المعنوية والثقافية.

٩- الأدب المفرد، الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري (أبي عبد الله ١٩٤- ٢٥٦هـ)، يرويه عنه أحمد بن محمد بن الجليل بالجيم البزار، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٠- أستاذ المرأة، محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني، مكتبة الثقافة، المدينة المنورة، ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م.

١١- أسرار الكون في القرآن، د. داود سلمان السعدي، دار الحرف العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٧٧م.

١٢- أصول الفقه، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.

١٣- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، الإمام الحافظ أبي عبد الله بن أبي بكر الشهير (ابن قيم الجوزية)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م.

١٤- البحر الزاخر (الجامع لمذاهب علماء الأمصار)، الإمام أحمد بن يحيى بن المرتضى (٨٤٠هـ)، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٥م.

١٥- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.

١٦- البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٧- تاريخ التشريع الإسلامي، محمد الخضري بك، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة التاسعة ١٣٩٠ - ١٩٧٠م.

١٨- تاريخ الملوك والأمم، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر دار القلم، بيروت - لبنان.

١٩- تحفة العروس أو الزواج الإسلامي السعيد، محمود مهدي الاستانبولي، مكتبة الحضارة، دمشق عصرونية.

٢٠- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

٢١- تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس، مطبعة محمد علي صبيح، ١٣١٣هـ- ١٩٥٣م.

٢٢- تفسير ابن كثير، الحافظ ابن كثير (إسماعيل بن كثير البصري الدمشقي - أبو الفداء - لقبه عماد الدين المولود في سنة ٧٠١هـ - ٧٧٤هـ، برنامج كمبيوتر إصدار ١٩٩٥، دار حوسبة للنص العربي، عمان، الأردن، ١٩٩٥م.

٢٣- تفسير الجلالين، العلامة جمال الدين محمد بن أحمد الحلي والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الإمامين الجليلين، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٢٤- تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

٢٥- تفسير سورة النور، د. محمد محمد علي الحسن، عبد الرحيم فارس أبو علية، دار الأرقم، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.

٢٦- التفسير الكبير، الفخر الرازي، الطبعة الثانية، الناشر دار الكتب العلمية - طهران.

٢٧- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (كنيته أبو الفضل، لقبه شهاب الدين، ٧٧٣هـ- ٨٥٢هـ).

٢٨- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار، أبي جعفر الطبري، ومسند علي بن أبي طالب، قرأه وخرج أحاديثه.(أبو فهر) محمود شاكر.

٢٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المطبعة السلفية ومكتبتها - ١٣٧٥هـ.

٣٠- جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، (أبي جعفر ١٣١٠هـ)، الطبري، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٣١- الجامع الصحيح، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (أبو الحسين ٢٠٦- ٢٦١هـ)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان (الموسوعات الإسلامية).

٣٢- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣٣- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (أبي عبد الله)، دار إحياء التراث العربي، الأجزاء من ١-٢٠، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م.

٣٤- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي الحنظلي (أبو محمد ٢٧٠- ٣٢٧هـ).

٣٥- حاشيتان على شرح منهاج الطالبين (قليوبي وعمير)، شهاب الدين أحمد البرلس المقلب (بعمير) وشهاب الدين أحمد بن أحمد القليوبي، لجلال الدين المحلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٥٣هـ- ١٩٣٤م.

٣٦- الحجاب، أبو الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٣٧- حكم العورة في الإسلام، محمد بشير الشقفة، دار الغزالي، حماة، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م.

٣٨- الحلال والحرام في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، الناشر مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الرابعة عشرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٣٩- خطر التبرج والاختلاط، عبد الباقي رمضون، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٤٠- الدراري المضية شرح الدرر البهية، كلاهما للإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٤١- رد المحتار، ابن عابدين، مطبعة البابي الحلبي.

٤٢- الروح، ابن القيم الإمام شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية، حققه وقدم له وعلق حواشيه محمد اسكندر يلدا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٤٣- روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة والعشرون، ١٩٨٤م.

٤٤- رياض الصالحين، يحيى بن شرف النووي (أبي زكريا)، دار الكتب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٤٥- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، الأجزاء ١-٤، بيروت - لبنان.

٤٦- زينة المرأة المسلمة، عبد الله بن صالح الفوزان، دار المسلم للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤٧- سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٨م.

٤٨- السعادة في العقيدة والعبادة من القرآن والسنة، د. محمد سليمان فرج، شركة أبو ظبي للطباعة والنشر.

٤٩- سنن ابن ماجة، الحافظ محمد يزيد القزويني، أبي عبد الله ابن ماجة (٢٠٧هـ- ٢٢٧٥هـ)، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٥٠- سنن أبو داود مع حاشية عون المعبود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (أبو داود ٢٠٢- ٢٧٥هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٣١٨هـ.

٥١- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، أبو عيسى، المولود في سنة ٢٠٩- ٢٧٩هـ.

٥٢- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (أبو محمد ١٨١هـ- ٢٥٥هـ).

٥٣- سنن الدراقطني، الإمام علي بن البغدادي (أبو الحسن ٣٠٦هـ- ٣٨٥هـ)، دار المحاسن للطباعة ٢٤١ شارع الجيش القاهرة، الناشر السيد عبد الله هاشم يماني المدني، المدينة المنورة، الحجاز، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٥٤- السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر التقي، إمام المحدثين الحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى ٤٥٨هـ، (العلامة علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني المتوفي ٧٥٤هـ)، الطبعة الأولى، دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند - حيدر آبار ١٣٤٤هـ، دار المعرفة للطباعة والنش، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ.

٥٥- سنن النسائي (المجتبى)، أحمد بن شعيب النسائي، كنيته أبو عبد الرحمن (٢١٥هـ- ٢٧٥هـ).

٥٦- شرح فتح القدير للعاجز الفقير، الكمال بن الهمام (الشيخ الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن معود السيواسي ثم السكندري المعروف بابن الهمام المتوفى (٦٨١هـ) طبعة أميرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٣٤٠هـ.

٥٧- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، الطبعة التاسعة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥٨- شعب الإيمان، للبيهقي ١٦ - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (أبي بكر ٣٨٤- ٤٥٨هـ).

٥٩- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي السني، (أبو حاتم المتوفى ٣٥٤هـ).

٦٠- صحيح ابن خزينة، الإمام محمد بن إسحاق النيسابوري، (أبي بكر ولد ٢٢٣هـ- توفي ٣١١هـ)، الناشر حققه وعلقه وخرج أحاديثه الدكتور مصطفى الأعظمي، الطبعة الثانية ١٩٨١م.

٦١- صحيح البخاري (ترجمة الجامع)، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الخباري، إدارة الطباعة المنيرية، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٦٢- صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (أبو الحسين ٢٠٦هـ- ٢٦١هـ)، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٦٣- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القلم، مكتبة جدة، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٦٤- صيانة الإنسان من آفات وشرور اللسان، عكاشة عبد المنان الطيبي، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة.

٦٥- عقيدة المسلم وما يتصل بها، عبد الحميد السائح، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٦٦- العقود الدرية في تنقيح الفتاوى المحمدية، الشيخ العلامة محمد أمين الشهير بابن عابدين، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، المبطعة الميرية بولاق مصر المحمية ١٣٠٠هـ.

٦٧- غرائب الأخبار، أحمد عيسى عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة ١٩٧٨م.

٦٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (٧٧٣-٨٥٢هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً وأشرف على مقابلة نسخته المطبوعة والمخطوطة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه ونبه على أرقامها في كل حديث محمد فؤاد عبد الباقي.

٦٩- الفتاوى الهندية، تأليف العلامة الهمام مولانا الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند الأعلام، دار إحياء التراث العربي للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الأجزاء من ١-٦، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٧٠- الفتاوى، محمود شتلوت، دار القلم بالقاهرة.

٧١- فتاوى زينة المرأة والتجميل، محمد بن إبراهيم آل الشيخ، عبد الله بن حميد، ابن عثيمين، ابن فوزان، ابن جبرين، مكتبة أضواء السلف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٧٢- فقه السنة، السيد سابق، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، الأجزاء من ١-٣، الطبعة العاشرة الشرعية ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٧٣- الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الحريري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، الأجزاء من ١-٥.

٧٤- فقه اللغة وسر العربية، أبي منصور الثعالبي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٧٥- الفقه المنير في العبادات والمعاملات، أحمد عيسى عاشور، دار أبو سلام للطباعة والنشر والتوزيع، تونس.

٧٦- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ- ١٩٧٨م.

٧٧- قصص الأنبياء المسمى بالعرائس، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي (أبي إسحاق)، مكتبة الجمهورية المصرية، القاهرة - جمهورية مصر العربية.

٧٨- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي (كنيته أبو عبد الله) ولقب بشمس الدين (ولد ٦٧٣- وفاة ٧٤٨).

٧٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (الأجزاء من ١-٤، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيورت - لبنان.

٨٠- كيف ندعو الناس، عبد البديع صقر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٨١- اللباب في شرح الكتاب، الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر دار الحديث للطباعة والنشر، حمص - بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٩٧م.

٨٢- المبسوط، شمس الدين السرخسي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٨٣- المحلى، ابن حزم، دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان، محققة من الأستاذ أحمد محمد شاكر (دار الموسوعات الإسلامية).

٨٤- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، بيروت - لبنان ١٩٨٦م.

٨٥- مختصر سنن أبي داود، الدكتور مصطفى ديب البغا، دار العلوم الإنسانية، دمشق - حلبوني، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٨٦- مختصر سنن النسائي، الدكتور مصطفى ديب البغا، دار العلوم الإنسانية، دمشق - حلبوني، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٨٧- المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، مؤسسة الرسالة، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م.

٨٨- المرأة المسلمة وليس الذكر كالأنثى، وهبي سليمان غاوجي، دار القلم - دمشق، الطبعة السابعة، ١٤٠٧هـ- ١٩٧٨م.

٨٩- المرأة في الإسلام، د. عبد الواحد وافي، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧١م.

٩٠- المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، (أبو عبد الله، ٣٢١- ٤٠٥هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

٩١- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي.

٩٢- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الفكر، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٩٣- معجم البلدان، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار إحياء التراث العربي للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

٩٤- المعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (أبو القاسم، لقبه مسند الدنيا، ٢٦٠- ٣٦٠هـ).

٩٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م.

٩٦- المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، صبحي عبد الرؤوف عصر، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، ١٩٩٠م.

٩٧- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مطابع شركات الإعلانات الشرقية، دار التحرير والنشر، إبراهيم مدكور، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٩٨- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، النووي، لأبي زكريا يحيى بن شرف شرح الشيخ محمد الشربيني الخطيب (الشافعية) على متن المنهاج، الأجزاء من ١-٤، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٩٩- المغني والشرح الكبير، للإمامين موفق الدين ابن قدامة وشمس الدين ابن قدامة المقدسي، الناشر دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ١٩٧٣م.

١٠٠- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان ١٩٩١م.

١٠١- مكتبة الحديث الشريف، برنامج كمبيوتر، نحو مكتبة شاملة للعلوم الإسلامية أكثر من ٤٥٠ مجلد وكتاب، الإصدار الثاني، شركة العريس للكمبيوتر، بيروت - لبنان، أنظمة الحواسيب، المملكة العربية السعودية - الرياض.

١٠٢- مكتبة القرآن الكريم، إعراب القرآن الكريم، الشركة الهندسية لتطوير نظم الحاسبات (R-D-I) جمهورية مصر العربية.

١٠٣- من أساليب الرسول ﷺ في التربية، نجيب خالد العامر، دراسة تحليلية وبيان ما يستفاد منها في وقتنا الحاضر، الناشر مكتبة البشرى الإسلامية الكويت - حولي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٠٤- من توجيهات الإسلام، محمود شلتوت، دار القلم بالقاهرة.

١٠٥- من وصايا الرسول ﷺ، طه عبد الله العفيفي، دار أبو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

١٠٦- منهاج المسلم، أبو بكر الجزائري، دار الجيل، بيروت - لبنان، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٠٧- الموطأ، الإمام مالك بن أنس الأصبحي (أبو عبد الله- ٩٣هـ- ١٧٩هـ)، رواية يحيى بن يحيى الليثي، دار النفائس، بيروت - لبنان، الطبعة التاسعة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٠٨- الموسوعة الذهبية الميسرة للحديث النبوي الشريف وعلومه، ١١٧٥ مجلد وكتاب، الإصدار الثاني، عبد اللطيف للمعلومات، برنامج كمبيوتر، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٠٩- موسوعة طالب العلم، ٤٠٠ مجلد وكتاب، الإصدار الثالث، عبد اللطيف للمعلومات، برنامج كمبيوتر، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١١٠- الموسوعة القرآنية للأسرة، المدخل للقرآن الكريم، بيرسونال كمبيوتر سيستمز، شارع دمشق، المهندسين - الجيزة - مصر ٤٧.

١١١- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، شرح ملتقى الأخيار، ابن محمد الشوكاني، دار الجيل، بيروت - لبنان، الأجزاء من ١-٩، ١٩٧٣م.

١١٢- هذا حلال وهذا حرام، عبد القادر أحمد طا، دار الفضيلة - القاهرة، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

١١٣- يسألونك في الدين والحياة، د. أحمد الشرباصي، دار الجيل، بيروت - لبنان،

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة